أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
مدير التحرير
محمود الشرقاوي
بدل الاشتراك ٤٠

الجزء الأول — المحرم سنة ١٣٨١ هـ — يونية ١٩٦١ م — المجلد الثالث والثلاثون

الفهرس

صفحة

٢ أوبة الإسلام ونوبته للأستاذ أحمد حسن الزيات
٥ أسباب البدع ومضارها
لإمام المسلمين الشيخ محمود شلتوت
١٧ الحروف والمعاني في اللغة العربية
للأستاذ عباس محمود العقاد
٢١ الإسلام والمجتمع للأستاذ الدكتور محمد البهي
٢٩ أسس التعامل في الإسلام للأستاذ محمد محمد المدني
٣٤ حياتنا الدنيا مرحلة اختبار . . . !
للأستاذ عبد اللطيف السبكي
٣٩ الإسلام في أوغندة للأستاذ عطية صقر
٤٥ شاعر أعمى يصف العمى
٤٦ شعر شوقي بعد المنفى للأستاذ علي العماري
٤٥ الوحدانية في الأديان الإفريقية
للأستاذ محمد جلال عباس
٥٨ مجلة قديمة تحمل اسم الأزهر
للدكتور جمال الدين الرمادي
٦٣ رأي الأزهر في الاتجاهات الحديثة إلى تدريس النحو للأستاذ أحمد محمد غنيم
٧٣ عاشوراء في تاريخ الإسلام
للأستاذ محمد رجب البيومي
٨٠ التكبير في أواخر السور
للأستاذ محمد محمد الصرفاوي
٨٤ زواج المسلم بالكتابية للأستاذ أحمد الشرباصي
٨٩ المسلمون في الهند أيضا للأستاذ عبد المنعم النمر

صفحة

٩٤ شعر القاضي الفاضل
للأستاذ الدكتور أحمد أحمد بدوي
١٠١ لغويات : فلان كفء للعمل — محمد كاتب أجود منه شاعر — بعتك الدار بما فيها الأثاث — أحبه كما لم يحب والد ولده — الفصلة والفصل؟
للأستاذ محمد علي النجار
١٠٦ في ذكرى الهجرة النبوية للأستاذ عباس طه
١١٠ ما يقال عن الإسلام : العلية الجديدة في نيجيريا
للأستاذ عباس محمود العقاد
١١٤ موكب النور « قصيدة »
للأستاذ إبراهيم محمد نجا
١١٦ آراء وأحاديث : من الأستاذ الأكبر لعالم الإسلامي — الرئيس مكاريوس يزور شيخ الأزهر — الأستاذ الأكبر يستقبل وفدا من أساتذة الجامعة الأمريكية
١٢١ النشاط الثقافي للأزهر : إنشاء فصول بمعهد الإعداد لخريجي الجامعات — الأستاذ الأكبر يستقبل عميد كلية التربية بأندونيسيا — رحلة مبعوثو الأزهر في الملايو إلى الفيليبين — عودة مدير الثقافة الإسلامية من مهمته الرسمية بالمغرب
١٢٤ الكتب : للأستاذ محمد عبد الله السمان — السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي — بطولات عربية — بحوث في تفسير القرآن — بين الأدب والصحافة

أوبة الإسلام ونوبته

بقلم: أحمد حسن الزيات

في غرة هذا المحرم من طلعة هذا العام يستطيع الراصد المسجل أن يرى في سموات الشرق الإسلامي تباشير النور المحمدي تبزغ من جديد في الآفاق المظلمة من آسيا وإفريقيا فتتضح السبل وتستبين المعالم وتتعارف الأوجه وتتلاقى الإخوة، فتهفو نفوس إلى نفوس، وتعطف قلوب على قلوب، وتنضم أيد إلى أيد، وتتصل أوطان بأوطان، ويوم يتم الله نوره مرة أخرى يعود الإسلام كما كان: قومية عربية، ثم جامعة إسلامية، ثم أمة وسطا تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتجاهد في سبيل الله، وتعاون على إقرار السلام.

قال طيب الذكر خالد الأثر الإمام محمد عبده لجبرائيل هانوتو وزير خارجية فرنسا في رده المفحم على مقاله المعروف: «إن الإسلام إن طالت به غيبة، فله أوبة، وإن صدعته النوائب فله نوبة، وقد أذن الله اليوم لدينه أن يئوب من غيابه، ولنوره أن يسفر من حجابه، ولسلطانه أن يعود إلى نصابه.

وكانت غيبة الإسلام في هذه الحقبة الطويلة عن ضمير الفرد وقلب الأسرة وروح المجتمع وسياسة الحكومة، أثرا لصدعات الرأي ونزوات الهوى وشتات الوحدة وعثرات الجد.

والإسلام دين القوة في حقيقته وطبيعته، وقوته إنما جاءته من الوحدة التي انبثقت من حقيقة التوحيد فيه، ومن الجماعة التي نشأت من طبيعة الدعوة إليه، فإذا أعوزتاه انفرط عقده فلا ينتظم، وتبدد شعاعه فلا يضيء، وإذا ضعف الدين في نفوس أهله تركوا المقطوع به من كلام الله وسنة رسوله وأخذوا بما لفق أولو الزيغ من الأخبار والأحاديث فانقلب في نفوسهم وضعه، وتغير في عقولهم مدلوله، حتى ليحق فيهم قول الإمام علي كرم الله وجهه: «إن هؤلاء القوم لبسوا الدين كما يلبس الفرو مقلوبا، فالإيمان بالقدر زيفوه حتى أهملوا التوقي استسلاما للقضاء، وتركوا السعي اعتمادا على القسمة، والإسلام إلى الله زوروه حتى أسلموا وجوههم للمال والجاه، وآمنوا بالمالك والحاكم، فجعلوا لله شركاء من بينهم سخروهم لهوى، واستغلوهم للشهوة، واستذلوهم للمستعمر، فمزق وطنهم إلى دويلات بين كل منها حدود وجمرك، ولكل منها شعار وعلم، وعلى كل منها حماية أو وصاية.

ثم كانت أوبة الإسلام حين نابت إليه صحته وعادت إليه قوته، وعودة القوة إليه إنما كانت رهنا بإيمان الشعب الذي يتقبله

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويتمثله ، ويصدق الزعيم الذى يرعاه ويمثله . وإيمان الشعب لا يتحقق إلا باستكمال وجوده واستقلال إرادته ، وصدق الزعيم لا يتأتى إلا باستعداد من طبعه وتوفيق من ربه . وهذه السنين الناصرية العشر من تاريخنا الطويل الحفيل كانت خاتمة لاستعمار باغ عطل العقول وأبطل القيم ، وحكم طاغ أفسد الأخلاق وأضعف الهمم ، وفاتحة لاستقلال وطنى حرر النفوس وطهر الأخلاق ، وحكم شعبى قام على قواعد الشعب ودار على مصالح العامة ، واعتمد فى إحيائه القديم الصالح ، وإنشاء الجديد المفيد ، على القوى المادية والفكرية والروحية . فسخر العلم للإنتاج ، واسترشد الدين فى العلاج ، ورفع من معنى العروبة بإعداد العدة وتوثيق العقدة ، وأيقن أن الظفر فى الصراع الدولى إنما يكون للقوة الأشد والسلاح الأحد والرأى الأسد ، فوقف من الطامعين فى أرض العرب وأرزاق المسلمين موقف السبع من السبع : مخلبا لمخلب ، ونابا لناب . أخذا بقول أبى بكر الصديق لخالد بن الوليد حين أرسله إلى حرب اليمامة : « حاربهم بما يحاربونك : السيف بالسيف ، والرمح بالرمح » .

أما علة ارتباط الإسلام بالقوة والسلطان فلأنه دون سائر الأديان قائم على ركنين من دين ودنيا : من عبادة تديم الصلة بين المرء وربه ، وقيادة تصلح الأمر بين الحاكم وشعبه ، فهو بركنيه صراط الفرد يصل عليه إلى سلام نفسه ، ودستور الشعب يصل به إلى نظام مجتمعه والدستور لا يقوم إلا إذا قامت أمة ، والأمة لا تكون إلا إذا كانت وحدة ، والوحدة لا تجتمع إلا إذا ألفت بينها زعامة من دين تعتمد على قوة الله ، أو رياسة من دنيا تعتمد على قوة الشعب . فإذا فسد الزعيم بغلبة هواه . أو ضعف أمره يضعف قواه تشتتت الوحدة وتمزقت الأمة وتعطلت الشريعة وحل محلها أمر الطاغية أو حكم المستعمر . وآل أمر الدين فى النفوس الخانعة إلى عبادة صورية لا تتصل بالسلوك ، أو إلى صوفية سلبية لا ترتبط بالدنيا . ومن هنا تنفس صبح الإسلام وبدأت نهضة المسلمين فى الجمهورية العربية المتحدة ؛ لأنها كانت الدولة الإسلامية الأولى التى تجلى لها الله فأظهر فيها المصلح الذى أكمل لها معنى الاستقلال ، وأتم عليها نعمة الحرية ، وجعل سياستها وحدة العرب ، ورسالتها نهضة المسلمين ، ودفعها إلى صف القوة الضاربة فى ميادين السياسة ، ورفعها إلى مستوى القدرة العالمية فى حقول الإنتاج .

ومن هنا أيضاً شعر العرب والمسلمون بكيانهم يتميز ، وبوطنهم يتحرر . وبسلطانهم يعود ، وبإرادتهم تسود . فذكروا أنهم كانوا وهم على مثل هذه الحال من الحرية والقوة والمنعة قادة البشرية وأدلاءها ، يهدونها بنور

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الله ، ويحكمونها بدستور محمد ، ويسوسونها بعبقرية الجنس ، واعتقدوا أن نوبة الإسلام فى حمل المصباح قد أرهص لها هذا الوعى الدينى الذى اتسع وعمق فى قلوب المؤمنين ، فحملهم على أن يتعاطفوا بأخوة الإيمان كما تتعاطف أبناء الأسرة بقرابة الدم ، وأن يسووا صفوفهم فى الجهاد كما يسوونها فى صلاة الجماعة ، وأن يولوا وجوههم شطر الغاية الجامعة كما يولونها شطر المسجد الحرام .

فالشعوب الإسلامية فى تضامن وتعاون ، والأقطاب فى تزاور وتشاور ، والحكومات تتنافس فى نشر الثقافة وإحياء التراث بما تنفق من أموال وتقيم من مؤتمرات وتنشئ من مجالس .

والأزهر يجدد ما درث من حبل الدين ويبين ما درس من معالم الشريعة بمن يخرج من دعاة ووعاظ ، ويوفد من رسل وبعوث ، وينشر من مجلات وكتب ، وينشئ من كليات ومعاهد . والجمعيات الدينية الكثيرة تجاهد بأنفسها وأموالها فى سبيل الرسالة الخالدة ، تدعو إليها بالقدوة ، وتدفع عنها بالحجة . والعلماء والأدباء يغطون المكاتب ويفرشون الأفاريز بنتاج القرائح المؤمنة فى إظهار ما بطن فى العقيدة والشريعة من المبادئ التى وضعها العليم الخبير لتعمر بها الدنيا ويصلح عليها العيش ويعتدل بها الميزان ويجتمع للناس فيها الرخاء والنماء والأمن ، والمنبر فى المسجد والمصورات فى الإذاعة والمطبعة فى الصحافة تذيع بالكلمات المقروءة والمسموعة مزايا الإسلام فى بناء مجتمع صالح على أنقاض هذا المجتمع الفاسد الذى تخفى عنه لله فسحره الشيطان بإثارة النزاع وإدامة الصراع بين كتلتين : شرقية شيوعية ، وغربية رأسمالية ، تزعمتا العالم بقوى المال والعلم والعدد فأضلتاه السبيل وحرمتاه السكينة . والاتحاد القومى يؤلف اللجان من أصحاب الكفايات والمؤهلات ليقتبسوا الهدى من نور الله فى تربية الأسرة وترقية المجتمع وتنمية الثروة وتقوية الحكومة .

والروح التى انبعثت فى هؤلاء جميعا إنما كانت مددا من تلك الروح التى بثها الله فى هذه الزعامة المؤمنة العاملة فأحيت الموات ورضت الشتات وأزالت الفروق وأوجبت الحقوق وجعلت الثورة لأول مرة فى تاريخ البشرية ثورة سلام ورحمة : للعرق لا للدم ، وللبناء لا للهدم ، وللأيادى لا للصدور ، وللأكواخ لا للقصور ، وللذين استضعفوا فى الأرض على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، لا لوطن يحدوه ولا لشعب يمينه ثم اجتثت من فوق الأرض أصلى الشقاء وهما الجوع والخوف ، فوضعت معاقل الإقطاع فوجد المحرومون برد العيش ، وحطمت هياكل الأصنام فلم يرالناس أمامهم غير وجه الله !

أحمد حسن الزيات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أسباب البدع ومضارها

لإمام المسلمين الأستاذ الأكبر

الشيخ محمود شلتوت

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم كثير من الأحاديث الصحيحة تدور كلها حول التحذير من الابتداع . ومن أشهر تلك الأحاديث : « من أحدث فى ديننا ما ليس منه فهو رد » . وترجع البدعة فى رافعها إلى اختراع عبادة لم تكن معروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرد بها نقل صحيح ولا تدل عليها أدلة شرعية معتبرة ، فهى أولا خاصة بما يتعبد به . وإذن فلا ابتداع فى العادات ولا فى الصناعات ولا فى وسائل الحياة العامة .

إن الابتداع فى الدين له أسباب توقع فيه ، ومضار تترتب عليه ، وشأن العاقل إذا عرف مضاراً لخطة ما ، أن يجتهد فى إبعاد نفسه عنها ، ويحول بينه وبين الوقوع فى أسبابها المفضية إليها وغاية تعصمه من الوقوع فيها ، وينعقد لذلك فصلان : أحدهما فى بيان الأسباب التى توقع فى الابتداع وفى انتشار البدع ، والآخر فى بيان المضار التى تترتب على الابتداع والعمل بالبدعة .

الفصل الأول

فى أسباب الابتداع

لا بد لكل شريعة يراد لها البقاء كاملة لا يعتريها نقص ، سليمة لا يلحقها تحريف ، من أن تعنى بمعرفة النوافذ التى يتسرب منها الخلل إلى الشرائع فتفسدها وتحكم غلقها ، وبخاصة إذا كانت هذه الشريعة قد جاءت على أساس من العموم لتنظم شعوبا تختلف ألسنتها ، وتتباين عاداتها ، وتتعدد دياناتها التى كانت عليها من قبل .

وهكذا فعل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى شريعته المطهرة ، فقدر وهو فى أول مراحله ، عليه الصلاة والسلام ، المداخل التى يمكن أن ينفذ منها الخلل إليها وينتشر فنهى عنها ، وحذر منها وبالغ فى النكير على من حام حولها .

وقد رأينا بعد الاستقراء أن المداخل الموقعة فى البدعة ، منها ما يوقع فى ابتداعها ، ومنها ما يوقع فى العمل بها وانتشارها وأن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الشريعة عنيت بالأمرين وأشارت إلى أسباب كل منهما ووضعت لهذه الأسباب العلاج الذى لو أحسن استعماله لسلم الدين ونجت الأمة منها وظل الدين نقيا سليما كما شرعه الله، وكما بلغه رسوله ، ودرج عليه الأصحاب من بعده .

* * *

يرجع الابتداع إلى أسباب ثلاثة :

(ا) الجهل بمصادر الأحكام وبوسائل فهمها من مصادرها .

(ب) متابعة الهوى فى الأحكام .

(ج) تحسين الظن بالعقل فى الشرعيات .

الجهل بمصادر الأحكام وبوسائل فهمها :

مصادر الأحكام الشرعية كتاب الله وسنة الرسول ، وما ألحق بهما من الإجماع والقياس ، والأصل فى هذه المصادر الذى يحكم على سائرها هو كتاب الله وتليه السنة ، ثم الإجماع ، ثم القياس ، والقياس لا يرجع إليه فى أحكام العبادات ؛ لأن من أركانه أن يكون الحكم فى الأصل معلولا بمعنى يوجد فى غيره ، ومبنى العبادة على التعبد المحض والابتلاء الخالص . ومداخل الخلل الناشئة من هذه الجهة ، ترجع إلى الجهل بالسنة ، وإلى الجهل بمحل القياس ، وإلى الجهل بأساليب اللغة العربية ، وإلى الجهل بمرتبة القياس

أما الجهل بالسنة فيشمل الجهل بالأحاديث الصحيحة والجهل بمكان السنة من التشريع ، وقد يترتب على الأول إهدار الأحكام التى صحت بها أحاديث . كما يترتب على الثانى إهدار الأحاديث الصحيحة وعدم الأخذ بها . وإحلال بدع مكانها لا يشهد لهـا أصل من التشريع ، وقد نبه على ذلك حديث « إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا » وجاء فيه أيضا حديث « ما من نبي بعثه الله فى أمته قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون سنته ويقتدون بأمره ، ثم تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » .

وأما الجهل بمحل القياس فى التشريع . فقد نشأ عنه أيضا أن قاس الناس من متأخرى الفقهاء فى العبادات وأثبتوا به فى الدين ما لم ترد به سنة ولا عمل ، مع توفر الحاجة إلى عمله وعدم المانع منه ، ومن ذلك إسقاط الصلاة ، فإن أصحابها قاسوها على فدية الصوم التى ورد النص بها ، ولم يقفوا عند هذا الحكم بالجواز بل توسعوا فشرعوا لها من الحيل ما يجعلها صورة لا روح فيها ولا أثر لها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والابتداع هنا من أغرب أنواع الابتداع، فهو ابتداع لأصل الحكم واحتيال لإسقاط تكاليف الحكم المبتدع. ثم اعتبار الأمرين البدعة والاحتيال فى إسقاطها من الدين - ويجدر بنا تسميته بالبدعة المركبة - يخرجان من عهدة التكليف، ويترتب عليهما ثواب الله الذى أعده للذين آمنوا وعملوا الصالحات.

وهذا نوع خاص من البدعة:

وأما الجهل بأساليب اللغة العربية، فقد نشأ عنه أن فهمت بعض النصوص على غير وجهها وكان ذلك سببا فى إحداث ما لا يعرفه الأولون. ومن ذلك قول بعض الناس إن حديث «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علىّ» يطلب الصلاة على النبى من المؤذن عقب الأذان. ولم يطلب منه أن تكون بغير كيفية الأذان، وهى الجهر، فدل على مشروعيتها بالكيفية المعروفة، ووجهوا دلالة الحديث على طلبها من المؤذن بأن الخطاب فى قوله صلى الله عليه وسلم لجميع المسلمين، والمؤذن داخل فيهم. أو بأن قوله (إذا سمعتم) يتناوله لأنه يسمع نفسه. وكلا التأويلين جهل بأساليب اللغة فى مثل هذا، فصدر الحديث لم يتناول المؤذن قطعا، وآخره جاء على أوله فلا يتناوله أيضا. ومن ذلك أيضا ما يزعمه بعض آخرين من أن المحرم من الخنزير لحمه دون شحمه، لأن القرآن إنما حرم اللحم دون الشحم، وهو ابتداع نشأ من الجهل بأن كلمة «اللحم» فى اللغة العربية تطلق على الشحم ولا عكس. ومنه أيضا قول بعض المتكلمين إن لله (جنبا) بدليل قوله تعالى «أن تقول نفس ياحسرتا على مافرطت فى جنب الله»، وهو ابتداع نشأ من الجهل بأن العرب لاتعرف «الجنب» فى مثل هذا التركيب بمعنى العضو المعروف فهى تقول: هذا يصغر فى جنب ذاك تريد بالإضافة إليه. قال الإمام الرازى فى تفسيره: «القائلون بإثبات الأعضاء لله تعالى استدلوا على إثبات الجنب بهذه الآية، واعلم أن دلائلنا على نفى الأعضاء قد كثرت فلا فائدة فى الإعادة: وبعد أن ساق المأثور عند المتقدمين عن المراد بالجنب قال: واعلم أن الإكثار من هذه العبادات لا يفيد شرح الصدور وشفاء الغليل فنقول: الجنب سمى جنبا لأنه جانب من جوانب الشىء، والشىء الذى يكون من لوازم الشىء وتوابعه يكون كأنه جانب من جوانبه. فلما حصلت هذه المشابهة بين الجنب الذى هو العضو، وبين ما يكون لازما للشىء وتابعا له صح الإطلاق، ولا جرم من إطلاق لفظ الجنب على الحق والأمر بالطاعة قال الشاعر:

أما تتقين الله فى جنب وامق
له كبد حرى عليك تقطع

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هذه جملة من الأمثلة يتضح بها كيف يأتى الابتداع من جهة الجهل باللغة العربية: مفرداتها وأساليبها ، وقد أجمع الأولون على أن معرفة ما يتوقف عليه فهم الكتاب والسنة من خصائص اللغة العربية شرط أساسى فى جواز الاجتهاد ومعالجة النصوص الشرعية والاقتراب منها .

وأما الجهل بمرتبة القياس فى مصادر التشريع وهى التأخر عن السنة ، فقد ترتب عليه أن قاس قوم مع وجود سنة ثابتة وأبوا أن يرجعوا إليها فوقعوا فى البدعة ، والمتتبع لآراء الفقهاء يجد أمثلة كثيرة لهذا النوع ، وأقربها ما قاله البعض من قياس المؤذن على المستمع فى الصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام عقب الآذان مع وجود السنة التركية التى قد علمت حكمها وأنها مقدمة على القياس ، ومع أن حديث « إذا سمعتم المؤذن » يدل بأسلوبه على اختصاص المستمعين بالصلاة عقب الآذان » .

متابعة الهوى فى الأحكام :

قد يكون الناظر فى الأدلة ممن تملكهم الأهواء فتدفعه إلى تقرير الحكم الذى يحقق غرضه ثم يأخذ فى تلمس الدليل الذى يعتمد عليه ويجادل به ، وهذا فى الواقع يجعل الهوى أصلا تحمل الأدلة عليه ويحكم به على الأدلة ، وهو قلب لقضية التشريع ، وإفساد لغرض الشارع من نصب الأدلة . ومتابعة الهوى أصل الزيغ عن صراط الله المستقيم ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، وقد جاء فى الصحيح (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) والابتداع به يكثر عند أرباب المطامع فى خدمة الملوك والحصول على عرض الدنيا وحطامها ، ولعل أكثر الحيل التى تراها منسوبة إلى الدين - والدين منها برىء - يرجع إلى هذا ، ولا يبعد أن يكون منه الأذان السلطانى ونحوه من البدع التى لم نرها إلا فى صلاة الملوك والسلاطين ، وكذلك بدعة المحمل ، وبدعة الاجتماع لإحياء بعض الليالى وغير ذلك مما يغلب أن يكون رغبة الملك أو مشورة لمقرب إليه ، ثم توارثتها الأجيال . وعمت الجماهير ، وصارت عندهم دينا ينكرون على من أنكره .

والمبتدعون بمتابعة الهوى ينتسبون بهذه الخطة السيئة إلى أولئك الذين قال الله فيهم « ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا وإياى فاتقون » ، « إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم . أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار . ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق ، وإن الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد » ، والواقع أنه بمتابعة الهوى تكتسح الأديان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويقتل كل خير ، والابتداع به أشد أنواع الابتداع إثما عند الله وأعظم جرما على الحق. فكم حرف الهوى من شرائع ، وبدل من ديانات ، وأوقع الإنسان فى ضلال مبين .

تحسين الظن بالعقل فى الشرعيات :

إن الله جعل للعقول حداً تنتهى فى الإدراك إليه ، ولم يجعل لها سبيلا إلى إدراك كل شىء ، فمن الأشياء مالا يصل العقل إليه بحال . ومنها ما يصل إلى ظاهر منه دون اكتناه . وهى مع هذا القصور الذاتى لاتكاد تتفق فى فهم الحقائق التى أمكن لها إدراكها ، فإن قوى الإدراك ووسائله تختلف عند النظار اختلافا كثيراً . ولهذا كان لابد فيما لا سبيل للعقول إلى إدراكه وفيما تختلف فيه الأنظار ، من الرجوع إلى مخبر صادق ، يضطر العقل أمام معجزته إلى تصديقه ، وليس ذلك سوى الرسول المؤيد عند الله العليم بكل شىء . الخبير بما خلق ، وعلى هذا الأصل بعث الله رسله يبينون للناس ما يرضى خالقهم ، ويضمن سعادتهم . ويجعل لهم حظاً وافراً فى خيرى الدنيا والآخرة .

وقد شذ عن هذا الأصل قوم رفعوا العقل عن مستواه الذى حدده الله ، وجعلوه حجة الله على عباده ، وحكموه فيما لا يدركه مما أنزل الله ، فرجعوا فى التشريع إليه وأنكروا فى النقل كل مالم يعهد فى إدراكه . ثم توسعوا فى ذلك وجعلوه أصلا فى التشريع الإلهى ، واستباحوا بعقولهم فيه مالم يأذن به الله ، ومالا نعلم أنه يرضى الله أو يغضبه . ولقد أعانهم على الابتداع فى العبادات أنهم نظروا فيما أدركه العلماء من أسرار التشريع وحكمه ، وزعموا أن هذه الأسرار هى المقصودة لله فى تشريع الحكم ، وأنها داعية إليه ، فشرعوا عبادات على مقتضى هذه الأسرار فى بعض تشريع الله .

وهذا هو الاستحسان الذى ذمه أصحاب الرسول وأئمة الهدى والدين ، وأنكروا على الآخذين به ومن ذلك قول الشافعى : « الاستحسان تلذذ ، ولو جاز لأحد الاستحسان فى الدين لجاز ذلك لأهل العقول من غير أهل العلم ، ولجاز أن يشرع فى الدين فى كل باب ، وأن يخرج كل أحد لنفسه شرعا » وقوله « ومن استحسن فقد شرع » ومعناه كما قال الريانى « أنه نصب من جهة نفسه شرعا غير الشرع » وقد وقع كثير من الابتداع بهذا الطريق ، فبحكم العقل القاصر رد كثير من الأمور الغيبية التى صحت بها الأحاديث كالصراط والميزان ، وحشر الأجساد والنعيم والعذاب الجسمى ورؤية البارى وما إلى ذلك مما لم يدركه العقل ولا ينهض على إدراكه .

وباستحسان العقل القاصر ترك العمل بكثير من الأحكام الشرعية جريا وراء أن غيرها

أقوى منها فى تحصيل الغرض المقصود من التكليف ، وباستحسان العقل القاصر زيدت عبادات وكيفيات ما كان يعرفها أشد الناس حرصاً على التقرب من الله .

هذا وكما يترتب الابتداع بتحسين الظن على عدم إدراك العقل أو على ظن أن الأسرار مسوغات للتشريع وداعية إليه ، يترتب أيضا على إرادة دفع منكر أو مخالفة لشرع ثابت فتستحسن بدعة يشتغل الناس بها عن مقارفة المنكر بزعم أن البدعة بمشروعية أصلها أولى من ارتكاب المنكر الصريح . ومن ذلك قراءة القرآن بصوت مرتفع فى المسجد ، وقراءة الأدعية كذلك أمام الجنائز دفعا كما يقولون لتحدث الناس بكلام الدنيا فى المسجد والجنائز .

ومنه الابتداع بقصد الحصول على زيادة المثوبة عند الله ، ويظن أن طريق هذا تحميل النفس مشقة فى جنس ما يتعبد الله به ، وهذا تارة يكون بإلحاق غير المشروع بالمشروع ، لأنه يزيد فى المقصود من التشريع ، ومن أمثلة ذلك التعبد بترك السحور لأنه يضاعف قهر النفس المقصود من مشروعية الصوم ، والتعبد بتحريم الزينة المباحة التى لم يحرمها الله لأنه يزيد فى الحكمة المقصودة من تحريم الذهب والحرير . ومن هذا النوع اختيار أشد الأمرين على النفس عند تعارض الروايات مع أن المأثور عنه صلى الله عليه وسلم أنه ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما . وحمل جميع أفعال النبى صلى الله عليه وسلم على التعبد الذى يجب فيه التأسى مع أن كثيرا منه عادى لا تعبد فيه ولا يطلب فيه التأسى .

وتارة يكون باختيار عبادات شاقة لم يأمر بها الشارع كدوام الصيام والقيام والتبتل وترك التزوج والتزام السنن والآداب كالتزام الواجبات ، وقد جاء تحذير عن ذلك كله كما فى قوله عليه السلام : « ما بال قوم يتزهدون عن الشىء أصنعه ، فوالله إنى لأعلمهم بالله وأشدهم خشية له » ، وقوله عليه السلام : « لن يشاد الدين أحد إلا غلبه » وقوله : « لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم » وقد رد النبى صلى الله عليه وسلم على ابن عمر والرهط الذين تقللوا عبادته صلى الله عليه وسلم وأرادوا مشاق الطاعات .

وقد غفل قوم عن هذه التحذيرات واخترعوا لأنفسهم عبادات أو كيفيات فى العبادات أو التزامات خاصة ، وعبدوا بها وعلموها لأتباعهم على أنها دين ودين قوى ، وجهلوا أن القرب من الله إنما يكون بالتزام تشريع الله وأحكامه . وأن وسائل التقرب إليه محصورة فيما شرعه وبلغه عنه رسوله الأمين فوقعوا بذلك فى البدعة والمخالفة وحرموا ثواب العمل وكانوا من الآثمين .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هذه الأسباب التى أوردناها هنا للابتداع قد أحاط بأطرافها وجمع أصولها حديث : « يحمل هذا العلم فى كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف المغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » فتحريف المغالين يشير إلى التعصب والتشدد ، وانتحال المبطلين يشير إلى تحسين الظن بالعقل فى الشرعيات ومتابعة الهوى ، وتأويل الجاهلين يشير إلى الجهل بمصادر الأحكام وبأساليب فهمها من مصادرها ،

الأسباب المفضية إلى ذيوع البدعة :

يرجع ذيوع البدعة وانتشارها بين الناس إلى أمرين شديدى الخطر على سلامة الأديان من التحريف والزيادة والنقص :

أولهما ـ اعتقاد العصمة فى غير المعصوم .

والآخر ـ التهاون فى بيان الشريعة على الوجه الذى به نقلت عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

وكثيرا ما ترى الأول فيمن ينتسبون إلى طرق التصوف وأنهم يقرءون عن شيخ طريقتهم شيئا من الأحوال التى تنافى الأحكام الشرعية ، فيعتقدون أنها من التشريع الذى خص الله به عباده المقربين ، وأن شيخهم لا يفعل إلا حقا ، ولا يقول إلا صدقا ، والفقه للعموم وهذه طريقة الخصوص ، فيتبعونه فى كل ما يؤثر عنه من قول أو فعل على أنه الطريق المقرب إلى الله الموصل إلى رضاه .

وتراه أيضا فى أتباع الفقهاء يقرءون عنهم فى كتبهم ، ويعتقدون عصمتهم من الزلل ، فيتمسكون بكل آرائهم وإن وصلتهم الرواية الصحيحة عن رسول الله بخلاف رأى أئمتهم ، وقد أفرط الناس فى رفع مستوى العلماء. ومؤلفى الكتب بالنسبة إلى ما خلفوه من آراء وأحكام واعتقد كل فريق أنه رأى متبوعه هو الحق ، وقالوا : إنه لو كان الدين غيره لما استقر على توالى العصور ، ولأنكره من قبلنا من الشيوخ والأئمة ، وأنه لا حق لنا فى التمسك بالحديث يروى بخلاف رأى الأئمة والمدون فى الكتب ، لأنهم أعلم منا بالحديث وبمعناه . فلا شأن لنا به ولا يصح أن نعدل إليه ونترك ما ألفناه من العبادة وكيفيتها .

سرى ذلك فى عقائد الناس فعملوا بالبدعة وتركوا السنة ، مبررين أعمالهم بكلمة مأثورة وضعها أرباب الابتداع لتكون سبيلا إلى ترويج بدعهم وهى « من الله عالما لاقى الله سالما » وقد فات هؤلاء أن التقليد المباح المطلوب ، شرطه الاستشراف إلى الحق ، والرجوع إليه ببينة . وأنه مامن إمام إلا حذر من الاتباع وترك الحديث إذا صح ، وفاتهم أن هذه الطريقة قد أنكرها الله فى كتابه الكريم على من جعل اتباع الآباء والأسلاف أصلا فى الدين يرجع إليه دون سواه حتى ردوا برهان الرسالة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وحجة القرآن بقولهم : « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون » ، وفاتهم أيضا أن التعصب لرأى العلماء إلى هذا الحد نوع من اتخاذ غير الله ربا . وكان ذلك سنة أتباع الأحبار والرهبان ، « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » ، وفاتهم أن الإجماع الذى عد مصدرا من مصادر التشريع يجب اتباعه . ويتصل بهذا أيضا الخطأ فى فهم معنى الإجماع الذى عد من مصادر التشريع الإسلامى ، فقد يقع فى أفهام كثير من الناس أن عمل الجمهور وبخاصة إذا اتفق توارثه عن أجيال سابقة ، وعم العمل به جميع الطبقات فى المساجد والمجتمعات وأندية العلماء من إجماع الأمة التى ورد أنها لا تجتمع على ضلالة ، فلا يجوز مخالفته ولو ظهر ما يخالفه ، ومن هنا يشتد تمسكهم بالبدع بل بالمحرمات بحجة أنها أشياء مأثورة وقد رآها العلماء وخالطوا أهلها ولم ينكروها ، فدل على أنها الشرع وغيرها الضلال المبين ، وقد انتشر عن هذا الطريق كثير من بدع المساجد والموالد وإحياء الليالى والاستئجار على الختمات والتهاليل والتسابيح إلى غير ذلك مما هو معروف بأنه دين والدين منه برىء .

أما الثانى وهو تهاون العلماء فى بيان الشريعة فإثمه على العلماء الذين أخذ الله عليهم العهد والميثاق أن يبينوا للناس ما نزل إليهم ، وقد أهمل جمهور العلماء من زمن بعيد هذا الواجب الدينى العظيم الذى يتوقف عليه بقاء الشريعة سليمة نقية من الأدران ـ أهملوه ـ إما ضعفا وخوفا من تألب العامة وغضب الخاصة ، وإما مجاملة للعظماء والحكام ، وإما تهاونا بأصل الواجب وجريا على قاعدة « دع الخلق للخالق » التى يبررون بها إحجامهم عن البيان ، وإما توا كلا نظراً إلى أن البيان واجب كفائى قيام البعض به يسقط وجوبه عن الباقين .

ولما سكت العلماء وألف الناس منهم ذلك السكوت عن كل ما يفعلون ظن العامة أن ما يفعلونه دين وشرع ، وربما جاراهم بحكم الإلف والعادة العلماء لهم فيما يفعلون وبذلك صار ردهم عما ألفوا من البدع إلى ما تركوا من السنن شاقا على من يحاوله ، لأنهم يرونه إحداثا جديدا فى الدين لم يعرفوه فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ولقد كان للعلماء من تحذير الله ، ترك البيان وإهمال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ما يدفع بهم إلى مكافحة البدع كلما ذر قرنها ، والعمل على حفظ السنن كلما هبت عليها ريح عاصف . ونرجو أن يكون عن هذا ما ينبهنا إلى واجبنا وينقذنا من هول ما نحن فيه . هدانا الله إلى صراطه المستقيم .

الفصل الثانى :

فى مضار الابتداع

لو أن مضار الابتداع تقف عند المبتدع

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولا تتعداه إلى غيره لهان الأمر وسهل الخطب، ولكن مضار الابتداع منها ما يصيب المبتدع ومنها ما يصيبه ويصيب أتباعه في العمل بالبدعة، ومنها ما يصيب الدين نفسه، ومنها ما يصيب الأمة التي وقع الابتداع في دينها.

أما ما يصيب المبتدع فهو اغتصاب حق التشريع الذي لا يكون إلا لله وحده. وذلك أن المبتدع يرى أن الناس مكلفون ببدعة، ولذلك يقوم بالدعوة إليها والحث عليها. وهو من هذه الناحية يضع نفسه موضع المشرع الذي يتعبد الناس بأمره ونهيه، وهذا بعينه اغتصاب حق التشريع الذي لا يكون إلا لله قصده المبتدع أم لم يقصده.

وقد وقع فيه مشركو العرب كما وقع فيه الأحبار والرهبان من أهل الكتاب، ونعى القرآن الكريم على الفريقين مسلكهم، وقص علينا شيئا مما شرعه المشركون بغير حق. قال تعالى في سورة الأنعام: «وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم، وأنعام حرمت ظهورها، وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه، سيجزيهم بما كانوا يفترون. وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا. وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء، سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم». وقال تعالى في سورة النحل: «ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون».

وقد ورد في تفسير قوله تعالى: «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله». أنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا يحلون ويحرمون، وهذه الربوبية هي ربوبية التشريع التي تتحقق باغتصاب حق التحليل والتحريم.

ولا شك أن مسلك المبتدع في تحليل ما يحل وتحريم ما يحرم من غير سند شرعي، وفي دعوة الناس إلى بدعته هو بعينه مسلك هؤلاء الذين اغتصبوا لأنفسهم حق التشريع الذي لا يكون إلا لله.

ولهذا كان المبتدع في هذه الناحية واضعاً نفسه موضع المغتصب لحق التشريع الذي لا يكون إلا لله، وواضعاً نفسه موضع من يرى أن الحدود التي رسمها الله ليتقرب بها العباد إليه إما ناقصة وهو بابتداعه يستدرك ذلك النقص، وإما أن محمداً صلى الله عليه وسلم قصر في التبليغ وحجز عن أمته بعض ما يقربها إلى الله. وفي هذا المعنى قال الإمام مالك رضي الله عنه: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم خان الرسالة، لأن الله يقول: «اليوم أكملت لكم دينكم»، فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم دينا.

« وجاء فى كتاب عمر بن عبدالعزيز إلى عدى ابن أرطأة عليك بالسنة فإن السنة إنما سنها من قد عرف ما فى خلافها من الخطأ والزلل والحمق ، فارض لنفسك بما رضى به القوم لأنفسهم فإنهم على علم وقوى » .

فإذا كان المبتدع يرى أن ابتداعه لم يكن إلا لخير الناس فى دينهم فما أجدره بالحزن العميق على نفسه بموقفه من البدعة التى عرف الشارع ما فيها من خطأ وزلل وحمق .

وإذا كان الابتداع يتضمن هذا الوضع السيء من هاتين الناحيتين : « اغتصاب حق الله فى التشريع ، والوقوف من التشريع موقف من يعتقد فيه النقص وعدم التمام ، « فإنه من جهة ثالثة يوقع الناس فى اعتقاد أن ما ليس من الدين دين ، وهو من التلبيس الذى أضل به كثير من أهل الكتاب وصرفوا به كثيراً من الناس عن سبيل الهدى والرشاد : « يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل ، وتكتمون الحق وأنتم تعلمون » « ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق . ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد » .

ومن هنا كان المبتدع ضالا عليه وزر عمله ، ومضلا عليه أوزار الذين اتبعوه فى بدعته . قال تعالى : « ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم » ، وفى الصحيحين (ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها) وقد أشار إلى ذلك الحديث (وما من نفس تقتل ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها لأنه أول من سن القتل) وفيه دلالة واضحة على أن من سن ما لا يرضاه الله ورسوله فهو كابن آدم الأول فى تحمل قتل النفس التى تقتل ظلما لأن الإثم لم يتعلق بالقتل لخصوص كونه قتلا وإنما لأنه عمل ما لا يرضاه الله وسن سنة لا يقرها الدين وإذا غاب عن المبتدع شيء من هذه المضار التى تحوم حول العقيدة وتوشك أن تمسها فإنه لا يغيب عنه أنه بابتداعه يعمل على إماتة السنن ، فقد ثبت أن من السنة ترك البدعة فلا يمكن إقامة إحداهما مع العمل بالأخرى ، وقد جاء عن حذيفة رضى الله عنه أنه أخذ حجرين فوضع أحدهما على الآخر ثم قال لأصحابه : هل ترون ما بين هذين الحجرين من النور ؟ قالوا يا أبا عبد الله ، ما نرى بينهما إلا قليلا ، قال : والذى نفسى بيده لتظهرن البدع حتى لا يرى من الحق إلا قدر ما بين هذين الحجرين من النور . وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : ما يأتى على الناس من عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن .

وبهذه المعانى التى تلزم الابتداع فى الدين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

صحت الأحاديث فى رد عمل المبتدع عليه وحرمانه من الثواب وقد ورد عن يحيى بن يحيى أنه ذكر الأعراف وأهله فتوجع وتسرجع ثم قال قوم أرادوا وجها من الخير فلم يصيبوه . فقيل له : يا أبا محمد . أفيرجى لهم مع ذلك لسعيهم ثواب ؟ فقال : ليس فى خلاف السنة رجاء ثواب

والوجه فيه ظاهر ، فإن التقرب إلى الله لا ينال إلا بفعل ما شرع الله وعلى الوجه الذى شرعه . أما مالم يشرعه من وسائل التقرب إليه فإنه لا يثيب عليه .

وصحت الأحاديث أيضا فى استحقاقه اللعنة وحرمانه من شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم . قال عليه السلام : (من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) قال الشاطبى فى الاعتصام : « وقد اشترك صاحب البدعة فى اللعنة مع من كفر بعد إيمانه ، وقد شهد أن بعثة النبى صلى الله عليه وسلم لا شك فيها وجاءه الهدى من الله والبيان الشافى . وذلك قوله تعالى : كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق - إلى قوله - أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ... إلخ » .

واشترك أيضا مع من كتم ما أنزل الله وبينه فى كتابه وذلك قوله تعالى : « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه الناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ... إلخ » .

فتأملوا المعنى الذى أشرك المبتدع فيه مع هاتين الفرقتين . وذلك مضادة الشارع فيما شرع ، لأن الله أنزل الكتاب وشرع الشرائع وبين الطريق للسالكين على غاية ما يمكن من البيان فضادها الكافر بأن جحدها جحدا ، وضادها كاتمها بنفس الكتمان ، لأن الشارع يبين ويظهر ، وهذا يكتم ويخفى . وضاده المبتدع بأن وضع الوسيلة لترك ما بين وإخفاء ما ظهر .

أما ما يصيب أتباع المبتدع فهو الحرمان من الثواب ، لأنهم يعبدون الله بالبدع التى لم يقررها دينا ولم يجعلها طريقا للعبادة ، ولأنهم متركون بكل بدعة يعملونها سنة من السنن التى جاء بها الرسول وحث عليها . ولهم بذلك كعمل من العمل فى هدم الدين عليه يجازون وبه يعاقبون ، وقد حكى الله لنا شيئا من عاقبة الأتباع الذين أخذوا بأباطيل المبتدعين ، وألقوا بأنفسهم فى أحضانهم ، وقد كان ميسورا لهم أن يعرفوا الحق من أهله وأن يرجعوا إليه . قال تعالى فى سورة البقرة : « وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار » وقال فى سورة الأحزاب : « يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأطعنا الرسول . وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا، ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً » .

اما ما يصيب الدين نفسه من الابتداع فهو خفاء كثير من أحكامه وتشويه جماله. والأول سبب من أسباب اندراس الشرائع ، والثانى سبب من أسباب الإعراض عنها وعدم احترامها . ويتجلى هذا فى بدع أهل الطرق وغيرها مما يصور الدين تصويرا يأباه ما للدين من جمال وجلال ، وكثيرا ما تنتشر البدع وتأخذ مكانة الدين فى النفوس وتصبح هى الدين المتبع عند الناس ، وبقدر ذيوعها يكون اندراس الدين ، وهذا هو الطريق الذي اندرست به الشرائع السابقة. وانحرف عنها المتدينون ، ولهذا نعى القرآن الكريم على من حرفوا الكلم عن مواضعه وأخفوا كثيرا من الأحكام .

أما ما يصيب الأمة التى دخلت البدع فى دينها فهو إلقاء العداوة والبغضاء بين أهل الإسلام ، وذلك أن صاحب البدعة ينتصر لبدعته ، والسنة لابد لها من طائفة تبينها وتقوم عليها ، وبذلك تنقسم الأمة على نفسها وتصبح شيعا وأحزابا ، وقد يشتد الخصام بين الفرق فيقع بينهم التكفير واستحلال الدماء وتنقلب الأمة يضرب بعضها رقاب بعض ، قالت عائشة : ألا إن نبيكم قد برئ من فرق دينه واحترب وتلت قوله تعالى : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء . إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون .

وقد جاء فى الوصايا العشر بآخر سورة الأنعام قوله تعالى : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

وروى أحمد والنسائى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط خطا بيده ثم قال : هذا سبيل الله مستقيما ، ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال : وهذه السبل ليس فيها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

وقال تعالى « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات »

وقد عنى القرآن كثيرا بتحذير الأمة من التفرق والاختلاف لأنه الداء الوبيل الذى يسرع بالفناء إلى الأمم .

وبعد : فهذا موجز القول فى بيان الأضرار المترتبة على الابتداع نرجو أن يجد فيها المبتدعون ما يردعهم عن خطة الابتداع ، ويدفع بهم إلى تعرف السنن والتمسك بها .

هدانا الله إلى صراطه المستقيم ؟

محمود شلتوت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الحروف والمعاني في اللغة العربية

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتب إلي الشاعر الكبير الأستاذ رشيد سليم الخوري معقبا على رأيي في دلالة الأوزان ومخارج الحروف باللغة العربية - من كتاب اللغة الشاعرة - فقال حفظه الله :

« ... قد تنبهت بطول المراجعة إلى أن حرف الفاء هو نقيض حرف الغين بدلالته على الإبانة والوضوح : فتح ، فصح ، فرح ، فلق فجر ، فسر ، إلخ ... مما يعي إحصاؤه ويتعذر استقصاؤه ، وأن حرف الضاد خص بالشؤم يسم جبين كل لفظة بمكرهة لا يكاد يسلم منها اسم أو فعل : ضجر ، ضر ، ضير ، ضجيج ، ضوضاء ، ضياع ، ضلال ، ضنك ، ضيق ، ضنى ، ضوى ، ضراوة ، ضغن ، وبعكسه الحاء التي تكاد تحتكر أشرف المعاني وأقواها : حب ، حق ، حرية ، حياة ، حسن ، حركة ، حكمة ، حلم ، حزم ، وأرى أنها لهذه المزية ولامتناعها - أو على الأقل مشقتها - دون سائر حروفنا الحلقية على حناجر الأعاجم هي أولى بأن تنسب إليها لغتنا ، فنقول لغة الحاء ، بدلا من قولنا لغة الضاد » .

* * *

والرأي الذي أوجزه الشاعر الكبير موضوع بحث مفيد يتصل ويتفرق بين المشتغلين بأسرار اللغة العربية أو «بذوقياتها» وطرائف تركيبها . وآخر مناقشة فيه حضرتها كانت بين رجلين من كبار رجال المحاماة عندنا وهما الأستاذ نجيب برادة الذي كان زميلا لنا بمجلس الشيوخ والأستاذ ابراهيم الهلباوي رحمهما الله ، وكان الأستاذ برادة يبحث عن أثر الحروف في السمع وعلاقة ذلك بالفصاحة والإقناع ، ويعتقد أن « الحاء » أظهر الحروف أثرا في الإيحاء بمعاني السعة - حسية كانت أو فكرية - ويعمم الحكم فيسوي بين موقع الحاء في أول الكلمة وموقعها في وسطها أو آخرها ، ويتمثل بكلمات الحرية والحياة والحلم والحكمة والحلاوة . وهو - رحمه الله - قد كان في خلائقه مثلا للحلم والحكمة والأناة . ولم تكن شدته في الدفاع أو المناقشة والمناقضة تحول يوما دون ابتسامة اللطف والبشاشة على شفتيه .

ولقد كان زميله الهلباوي - على عادته في الفكاهة والدعابة - يسخر من فلسفته

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

« الحائية » كما يسميها ، ويقول له إن اسم « الحمار » مبدوء بالحاء ، وإن أشيع اللفظات على ألسنة الناديات يتردد فيها حرف « الحاء » ...

وإن « حسين فلان » ... ويسمى صاحبا لهما باسمه واسم أبيه « من أضيق أبواب العقول والصدر ... !

وكنا - إذا ضحكنا من هذه الدعابة - لا نسمح لها أن تخلط بين النكتة والحجة ولا ننسى خطر الفكاهة فى مقام الاستدلال على الجد والحقيقة . إلا أننا كنا نخالف الأستاذ براءة فى تعميم الحكم على الحرف بغير تفرقة بين مواقعه فى الكلمات ومواقعه فى السماع ، وقد ضربنا له المثل بكلمات لا تغيب عن المحامين على التخصيص ، وهى كلمات « الحبس والحجر والحرج والحسد والحساب والحرس » وغيرها من الكلمات التى تناقض معانى السعة بالحس أو بالتفكير .

ونحب أن نعود إلى هذا البحث لمناسبة الرأى الذى أبداه الأستاذ الخورى فنقول إن : « الحاء » حقا من الحروف التى تصور معنى السعة بلفظها ووقعها فى السمع ولكن على حسب موضعها من الكلمة ومصاحبة ذلك الموضع للدلالة الصوتية ، وليست دلالتها هذه مصاحبة للفظها حيث كانت من أوائل الكلمات أو أواسطها .

فالحكاية الصوتية واضحة فى الدلالة على السعة حين يلفظ الفم بكلمات « الارتياح والسماح والفلاح والنجاح والفصاحة والسجاحة والفرح والمرح والصفح والفتح والتسبيح والترويح » وما جرى مجراها فى دلالة لفظه على الراحة فى الضغط والتقييد فى مخارج الأصوات .

ولا يمتنع مع هذا أن تكون « الحاء » المنفردة حرفا سهلا قليل الحاجة إلى الضغط فى مخارج الصوت ، ولكن يجوز أن يكون البدء بها مقصوداً به عند وضع الكلمات الأولى أن تقبله الحركة التى تناقض معنى السعة لتدل على الحجر والتقييد ، فإن الجيم الساكنة بعد الحاء أشبه شىء بعلامة الإلغاء التى توضع على صورة الرجل الماشى على قدميه ، ليستفاد منها « أن المشى ممنوع فى هذا المكان » ... وكذلك الباء الساكنة بعد الحاء فى اسم « الحبس » فإنها تنفى السعة بعد الإشارة إليها فى أول الكلمة ، وهذا - كما قدمنا - فرض يجوز أن يخطر على البال قبل رفض القول بدلالة الحاء على السعة فى أواخر الكلمات ، وهى دلالة يعززها التكرار والإحساس بموقع الكلمات المنتهية بالحاء من الأسماع .

وقد [illegible] إلى دلالة الحكاية الصوتية [illegible] الأجانب فى خصائصها المعنوية [illegible] فى حكاية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأصوات من أصوات الأحياء أو أصوات الجمادات ، وإنما يقع بينها الاختلاف بمقدار صلاحها لحكاية الأصوات المسموعة ، فلا يلزم من مصاحبة بعض المعانى لبعض الحروف أن يكون ذلك شرطا ملازما لجميع حروف الهجاء .

فالميم ـ مثلا ـ فى أواخر الكلمات تدل دلالة لاشك فيها عند الاستماع إلى كلمات ، كالختم والحسم والجزم والحطم والختم والكتم والعزم والحزم ، القضم والقطم والكظم . وأمثالها كلمات لاتخلو من الدلالة على التركيد والتشديد والقطع الذى يدل على المعانى الحسية كما يستمار أحيانا لمعانى القطع بالرأى والإصرار على العزيمة .

وحرف السين على نقيض الميم لدلالته على المعانى اللطيفة كالهمس واللوسوسة والنبس والتنفس والحس والمساس والاقتباس ، ولكنه يتغير إذا تغير موقعه من الكلمة كما يلاحظ فى المشابهة اللفظية والمعنوية بين ، السد والشد والصد ، ... ولعله سر بيان العدوى والمشابهة بين الألفاظ المتقاربة مع طول الاستعمال إلى المعانى والدلالات .

وربما فعلت المجاورة فعلها عند نقل الحرف من الدلالة على المعانى الحسية إلى الدلالة على غيرها كما يلاحظ فى كلمات الكسر والقسر والعسر والأسر والخسر ومشتقاتها وفروعها ، وهى غير مجاورة الياء والفاء فى التيسير والتفسير .

وقد تكون الدلالة الصوتية مطردة متماثلة بين جميع الكلمات ولكنها تحسب من الاستثناء عند النظر إلى المعنى على اعتبارين غير متماثلين .

فالكتمان من الكتم شبيه بالكظم والقطم فى الحركة الحسية التى تصورها عند الإكراه على كتمان الصوت والنفس ، ولكن الكتمان يوحى إلى الذهن بالمعنى المطيف حين نريد به الخفاء والسكوت . ولا شذوذ هنا فى الدلالة الصوتية أو الدلالة الحسية وإنما يعرض للذهن وهم الشذوذ عند النظر إلى المعنى على اعتبارين مختلفين .

كذلك يتشابه السطر والشطر بصوت القطع ومعناه . ولكننا إذا نقلنا السطر إلى معنى الخط المكتوب فقد يوحى إلى الذهن معنى من معانى النحافة واللف والنحول . ويتباعد المسطور والمشطور على هذا الاعتبار ، وهما فى الأصل متقاربان .

ومن الأصوات ما يلوح لنا أنها متناقضة وهى لا تتناقض فى لبابها ولكنها تتناقض فى التقدير لأنها بطبيعتها متوقفة على المعانى التى تقترن بها ، وليست لها معان ثابتة بالنسبة إلى ذواتها .

ومن هذا القبيل كلمة الجليل وكلمة الذليل .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فإننا إذا نظرنا إلى اعتبار اللفظ فيهما وجب أن يكون معناهما واحداً لأن القاف لا تقل فى الضخم وبروز اللفظ عن الجيم .

ولكن العبرة بالشيء الذى تضاف إليه القلة أو الكثرة ، لا باللفظ الذى تسمعه الأذن من إلقاء الكلمة على انفراد .

فالقليل من القوة مثلا كثير من الضعف ، والكثير من المرض قليل من الصحة والخطب إذا جل قل الصبر على احتماله ، والجليل إذا غطى الشيء فالذى يظهر منه قليل .

وليس من العجيب - إذن - أن يأتى وصف الجلل بمعنى الجسامة كما يأتى بمعنى الهوان على الضدين .

* * *

والنتيجة بعد هذه الملاحظات السريعة قد تكون كبيرة الجدوى من التوسع فيها وتعدد النظر إليها من جميع جوانبها ، وخلاصتها :

« أولا ، أن هناك ارتباطا بين بعض الحروف ودلالة الكلمات .

و « ثانيا ، أن الحروف لا تتساوى فى هذه الدلالة ، ولكنها تختلف باختلاف قوتها وبروزها فى الحكاية الصوتية .

و « ثالثا ، أن العبرة بموقع الحرف من الكلمة لا بمجرد دخوله فى تركيبها .

و « رابعا ، أن الاستثناء فى الدلالة قد يأتى من اختلاف الاعتبار والتقدير ولا يلزم أن يكون شذوذاً فى طبيعة الدلالة الحرفية .

ولا نعرف بين اللغات الكبرى لغة أصلح من لغتنا العربية لهذا الباب من أبواب الدراسات اللغوية ، لأن مخارج حروفها مستوفاة متمايزة ، خلافا لأكثر اللغات التى تعوزها الفروق الطبيعية أو تلتبس فيها مخارج حروف الهجاء .

عباس محمود العقاد

التصر فى الاعمال

من كتاب أبى بكر لقواد المسلمين فى واقعة اليرموك :

« اجتمعوا فكونوا عسكرا واحدا ، والقوا زحوف المشركين بسيف المسلمين فإنكم أعوان الله ، والله ناصر من نصره ، وخاذل من كفره ، ولن يؤتى ملككم من قلة ، وإنما يؤتى العشرة آلاف والزيادة على العشرة آلاف إذا أتوا من انتقاء الذنوب ، فاحترسوا من الذنوب ، واجتمعوا باليرموك متساندين وليصل كل رجل منكم بأصحابه » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الإسلام والمجتمع

للأستاذ الدكتور محمد البهي

إن أى مجتمع إسلامى فى أى بلد إسلامى فى الوقت الحاضر تخلى عنه الاستعمار نتيجة لحركة الاستقلال الوطنية فيه ، وأصبح بفضل هذه الحركة مستقلا سياسيا — أخذ يتطلع إلى المجتمعات الأخرى المعاصرة التى تفوقت فى الصناعة وتقدمت فى البحث العلمى ، وبالتالى فى استغلال الثروات الوطنية . وارتفع بذلك مستواها الاقتصادى ودخل الفرد على السواء .

ومن حق هذه المجتمعات الإسلامية أن تتطلع إلى التفوق فى الصناعة والبحث العلمى . ومن حقها أيضا أن تسعى إلى رفع دخول الأفراد ومستواها فى الحياة الاقتصادية .

ومن حق هذه المجتمعات كذلك أن تفتش عن أسباب الضعف فيها ، وعن عوامل التخلف لتزيلها وتقضى عليها ، ثم تأخذ بأسباب القوة والتفوق .

ولكن أين تكمن أسباب الضعف وعوامل التخلف ؟ .

أتكمن فى البعد عن الإيمان بالإسلام وتطبيق مبادئه — كما يصورها القرآن والسنة الصحيحة — فى حياة المسلمين ؟ .

أم تكمن هذه الأسباب وتلك العوامل فى الانتساب إلى الإسلام والأخذ بتعاليمه ؟

إن هناك استعمارا خرج ، واستعمارا آخر يريد أن يدخل . هناك الاستعمار الذى خرج وهو الاستعمار الذى واجهته الحركة الوطنية الاستقلالية . ولم يخرج هذا الاستعمار إلا بعد أن فرق المجتمع الإسلامى إلى طائفتين رئيسيتين : طائفة أعدها وقت استعماره لمعاونته فى جهاز الحكم الداخلى . وهذه الطائفة بقدر ما أبعدها عن القيم الإسلامية ، بقدر ما قربها إلى أهدافه هو فى الحياة . وطائفة أخرى أهملها وانتقص شأنها ، وهى تلك الطائفة التى احتضنت تلك القيم الإسلامية ودافعت عنها ، وربما كافحها وعمل على إذلالها .

وبذلك وضع القيم الإسلامية فى ميزان الصراع بين الطائفتين فى المجتمع ، إحداهما تواجه الأخرى بالخصومة حول هذه القيم . طائفة ترضى عنها وتريد منها سبيلها فى الحياة وأخرى تنفر منها وتريد أن تبعدها كلية من توجيه الحياة .

وطول فترة الاستعمار يزود المستعمر الطائفة

أبو ذر الغفاري / مكتبتنا العربية

التي ابتعدت عن القيم الإسلامية وتحاول أن تتجنبها في توجيه الحياة — بالدراسات الإسلامية التي تصورها مصادر الاستشراق في أوربا على اختلاف عددها وألوانها، باللغات الأوربية الحديثة. وهي دراسات تهدف إلى إضعاف صلة المسلمين بالإسلام:

مرة عن طريق تشويه شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم بتصويره ذا ميل حيواني، أكثر منه صاحب رسالة للإنسانية، بسبب تعدد زوجاته وهن أمهات المؤمنين.

ومرة عن طريق تشويه الدعوة الإسلامية، عن طريق دعوى انتشارها بالسيف، وليس بالإقناع.

ومرة عن طريق تشويه المبادئ الإسلامية كمبدأ الجهاد في سبيل الله، ومبدأ ولاء المؤمن للمؤمن، والمؤمنة للمؤمنة، ومبدأ الطلاق. فيصفون الجهاد في سبيل الله بأنه حض على الاعتداء، ويصفون ولاء المؤمنين بعضهم لبعض بأنه حض على العزلة وعدم الاتصال بالأمم والشعوب الأخرى، ويصفون الطلاق بأنه تفكيك لروابط الأسرة وتمهيد لإشباع الرغبة الحيوانية بالزواج في حدود الشرع.

ومرة رابعة عن طريق وصف الإسلام كله بأنه دين البداوة، وأنه لا يتمشى مع الحضارة الإنسانية. لأنه ولد في الصحراء. وإن صلح فيما مضى فإنه لا يصلح لحياة المدنية والحضارة الإنسانية.

ويقرأ المثقفون على النمط الغربي هذه الأوصاف ولا يستطيعون أن يردوها أو ينقضوها لأنهم لا يعرفون من الإسلام إلا تلك المظاهر التي لمواطنيهم المسلمين. وهي مظاهر تدل في الجانب الفكري على جمود في الفهم، وتدل في العادات على حرص على المألوف، وفي السلوك على تواكل وتراخ في الأخذ بأسباب الحياة الإنسانية القوية.

بل كثيراً ما يصدقون وصف الغربيين المستشرقين للإسلام ومبادئه ورسوله. ومن أجل ذلك كانت رغبتهم القوية في تغيير وضع المجتمع على أساس من فصل الإسلام عن التوجيه وجعله عبادة تربط بين الفرد وربه، دون أن يكون له أثر في علاقات الأفراد بعضهم ببعض أو في ربط المجتمع بمجتمع آخر.

ولكن مع ذلك لولا تلك الطائفة الأخرى التي احتضنت الإسلام ودافعت عنه، وتعرضت للإذلال المستعمر وهجومه واستخفافه لما خرج المستعمر من أي بلد إسلامي احتله فترة طويلة.

إن إيمان هذه الطائفة بالله وبالإسلام -

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مع ما قد يكون لها من بعض الأفهام الخاطئة لتعاليم الإسلام ـ هو الذي أطلق المستعمر في استهتاره ، وهو الذي أيأسه من البقاء ومن ثم آثر السلامة بالخروج من الوطن الإسلامي .

وإن المجتمعات الإسلامية التي تحررت من الاستعمار الغربي لم تتحرر منه نتيجة لجهود المنظمات الدولية ، وإنما تحررت بفضل تضحيات الوطنيين في سبيل الله . ولولا مبدأ الجهاد في سبيل الله ـ الذي هو مبدأ رئيسي في النظام الإسلامي ، والذي يصفه الاستعمار بالرغبة في الاعتداء ـ لما تحررت الشعوب الإسلامية ، ولبقيت في مجتمعات المستعمرين كطبقة دنيا بين طبقاته .

وإن تلك الطائفة الثانية في المجتمع الإسلامي المدينة بوجودها في صف قيادة المجتمع إلى الطائفة الأولى ، وإلى إسلامها وجودها في التمسك بالإسلام . ولولاها لبقيت في تبعية المستعمر وفي خدمته ، ولربما [illegible] بدلا من أن [illegible] والدفاع عن [illegible]

[illegible] سوى الإيمان بالله والإيمان بالإسلام . وإن هذا الإيمان بالإسلام لولا أن نقله شيوخ الجزائريين إلى شباب الجزائر لما قامت هذه الحرب ولما استمرت . إذ فعل المستعمر الفرنسي في الجزائر ما وسعه في إبادة مقومات الشخصية الجزائرية : فحال دون تعلم اللغة العربية وتعليمها ، وحال دون دخول المساجد والتعبد فيها ، وحال دون الاطلاع على التاريخ العربي والإسلامي المجيد والتأثر بأحداثه في استقلال شخصية المجتمع الإسلامي . وفي الوقت نفسه قدم في المدارس التي أنشأها مسخاً شنيعاً للإسلام وتعاليمه ، وتمجيداً لإنسانية فرنسا ومدنيتها . ومع ذلك لولا الإيمان بالله وبالإسلام لما قامت هذه الحرب ، فضلا عن أن تستمر .

إن الذين يمارسون اليوم دور القيادة في المجتمعات الإسلامية عليهم أن يراجعوا تاريخ أنفسهم وتاريخ خصومهم من الذين لا يزالون يحتضنون القيم الإسلامية ويدافعون عنها ، وسيعلمون يقينا أن دور خصومهم في المجتمع أيام الاستعمار هو الذي مهد لهم الطريق للقيادة في عهد الاستقلال ، وأن بقاء المجتمع وقوته ليسا في إبعاده عن تراثه الروحي والفكري ، وإنما في صيانة هذا التراث وحده .

أبو ذر الغاضلي / مكتبتنا العربية

الإسلام ليس وضع المسلمين فى سلوكهم :

ولكن مع ذلك لا نريد أن ندافع عن الوضع الحالى للمسلمين فى أى مجتمع ، كما لا نريد أن نشتق منه تعاليم الإسلام على نحو ما يصنع المستشرقون . إن وضع المسلمين فى أى عهد لا يمثل تماما تعاليم الإسلام . والقرآن ـ وحده ، والسنة الصحيحة بجانبه ـ هو الذى يصور هذه التعاليم حق تصويرها .

إن الإســـلام دين المجتمع البشرى . ومن لا يدرك هذا فقد أدخل فى مفهوم الإسلام ما ليس منه .

هو دين تناول بناء الفرد ، وبناء الأسرة ، وسياسة الأفراد فى علاقاتهم بعضهم ببعض داخل المجتمع . وتناول أيضا سياسة المجتمع قام على الإيمان بالإسلام نحو مجتمع آخر لم يشاركه هذا الإيمان .

إن سياسة بعض الدول الكبرى فى عصرنا الحاضر تسقط اعتبار المواطن الذى لا يؤمن باتجاه الدولة فيها وسياسة البعض الآخر منها تعتبر ما لا يدور فى فلكها وفى اتجاه سياستها الدولية من شعوب أخرى فى حساب الخصوم والأعداء . ولكن الإسلام ـ لأنه دين الإنسانية ـ لا يمس كيان مجتمع آخر مقابل له فى الإيمان والنظرة إلى الحياة ولا ينظر إليه نظرة عدائية ، مادام أن هذا المجتمع يجنح إلى السلم وعدم الاعتداء : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم » . كما أنه لا يجرد الفرد غير المسلم من اعتبار الإنســـانية ووجوب الرعاية وبالأخص من ممارسة العدل معه ، ما دام لا يرتكب الظلم والعدوان : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا . اعدلوا ، هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله » .

ومع اختلاف الإسلام عن النظرات التى توجه المجتمع الإنسانى الحديث فى الموقف تجاه الذى لا يؤمن بالقيم التى يدعو إليها — فردا أو مجتمعا — فهذه النظرات الفلسفية المعاصرة تحاول أن ترى الإسلام على أنه وجد لحقبة معينة من الزمن هى حقبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولمكان معين هو شبه الجزيرة العربية ، ولقوم خاصين هم القبائل العربية التى لم يكن لها حظ من الحضارة الإنسانية . ومن ثم فالإسلام لا يستطيع أن يسهم فى الحضارة البشرية المتطورة ، ولا فى الاحتفاظ بما حصلت عليه الإنسانية الآن من هذه الحضارة . والتمسك به معناه التمسك ببداءة الإنسانية فى طورها البدائى ـ وهو الطور الذى جاء فيه ـ أو معناه إمساك الإنسانية عن أن تسير نحو الأمام . وهذا أو ذاك ضد الطبيعة البشرية المتغيرة المتطورة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إن المعيار الذى يخضع له الإسلام فى الحكم وتخضع له أيضا الاتجاهات الفلسفية المعاصرة من التقدمية أو الديمقراطية ، ومن الاشتراكية أو الحرية الفردية — هو المستوى الإنسانى الذى تتحقق فيه خصائص الإنسانية . فبقدر قرب المبادئ أو بعدها التى يتكون منها الإسلام أو تدعو إليها الاتجاهات المعاصرة من هذا المستوى ، وبقدر تمثيلها أو عدم تمثيلها إياه — بقدر ما يكون الإسلام أو تكون تلك الاتجاهات صالحة أوغيرصالحة للطبيعة الإنسانية ولحياة الإنسان التى يريد أن يصعد إليها فى مراحل تطوره من الطفولة البشرية إلى نضوج الإنسانية .

ولا يختلف اثنان مطلقا فى أن المستوى الإنسانى هو غاية الحياة الإنسانية ، والهدف الأخير للتوجيه باسم هداية الله أو باسم التنوير والتبصير عن طريق المعرفة المستخلصة من واقع الكون أو التى يرسمها العقل البشرى .

ولا يختلف اثنان أيضا على الإطلاق فى أن التجربة التى يمر بها المجتمع الإنسانى فى ظل توجيه معين — مهما بدا فيها التقارب بين سلوك المجتمع ومبادئ التوجيه — لا تعبر تماما عن مبادئ التوجيه نفسها ، على نحو ما توحى هذه المبادئ عندما تستوحى ويطلب إليها الإدلاء بمضمونها أمام العقل غير المتأثر . فالتجربة الإنسانية فى ظل توجيه معين قد يعوقها عدم تفاعل بعض أفراد المجتمع مع المبادئ تفاعلا نفسيا داخليا . ولذلك يكون تعبير المجتمع عن هذه المبادئ غير صادق تماما .

ومن هنا كان « عمل أهل المدينة » — الذى ارتضاه المالكية دليلا معبراً عن مبدأ إسلامى تضمنته السنة القولية للرسول صلى الله عليه وسلم — غير كاف فى نظر الشافعية ليكون معبراً تماما عن هذا القول ويروى لذلك عن الشافعى أنه يقول : « إذا صح الحديث (القولى) فهو مذهبى » .

وهذا العمل الذى لم يقتنع به الشافعى كمعبر تماما عن السنة القولية هو عمل أهل المدينة ، أى عمل الرعيل الأول الذى باشر صحبة الرسول وعاش فى أحداث الوحى والدعوة إلى الإيمان بما نزل به عليه صلى الله عليه وسلم . فهو ألصق بمبادئ الإسلام وأدنى إليها من أى رعيل آخر بعده ولذلك كان أعلى منزلة ، والمجتمع الذى تكون منه كان أفضل المجتمعات الإسلامية :

(خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم) .

وعلى هذين الأساسين كلما كانت طبيعة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مبادئ التوجيه مساوقة للطبيعة البشرية : في تكوينها . وفي تطورها . وفي غايتها في الوجود - كان النظام القائم على هذه المبادئ أهدى للبشرية وأكثر إيجابية في تفاعله معها . لو نقيت هذه الطبيعة من الرواسب التي رسبت في توجيهها اللاشعوري، وكونت فيها عاملا مضادا أو مصدراً للانحراف عن خصائص الطبيعة النقية الصافية .

والطبيعة البشرية طبيعة حيوانية عاقلة ، طبيعة مادية روحية . فيها الازدواج والتقابل فيها الميل إلى الارتباط بعالم الحس ، وفيها الاتجاه إلى الانفصال عنه والحكم عليه . تتكيف بالوجود الواقعي وتتأثر بما يدور فيه ، وترتفع فوق التأثرية فتؤثر فيه .

إن أريد لها عن طريق توجيه ما أن تظل متأثرة بالوجود الواقعي أو بما يسمى عالم الحس . فهذا التوجيه قد بعد عن هذه الطبيعة البشرية بمقدار ما نحى عنها جانب الاتجاه فيها إلى الحكم عليه . وإن أريد لها عن طريق توجيه آخر أن تظل فوق هذا الوجود الواقعي لتحكم عليه فهذا التوجيه قد بعد عن هذه الطبيعة بمقدار ما أهمل فيها جانب النزوع إلى الارتباط بعالم الحس والواقع .

والواقعية أو المادية في التوجيه هي التي تعطي القيمة الأولى والأخيرة لبقاء الإنسان متأثراً بالواقع دون غيره ، لذلك ليست بأكثر حظا في الملاءمة للطبيعة البشرية من المثالية العقلية التي تعطي الوزن الأول لعقل الإنسان وتفكيره دون اعتبار كثير أو قليل للوجود الواقعي الذي يتأثر به الإنسان .

فإذا كان هناك توجيه متوازن ، يرعى التقابل في طبيعة الإنسان ، ويرعى تأثره بالواقع وحكمه عليه - فذلك هو النظام التوجيهي الذي يلائم طبيعة الإنسان وهو الذي يعيش مع الإنسان ، ويصل به المجتمع إلى هدفه في تحقيق المستوى الإنساني .

الإسلام هو المصدر الطبيعي لتوجيه الإنسان

فهل الإسلام هو مصدر ذلك التوجيه المتوازن ؟ . هل الإسلام يدعو الإنسان إلى الارتباط بالواقع والحكم عليه معا ؟ .

الإسلام في توجيه الإنسان إلى الإيمان بالله دعاه إلى النزول إلى الواقع والتماس الدليل منه: « خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين . والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ، إن ربكم لرءوف رحيم . والخيل والبغال والحمير

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون ... هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر ، والنجوم مسخرات بأمره . إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفاً ألوانه ، إن فى ذلك لآيات لقوم يذكرون . وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهاراً وسبلا لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم يهتدون . أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم »

وفى الوقت نفسه لم يجعل القرآن طبيعة الإنسان طبيعة انطباعية خالصة ولم يجعلها طبيعة منفعلة بالواقع المحسوس دون أن يكون لها حكم عليه . بل أكد العقل والفكر فى هذه الطبيعة وأكد حكمها فقال : « إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ، إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » والعقل لا يحكم حكما صحيحا ، والفكر لا يستقيم تأمله ثم لا يستقيم تحليله إلا إذا كان كل منهما فوق الانفعال والانطباع فى اللحظة التى يحكم أو يفكر فيها .

وواضح أن الإسلام ، كما يطلب من الإنسان ألا يغفل واقعه المحسوس ، يطلب منه أيضاً أن يخرج الفكرة فوق واقعه المحسوس . هذا ليحكم عليه حكما صحيحاً — ذلك واضح من قوله تعالى : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » . والأنفس هى التى شرحها القرآن الكريم : « وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون » . « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » . فنظرة الإنسان إلى نفسه ليست نظرته إلى واقعه ، وتأمله فيما زود به من مصادر المعرفة — وهى السمع والبصر والأفئدة — ليس هو تأمله فيما يحيط به من شخص ملموس . والإنسان فى عقله عن واقعه يستطيع أن يدرك الألوهية ، كما يستطيع أن يدركها من واقعه المشاهد .

وهكذا يستطيع الإنسان بفكره أن يكون فوق الواقع ، ولكنه مع ذلك يكون فى صلة بالواقع وليس بعيداً عنه .

ولكى يتمكن العقل من حكمه الصحيح ويتمكن الفكر من تحليله وتأمله المستقيم طالب الإسلام الطبيعة البشرية بألا تكون

أبو ذر القاضي / مكتبتنا العربية

تحت سلطان الواقع وحده ومتأثرة به غير مؤثرة فيه . وهنا كان مركز « الزهد » فى تعاليم الإسلام . والزهد ليس تنفيراً من الواقع ، إنما هو تنبيه فقط لعدم الانزلاق تحت طغيانه . فإذا قال القرآن الكريم : « يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » . وقال : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » . — لم يكن منفراً من الواقع إطلاقا . لأن إنكار تحريم الزينة فى هذه الصورة ، ثم طلب الزينة نفسها من الإنسان حتى بين يدى الله — تدل دلالة واضحة على أن الواقع والوجود المادى له قيمته واعتباره فى حياة الإنسان . ولكن الذى يطلب من الإنسان فى نظر الإسلام فى هذا المجال أن لا يؤثر الإنسان الدنيا على الآخرة : « فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وما له فى الآخرة من خلاق » . بل يكون للآخرة نصيب فيما يهدف إليه : « ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب » .

ومعنى إيثار الإنسان الدنيا على الآخرة إيثاره الوجود المادى وحده على الوجود المعنوى . والوجود المعنوى هو وجود القيم التى يدركها العقل الإنسانى ويتصورها أهدافا لحياة الإنسان من العدل ، ورعاية الحرمات ، والأخوة الإنسانية ..... وتعبير الدين عن هذا الوجود المعنوى بالآخرة سببه أن آثاره باقية مع الإنسان ، والجزاء الأوفى عليها لا يكون بمتع الدنيا المادية وإنما يكون بمتع باقية أخرى . وهذه تكون فى العالم الباقى ، وهو ما وراء ذلك المحسوس المشاهد .

وهكذا تعاليم الإسلام فى توجيهها الإنسان لم تشأ أن تنقله من طبيعته ، ولم تحاول أن تقوم جانباً منها دون جانب آخر . ومحاولتها فى التوجيه هى أن تحقق للإنسان ذاتيته الإنسانية . وهى تلك الذاتية المتقابلة المزدوجة المتفاعلة التى تعيش فى الواقع وفوق الواقع ، والتى تحس الشاهد وتفكر فيما وراء الشاهد ، والتى تتأثر بالوجود الواقعى الذى يعيش فيه الإنسان ، وتؤثر فى هذا الوجود بالحكم عليه وبتقديره .

ما دام الإسلام هو المصدر الطبيعى لتوجيه الإنسان فهو دين البشر والإنسانية . ولا انفكاك لمجتمع يريد أن يحقق إنسانيته من الإسلام إيمانا ومنهجاً فى الحياة .

الدكتور محمد البهى
المدير العام للثقافة الإسلامية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أسس التعامل في الإسلام
كما يقررها القرآن الكريم

للأستاذ محمد محمد المدني

١ — « إني جاعل في الأرض خليفة » :

« وهو الذي جعلكم خلائف الأرض » .

« وسخر لكم ما في السموات والأرض جميعاً منه » .

« آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » .

« وآتوهم من مال الله الذي آتاكم » .

هذه نصوص كريمة من كتاب الله تعالى تقرر الحقيقة في شأن الإنسان وعلاقته بالأرض التي يسكنها ، وما فيها من أموال وأشياء ذات قيمة يتصرف فيها .

فأول هذه النصوص يدل على أن الله استخلف في هذا الكوكب الذي نعيش فيه أبا البشر الأول ، وهو آدم عليه السلام ، ومعنى استخلافه في الأرض أنه خوله إياها ، وجعله صاحب السلطان فيها ، ليعمرها ويثيرها وينتفع بها ما شاء ، وهيأ له كل الوسائل التي تمكنه من تحقيق هذه الخلافة على أكمل وجه ، فعلمه الأسماء كلها ، أي أودع فيه من العقل وأساليب التفكير والتأمل ما يؤدي به إلى علم الأصول والعناصر والمبادئ التي منها تتكون الأشياء والحقائق ، كما أودع هذه الأرض كل ما تكون به صالحة للحياة ، متهيئة للتطور : « ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش » .

والنص الثاني يفيد أن هذا الوضع بالنسبة لآدم قد استمر بالنسبة لذريته ، فقد جعلهم الله أيضا خلائف الأرض كما جعل أباهم ، فالبشر كلهم إلى يوم القيامة خلفاء في الأرض لهم حق التصرف فيها ، وقد مكن الله لهم كل ما يحقق لهم معنى الخلافة من الأمور التي طبعهم عليها ، وما ذرأ لهم في الأرض نفسها .

والتعبير بمادة الخلافة في تقرير هذا المعنى بالنسبة للأب الأول ولأبنائه الذين جاءوا من بعده يدل على أن تصرف الإنسان في الأرض وما فيها ليس تصرف المالك بنفسه ، وإنما هو تصرف النائب والخليفة ، فالملك في الحقيقة لله وما مثل الإنسان في هذا الملك إلا كمثل العبد الذي أذن له سيده في التصرف باسمه وفي حدود أمره وما يرسم من خطة ومنهج

والنص الثالث يقرب هذا المعنى أيضا في جانب التسخير والتيسير والتطويع لكل ما

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

في السموات والأرض حيث جعلها الله جميعاً بقوانين إلهية وسنن كونية من صنعه هو وحده ، خادمة للإنسان تعمل من أجله ، وتخضع لنظره وانتفاعه واستغلاله بحسب ما علمه الله ، فهي أيضاً برحمة من الله ، والإنسان في شأنها أيضاً لا يعمل باسمه ولكن باعتباره خليفة ونائباً عمن خوله هذا العمل ومكنه منه .

والنصان الرابع والخامس يقرران هذه النيابة أيضاً في شأن المال وكل ماله قيمة في هذه الحياة فإنما الإنسان في هذا كله مستخلف فيه وليس مالكاً على الحقيقة ، والمال كله مال الله الذي آتاه الناس .

والخلاصة : أنه لا ملك للإنسان على الحقيقة لشيء ما ، وإنما هو قائم بأمر الله على وجه الخلافة والنيابة ، ومن شأن النائب أو الخليفة أن يترسم أوامر من أنابه واستخلفه وألا يحيد عنها قيد أنملة .

* * *

٢ — « وقل اعملوا » :

« من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها » .

« كل نفس بما كسبت رهينة » .

« قل كل يعمل على شاكلته » .

« من يعمل سوءاً يجز به » ، « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » .

وهذه النصوص كلها تتحدث عن (العمل) وتقرر أنه هو الأساس الذي بنى الله عليه استحقاق الإنسان للحياة الطيبة والآثار النافعة والجزاء الحسن ، ويغلب على أسلوب هذه النصوص ظاهرة التعليق بالشرط والجزاء أو ما في معناه ، نريد بذلك الأسلوب الذي يتلخص في (اعمل تجد ثمرة عملك) .

وهذا يوحي بأن الانتفاع بثمرات الأرض والأموال والأشياء التي استخلفنا فيها مرتبط تمام الارتباط بالسعي والعمل والجد والاجتهاد ومقدار ما يبذل المرء من نشاط — ذكراً كان أو أنثى — وأن هذا قانون الله الذي استخلف عباده في أرضه .

وبهذا يتبين أن الله تعالى يأمر كل فرد بأن يكون له في هذه الحياة عمل يؤديه ، ولا يرضى لأحد من عباده أن يعيش كلا على مجتمعه ، وعبئاً وعالة على من دونه من الناس وأن كلا يجب أن يعمل على شاكلته : فهذا زارع وهذا تاجر وهذا صانع وهذا معلم وهذا موجه وهذا موظف على مرفق من مرافق الأمة . وبذلك يتحقق التعاون بين أفراد المجتمع بعضهم وبعض لمصلحة المجتمع ، ثم بين المجتمعات بعضها وبعض والشعوب بعضها وبعض لمصلحة العالم أجمع .

والخلاصة : أنه لا بد لمن استخلفه الله أن يعمل ، وأن لا يباح لأحد أن يظل كسلان وأن يعيش عالة على من سواه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٣ — « لا يستوى الخبيث والطيب » :

« يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » .

« ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون » .

« يمحق الله الربا ويربى الصدقات » .

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين » .

« يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم » .

« لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث » .

« إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا » .

هذه النصوص الكريمة ، وكثير غيرها فى كتاب الله تعالى ترسم النهج السوى والصراط المستقيم فى (التكسب المشروع) عن طريق تحريك المال والتجارة .

وهى تحرم أنواعا من التكسب كالربا والرشوة وأكل مال اليتيم ومثل ذلك فى غير هذه الآيات تحريم الميسر والقمار ، وذلك لأن الاكتساب عن هذه الطرق إنما هو ابتزاز للمال بدون مقابل من خدمة عينية أو تجارية فهى أبواب للتبطل وبقاء فريق من الأمة يعيش على كد سواه ولا يقدم عملا يكون به متعاونا مع مجتمعه ، وكذلك الشأن فى الاكتساب من أعمال غير مشروعة كأجر البغى أو الرشوة التى يأكلها المرتشى فى مقابل ما يسهله من عمل أو صفقة أو نحوها فإن من شأن هذا كله أن يوجد فى الأمة لونا من ألوان الاحتراف الباطل فى صورة من الصور .

والقرآن الكريم الذى يمنع هذه الصور من التعامل والكسب الحرام يبيح التجارة ، بل يحث عليها إذ يأمر المؤمنين أن يبتغوا فضل الله — أى الربح عن طريق التجارة أو العمل بعد الصلاة ، وينفى الحرج فى ابتغاء فضل الله بالنسبة لمن يلابسون أعمال الحج إذ يقول لهم : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله » ومثل هذا ما ورد فى سورة الجمعة حيث يقول عز وجل : « أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » .

ومعنى هذا أن التجارة يمكن مزاولتها قبيل الصلاة وبعدها ، ويمكن مزاولتها أيضا فى أثناء عبادة الحج .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٤ — « لا تظلمون ولا تظلمون » :

« يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » .

« ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما » .

« وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم » .

« ولا تبغ الفساد فى الأرض » .

« ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

لكل معاملة من المعاملات أركان طبيعية هى : —

١ — العاقدان .

٢ — والشىء المعقود عليه .

٣ — والصيغة التى يكون بها العقد .

ونرى الشريعة الإسلامية تشترط فى كل ركن من هذه الأركان الطبيعية ما يقطع النزاع ، ويسد أبواب الخصومة والضغائن

فالعاقدان لابد أن يكونا راشدين عاقلين عالمين بما يتعاقدان عليه ، ولا يجوز التعامل مع السفيه ، ولا مع الصغير الذى لا يميز ، ولا مع المجنون ، ولا مع الغافل وذلك لأن التعاقد ما لم يكن على بصيرة وفهم وقدرة على الموازنة بين البذل والأخذ ، فإنه كثيراً ما يكون مثاراً للخلاف المؤدى إلى النزاع والخصام أو الحقد والاضطغان ، وكلاهما يكدر صفو المجتمع ، ويزلزل أمنه واستقراره .

والشىء المعقود عليه يجب أن يكون مملوكا لصاحبه ، وإلا كان تصرفه فيه باطلا ، لأنه تصرف فى ملك غيره .

ويجب أن يكون ذا فائدة معتد بها شرعا ، وإلا كان التصرف فيه ترويجا للفساد أو عبثاً .

وبهذا وذاك يصان المجتمع مما يؤدى إلى الخلاف أو يثير النزاع أو يروج للفساد .

والصيغة التى يكون بها التعاقد لابد أن تكون واضحة فى إفادة معنى الرضا والقبول عاده دون تأثير أو ضغط بإرهاب أو تخجيل ، أو استغلال للفظ على سبيل التلاعب ، أو نحو ذلك .

وقد اعتد الشارع بكل أمارة يتبين بها أن التعاقد صورى أو مشوب بنوع من أنواع الإكراه ، ورتب على ذلك فساد التعاقد ، وعدم استتباعه لآثاره .

تلك هى الشروط التى تشترط فى أركان العقد ، ولهذا نهى الشارع عن كل معاملة تثير نزاعا من أية ناحية فلا مزيتة ولا ملامسة ولا منابذة مما كان يفعله أهل الجاهلية .

ونهى عن بيع ما فى بيعه غرر : كالمجهول والآبق ونهى عن الغش والغبن الفاحش .

وقد كان للناس معاملات قبل الإسلام ، فأقر منها ما لا يؤدى إلى ضرر ، أو يجر إلى محرم ، وأبطل منها أو عدل ما يؤدى إلى ذلك .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهذا هو أحد الأصول القاطعة فى تحليل ما أحل وتحريم ما حرم .

* * *

٥ — « ولا تنسوا الفضل بينكم » :

« ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

« ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم » .

« إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم » .

بعد أن يتحقق فى الكسب ما ذكرناه ، نرى الشريعة الإسلامية تسمو فوق هذا المستوى فتنحو بالأمر نحواً خلقياً كريماً ، وترسم للمتعاملين سبيلا مهذباً من شأنه أن يجعل مجتمعهم راقياً فاضلا ، وأن يدين بينهم مع التعاون معنى الحب والمودة والاحترام .

هذه السبيل هى رعاية الجانب الخلقى ، والنظر إلى ما تقضى به الفضيلة حتى لا يكون التعامل جافا غليظا ، أو يكون غرض كل من المتعاملين استغلال مواهبه فى استلاب ما يمكن استلابه من صاحبه .

ويظهر ذلك من الأحكام الآتية :

١ — تستحب الإقالة إذا طلبها أحد المتبايعين ، وذلك أن يندم أحد المتعاقدين على ما التزم ، ويتبين له أن التزامه ليس من مصلحته فيطلب من صاحبه أن يقيله ، وقد ورد فى بعض الآثار :

(من أقال نادما أقاله الله يوم القيامة) .

٢ — يكره أن ينفلت الرجل من مجلس البيع متخفيا قصداً إلى تفويت حق صاحبه فى خيار المجلس .

ومعنى ذلك أن المتبايعين بالخيار ما لم يتفرقا ، فقد يشعر أحدهما بأنه الغائن ، فإذا استمر فى المجلس تبين صاحبه الأمر فرجع فى العقد ، فهو لذلك يغافله ويهرب من المجلس ليثبت العقد تثبيتا نهائياً بالتفرق ، فالشارع ينهى عن ذلك وهو معنى خلقى كريم يلتفت إليه الإسلام هذا الالتفات العجيب .

٣ — نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تلقى الركبان ، وذلك أن يخرج طالب السلعة إلى طريق جالبها فيلقاهم قبل أن يصلوا بها إلى السوق العامة فيشتريها دون الناس .

ولاشك أن من يعمل ذلك أنانى يؤثر نفسه وفى النهى عن ذلك تأديب وتهذيب .

٤ — نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يبيع حاضر لباد ، وقال :

« دعوا الناس فى غفلاتهم يرزق الله بعضهم من بعض » .

ولا شك أن أهل البادية إذا اعتمدوا فى بيعهم على أهل الحاضرة غلا السعر ، وبطل جانب من المساهلة والمسامحة .

[البقية على الصفحة التالية]

نفحات القرآن

حياتنا الدنيا مرحلة اختبار في العمل للدين وللدنيا ثم مردنا إلى الله ليجزينا بعدله ..!

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

ا ـ وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون
ب ـ والدار الآخرة خير للذين يتقون: أفلا تعقلون؟

هذا شطر من آية كريمة وردت في معرض القصص عن اليهود . . . وقد كان من ذلك القصص أن الله أضفى عليهم خيرا كثيرا ، وأصابهم كذلك بشر كثير : فهم يتقلبون

---

٥ — يستحب السماحة في البيع والشراء والأخذ والعطاء وفي الحديث : « رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى » .

٦ — يحرم الاكتساب وابتغاء عرض الدنيا بما هو محرم أو بما ينافي الخلق والفضيلة ، كالربا والقمار ، واتخاذ النساء وسيلة ، واحتكار الطعام وما يضر احتكاره من الضروريات .

٧ — يحرم البيع ساعة النداء للجمعة ؛ لأن فيه إيثاراً لعرض الدنيا على الآخرة وفيه إلى جانب ذلك ظهور بمظهر الجشع والتهف ، وهو مظهر ينافي الخلق الكريم .

٨ — نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحلف على السلعة لترويجها لأنه نزول باسم الله العظيم إلى موطن المسارمة والتغرير .

* * *

هذه هي الأسس التي ينبني عليها أمر التعامل في الإسلام ، الأمر في « الكسب المشروع » ولم نقصد بما أوردناه من الأمثلة استيعابا ولا إفاضة في البيان وإنما أردنا لفت الأنظار إلى أنواعها بقدر المستطاع .

إن الفقه الإسلامي هو فكرتنا ومنهجنا في الحياة ، ولكل أمة نظام ونهج وفكرة تدعو إليها ، وتحاول جمع الناس عليها .

فليجمع المسلمون أمرهم على هذا التراث المجيد وليجعلوه منهاجهم الذي عليه يسيرون ، وإليه يدعون ؛ والله المستعان . والحمد لله رب العالمين .

محمد محمد المدني
عميد كلية الشريعة

نفحات القرآن

حياتنا الدنيا مرحلة اختبار في العمل للدين وللدنيا ثم مردنا إلى الله ليجزينا بعدله ..!

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

ا ـ وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون
ب ـ والدار الآخرة خير للذين يتقون: أفلا تعقلون؟

هذا شطر من آية كريمة وردت في معرض القصص عن اليهود . . . وقد كان من ذلك القصص أن الله أضفى عليهم خيرا كثيرا ، وأصابهم كذلك بشر كثير : فهم يتقلبون

---

٥ — يستحب السماحة في البيع والشراء والأخذ والعطاء وفي الحديث : « رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى » .

٦ — يحرم الاكتساب وابتغاء عرض الدنيا بما هو محرم أو بما ينافي الخلق والفضيلة ، كالربا والقمار ، واتخاذ النساء وسيلة ، واحتكار الطعام وما يضر احتكاره من الضروريات .

٧ — يحرم البيع ساعة النداء للجمعة ؛ لأن فيه إيثاراً لعرض الدنيا على الآخرة وفيه إلى جانب ذلك ظهور بمظهر الجشع والتهف ، وهو مظهر ينافي الخلق الكريم .

٨ — نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحلف على السلعة لترويجها لأنه نزول باسم الله العظيم إلى موطن المسارمة والتغرير .

* * *

هذه هي الأسس التي ينبني عليها أمر التعامل في الإسلام ، الأمر في « الكسب المشروع » ولم نقصد بما أوردناه من الأمثلة استيعابا ولا إفاضة في البيان وإنما أردنا لفت الأنظار إلى أنواعها بقدر المستطاع .

إن الفقه الإسلامي هو فكرتنا ومنهجنا في الحياة ، ولكل أمة نظام ونهج وفكرة تدعو إليها ، وتحاول جمع الناس عليها .

فليجمع المسلمون أمرهم على هذا التراث المجيد وليجعلوه منهاجهم الذي عليه يسيرون ، وإليه يدعون ؛ والله المستعان . والحمد لله رب العالمين .

محمد محمد المدني
عميد كلية الشريعة

بين حسنات وسيئات لتكون لديهم فرصة الرجوع إلى الله إذا كانت فيهم نفايا كريمة يستبينها الخير ، أو كانت فيهم نفوس لئيمة يقصمها الشر ، ويردعها التخويف .

فإن يكن فى اليهود هذا وذاك فقد أتاح الله لكلا النوعين ما يلائم نزعته ، وهيأ له سبيل توبته :

فإذا لم يكن منهم تأثر بالخير ، ولا عبرة بالشر فإن ذلك يكون امتحانا تنكشف به خباياهم ، ويعلم منه اليهود ، ومن حولهم ، ومن بعدهم ما كان خافيا عليهم من طويات النفوس ، وتقوم عليهم الحجة بما جنوا على أنفسهم فى الحياة حتى حذقوا فى الاختبار .

فماذا صنع اليهود إزاء ما ابتلاهم ربهم به من حسنات وسيئات .

حدثنا القرآن بامتداح نفر منهم آمنوا بموسى من قبل : إيمانا صادقا ، « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق ، وبه يعدلون » .

ثم حدثنا القرآن كثيرا عن الآخرين منهم بغير ما ذكر عن صالحيهم الأولين ، فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ، يأخذون عرض هذا الأدنى ، ويقولون سيغفر لنا ، وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه . . ! ! » . أى لم يكن منهم إيمان وشكر على النعمة ، ولا عبرة وازدجار بالنقمة ، بل توسع هؤلاء الخلف فى الفتن ، وأوغلوا فى الفساد ، وخالفوا ما عرفوه من التوراة ، وأقبلوا على الدنيا فى غير اعتدال ، ولا تعفف : وهم مع ما يرتكبونه من نقائص يزعمون لأنفسهم مكانة عند الله ، ويقولون : سيغفر لنا ما ارتكبنا ، لأننا أبناء الله وأحباؤه ! هم مع إسرافهم فى الانخراط ، وشعورهم بأن وراءهم حسابا ينتظرهم يعللون أنفسهم بأنهم من أهل المغفرة ، ولا يكفون أنفسهم عن المخازى ، بل يتمادون فيها ، وإن يأتهم حطام دنيوى يفتنهم كما فتنهم الحطام الحاضر يقبلون عليه فى كلب وجشع غير ذاكرين ما فى التوراة من توجيهات ، ولا مراعين ما بها من مواثيق ، ولا مستشعرين ما يقتضيه الإيمان من الوفاء بعهد الله ، كما هو شأن المؤمن الصادق فى دعواه ، وكما هو مفروض فيمن تصادفه النعمة فتثير فيه نزعة الخير ويشكر ، أو تصادفه نقمة فتنبه فيه بلادة الحس ، ويثوب إلى رشده ، ويخشى بأس الله .

هم سادرون فى غرورهم أو غفلتهم ، ومزاعمهم ، والله تعالى يزجرهم عن الكذب عليه ، ويذكرهم بما فى كتابهم من قبل أن يحرفوه ، وينفى كل ما يتعللون به من أمل فى تكريمه لهم ، « ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ـ التوراة ـ ألا يقولوا على الله إلا الحق ، ودرسوا ما فيه ـ فهم فاهمون له . ولا عذر لهم فى الخروج عنه » .

نعم ! ! فى التوراة عهود أكيدة ، بينها الله لبنى إسرائيل ، وكلفهم أن يأخذوا بها ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

دون عبث فيها ، ولا تنصل منها ، وهم عارفون بها .

ولكن : أين الوفاء عند قوم تحولت ميولهم عن جانب الخير ، وغلبت عليهم خساستهم ؟ وهنا : يكون اختبارهم بالحسنات أو بالسيئات غير مجد فى تقويمهم ، ومظهرا لما علم الله من طويات نفوسهم : فهم عصاة معاندون لله ، لا أبناؤه ، ولا أحباؤه ! .

ـ والله تعالى ـ يبعدهم عن الأمل الكاذب الذى يتشبثون به ، ويجعل وعده بالقبول والرضوان لغير من يكون على نمط اليهود ، فيقول :

« والدار الآخرة خير للذين يتقون ـ أفلا تعقلون » .

فليست الآخرة خيراً للكاذبين على الله ، ولا للناقضين مواثيقه وإنما هى خير للممتثلين لدعوة الله الذين لا يكفرون بنعمته ، ولا يتبجحون عند بلائه .

وهذا مفهوم واضح ، توحى به آيات الله وتهتف به دعوة الرسل ، وهو غاية مقررة يجب أن تهبط إليها العقول ، فاعقلوها قبل أن تتورطوا فى الضلال ، ولا تفرضوا مساواة بين المستجيب ، والمتمرد : فضلا عن أن يكون المسىء خيرا من المحسن كما يتخبط اليهود فى أحلامهم وأوهامهم وقد أخزاهم الله بقوله « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ، وجعلنا قلوبهم قاسية » .

وهكذا . إذا رانت الشهوات ، وراجت الأباطيل تخلفت البصائر عن إدراك الحق ، والتبست المفاهيم على عقول المسرفين فيجنحون إلى الغرائب ، ويمعنون فى بعد عن جانب الهداية ، ولا تطمئن إلى وعد الله ووعيده فيتركهم الله لأنفسهم ، ولا يبصرهم بأمرهم .

ثم هو يختم المقطعين بقوله : « والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين » .

ذلك هو الوعد الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا .

وبعد :

فليس الاختبار بالحسنات والسيئات سنة قاصرة على اليهود ، بل البلاء سنة مطردة فى حياة الناس عامة ، وإنما اختص اليهود بذكرها كما فى موضوعنا ، لأنهم تجاوزوا كل اعتبار ، ونقضوا كل عهد ، وتعرضوا للبلاء بالخير والشر كثيراً ، ولم تكن لهم عظة ، بل تمادوا فى غيهم حتى كان القصص عنهم حافلا بالمثالب ، وتاريخهم زاخراً بالأمثال أكثر من سواهم .

أما ما هنالك من بلاء للناس فالقرآن يسوق لنا شواهد كثيرة تقرر أن سنة الله لا تتخلف ، والواقع أن أناسا يهتدون ، وآخرون يتمردون ويشذون . والإيمان الشخصى هو الوسيلة التى يتألق بها المرء فى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

اجتياز الاختبار . فلا تكون النعمة مطغية له ولا النقمة فاتنة موئسة من قبول التوبة والإنابة .

والله تعالى يقول فى ذلك : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة » . . . « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين . ونبلو أخباركم » . « لنبلون فى أموالكم وأنفسكم » . « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون » ؟ « ولنبلونكم بشىء من الخوف ، والجوع ، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين . . . » .

فالبلاء بالخير وبالشر ضرب من ضروب التربية السماوية ، يصلح به أناس ، ويتكشف به أمر آخرين ، والله تعالى يريد أن يميز الخبيث من الطيب ، ليكون الناس على علم بأنفسهم ويكونوا على الحقائق ويتبين من حكمة الله فيهم وعدله معهم .

والحق أن المرء فى موقفه أمام النعمة تكون له هزة ابتهاج ، وانشوة غرور بها ، فهل يذكر مصدرها ، ويحمد فضله ، ويراعاها حق رعايتها ، ويتحرى حسن التصرف فيها حيث ينبغى أن يضعها فى سبيل الخير لنفسه ، ولغيره ؟ سواء أكانت نعمة بمال ، أو علم ، أو جاه ، أو سلطان ، أم تكون هذه النعمة مأمونة العاقبة له ، ولمن حوله من الناس ؟ ؟ .

أو تكون النعمة فاتنة لصاحبها عن حسن التقدير لها ، فيبطر على الله بسببها ، وينسى حقها عليه فى الشكر ، وحسن التصرف فتكون فى مهب الزوال ، وتصبح ندما عليه ؟ وذكرى سيئة له ؟ ؟

وكذلك المرء فى موقفه إزاء ابتلائه بالسوء تكون له هزة اضطراب واستياء فهل يستقبل بلاءه هذا بالركون إلى الله ، والرضا عن القضاء ، والاعتصام بالإيمان ؟ وهل يعلق رجاءه بلطف الله ، ويلتمس من فضله تفريج كربه ، ليهون عليه الخطب ، ويكون غير متمرد على القدر ومحسوبا فى الصابرين الذين وعدهم ربهم بحسن الجزاء فى دنياهم وأخراهم أو يجزع عند الحادث المكروه ، والبلاء النازل ، ويضيق لأزمة تلاحقه فى ماله ، أو أهله أو صحته أو جاهه ؟ ؟ .

إن الجزع لا يرد قضاء ، ولا يخفف من هول ، بل يزيد فى الأسى ، ويثير الشجن ويبدد الإيمان ، حتى لينسى الإنسان جانب الله ، ويبأس من روحه ولطفه ، وليس وراء ذلك إلا الاعتراض على تدبير الله . وخروج عن دينه ، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » .

شأن الإنسان أن تفرحه النعمة ، وأن تحزنه النقمة . . وقد يشتط فى تفكيره فيخرج عن جادة الاعتدال .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والقرآن ينبهنا إلى الحذر من التطرف « وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه : وإذا مسه الشر كان يئوسا » .

وينبهنا القرآن كذلك إلى أن شأن الدنيا عدم الاستقرار على حال واحدة ، وإنما هي بين خير وشر ، وعسر ويسر « فإن مع العسر يسرا » .

وينبهنا إلى أن اللائذ بجانب الله والمهتدى بهديه ، والواعي لدينه وعقيدته لا يخدعه عن الحق إذا أقبل ، بل يجب أن يقدره ، ويتمسك به ، لتتسع نعمة الله عليه وألا يسئ الظنون في حقه حتى يصرف عن حسن ظنه بالله والطمع في فضله ! ! بل يذكر نفسه بمواقف الصابرين وتجلدهم ، ويؤمن بأن لله في خلقه أقدارا يجب الاطمئنان إليها ويذكر نفسه بما هو عليه في مسلكه دينا ودنيا ، فلعل ذلك البلاء بسبب من عمله السيئ ولعله يستفيد بالعبرة والاتعاظ مما جرى عليه .

هذا — وكما يكون موقف المرء محسوبا عليه . أو محسوبا له : يكون موقف الجماعة والأمة في الأحداث العامة .

فأمة تغرها النعمة ، ويتوافر لها الأمن فتنحرف عن جادة رشدها لا تدوم عليها رفاهتها ، ولا يلبث سيئها أن يتبدل سوءا . وإن طال بها الزمن .

وهذه قصة أهل ليبيا في عصورهم الخالية بلغ بهم نعيم الحياة ما بلغ ، فلما أسرفوا على أنفسهم بدل الله نعيمهم ، وأذهب بهجتهم وشوه تاريخهم . فكانوا حديثا يذكر بالأسى والتحسر ، وكانت ذكراهم في القرآن مثلا للآخرين .

وكذلك جرى البلاء على المسلمين حتى في مطلع تاريخهم المشرق ، وحين وجود النبي الكريم فيهم صلوات الله عليه وسلامه . كانوا قلة فاستضعفوا ، وافتقروا . فاختبروا ، وحين سارعت إليهم الخوالف فاغتروا بكثرتهم يوما ما لم يغن كثرتهم شيئا ، بل هزمهم أحيانا أمام عدوهم . وذكرهم أن كثرتهم لم تغن عنهم شيئا في غزوة حنين وغيرها من غزوات أخرى لحقتهم فيها مهانات الهزيمة ثم تداركهم الله بنصره ورفع رايتهم أخيرا على أعدائهم وعلمهم أن هذا ابتلاء لهم ، ليكفوا عن الغرور ، وليثبتوا عند الاختبار بالصبر على إيمانهم وجهادهم ، والقرآن يردد على مسامعنا قوله تعالى في كلتا الحالتين : « وسنجزي الشاكرين » « والله مع الصابرين » .

عبد اللطيف السبكي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الإسلام في أوغندة

الأستاذ عطية صقر

تقع أوغندة في منطقة البحيرات التي تمد النيل بالمياه، وهي تحد شمالا بالسودان، وغربا بالكونغو، وجنوبا بتنجانيقا ورواندا أورندي، وشرقا بكينيا. وتبلغ مساحتها نحو ٨٠ ميلا مربعا. تغطى المياه منها مساحة قدرها ١٢٫٥ ميلا مربعا. ويبلغ عدد سكانها خمسة ملايين حسب إحصاء سنة ١٩٤٨، يتكونون من عدة قبائل موزعة في الأقسام الإدارية الأربعة على النحو التالي:

١ — يوجندا: وسكانها ١٫٣ مليونا من شعب الباجندا، الذين هم أرقى الأهالي من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتقع في هذه المديرية مدينة «عنتبة» وهي العاصمة، ومدينة «كامبالا».

٢ — المديرية الشرقية: وسكانها ١٫٥ مليونا من قبائل الباسوجا. وتقع بها مدينة «جنجا».

٣ — المديرية الغربية: وسكانها ١٫٢ مليونا، وأهم القبائل بها البانيورو، الأنكولو.

٤ — المديرية الشمالية. وسكانها مليون، وأهم القبائل بها الآتشولي، الماضي.

ويوجد من بين هؤلاء السكان نحو ألف ونصف من العرب، وثلاثة آلاف ونصف من الأوربيين، ونحو أربعة وثلاثين ألفا من الهنود.

واللغة السائدة في البلاد هي السواحلية، المنتشرة في شرقي إفريقيا، إلى جانب ثلاث لغات أخرى من أصل مجموعة لغات البانتو. واللغة الانجليزية هي لغة الحكام ولغة التبشير والتعليم والكتابة، وقد ساعد على انتشارها إنشاء كلية «ماكريري» في كامبالا سنة ١٩٢٢، وهي كلية ذات مستوى جامعي عال، تتبع جامعة لندن، وتسمى «كلية شرقي إفريقيا الجامعية»، وهي خاصة بمعتنقي الديانات السماوية لا يدخلها الوثنيون.

والديانة السائدة هي الوثنية، ويعتنقها نصف السكان، ويوجد نحو مليون ونصف من الكاثوليك، وثلاثة أرباع المليون من البروتستانت. أما المسلمون فتقدرهم مصادر الأنباء التبشيرية بربع مليون[1]، ويكثرون

1 — Fedes. 10 Dec. 1955.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى المديريات الغربية ، التى يوجد فيها ثمانية سلاطين من المسلمين .

وقد دخل الإسلام هذه البلاد على يد العرب الذين وفدوا إليها من ساحل إفريقيا الشرقية ، كما دخلها عن طريق السودان من الشمال . فالثابت أن العرب استوطنوا شرقى إفريقيا منذ مئات السنين ، وهم الذين طردوا البرتغاليين فى القرن السادس عشر ، وكونوا هناك سلطنة « بوسعيد » التى عرفت فيما بعد باسم سلطنة « زنجبار » ، وقد أسس العرب على الساحل عدة مدن مثل « مقديشو » فى منتصف القرن العاشر الميلادى ، وصارت محطات عربية تجارية هامة . شجعت العرب على مواصلة رسالتهم داخل القارة . وكانت هذه الرسالة ذات شقين . الأول نشر الإسلام والثانى التجارة ، فكثرت القوافل العربية بين زنجبار ومباسا وبين داخل القارة . وراجت تجارة الملابس والحلى والأسلحة فى أوغندة ، كما أدخل العرب فيها نوعا من العملة وهى « الحار » المنظوم فى عقود متفاوتة القيمة . وشجع الأمراء والزعماء تجار العرب على ارتياد المناطق المجاورة ، لما لمسوه على أيديهم من خير ، ومنح الملك « أميتسا » حرية الاستيطان لهم فى مملكته ، كما سائغة دينيين ، وبهذه الطريقة امكن للإسلام أن يؤدى مهمته فدخل كثير من الأهالى فى هذا الدين الجديد . واعتنقه أيضا « أمبوجا » شقيق الملك .

وبانتشار الإسلام والتمكين له ازدهرت حضارة العرب ، وتلقن الإفريقيون منهم دروس الأخلاق العالية . من الاعتداد بالنفس والحرص على الكرامة ، كما تعلموا منهم النظافة والنظام وحسن المظهر ، حتى لقد قال أحد الأوربيين عن تأثير العرب فى أوغندة : « لقد تمكنت المدنية العربية فى وقت قصير من تغيير اللباس الشائع إذ ذاك تغييراً كاملا ، وهو لباس لا شأن له على الإطلاق ، فأصبح أهل أوغندة اليوم يتخذون الملابس من رأس إلى القدم ، وكذلك جيرانهم من « الأنيورو » فحلت مكان الملابس القديمة المصنوعة من لحاء الشجر » (١) .

وكما دخل الإسلام أوغندة من الطريق الشرقى دخلها من الجهة الشمالية . من السودان . فقد طلب الملك « أميتسا » من الحكومة المصرية التى كان لها السلطان فى المديرية الاستوائية جنوبى السودان فى أواخر القرن الماضى ، أن تبعث إليه عالمين يعلمان السكان قواعد الإسلام . وكانت الجماعات التى وصلت إلى بحيرة فيكتوريا بقيادة أمين باشا هى النواة التى تكونت منهـــا ومن سلالاتها الجماعة الإسلامية فى أوغندة .

(١) ص ٣١ من كتاب : « أوغندة فى طريقها إلى الاستقلال » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقد كان لانتشار الإسلام فى هذه المنطقة عدة عوامل أهمها : —

١ — أن كل مسلم يعد داعية بنفسه ، يرى أن ذلك واجب دينى ، لا يحتاج إلى ترتيبات وتنظيمات خاصة كالتى يتخذها المبشرون .

٢ — بساطة للعقيدة الإسلامية وسهولة فهمها ، ويسر التكاليف الشرعية وملاءمتها لظروف الإفريقيين وأحوالهم الاجتماعية ، فهم لا يرون أن التحول عن وثنيتهم إلى الإسلام يحدث فجوة أو شذوذاً غير مألوف .

٣ — اعتقاد الإفريقيين أن المسيحية هى ديانة البيض لمستعمرين ، تحمل معها الظلم والاضطهاد والاستبداد والاستعمار . وهذا أثر من آثار القومية ، التى بدأ الإفريقيون يحسون خطرها فى محيط السياسة الدولية ، ويعملون على ضوئها للتخلص من نير الاستعمار .

٤ — الداعية المسلم عند ما يحل ببلد يعد نفسه مواطنا ، عليه واجبات وله حقوق كبقية المواطنين . فهو يندمج معهم ويعاملهم ويتزوج منهم ، ويكون سلوكه نفسه عاملا من العوامل التى تجذب قلوب الأهالى نحو هذا الدين الذى يخلق فى أتباعه هذا السلوك الكريم .

٥ — الإسلام يعلم أتباعه الحرية والاعتزاز بالوطن وكراهية المستعمر . ويبين لهم المآسى التى يلحقها بهم المستعمرون ، والمصير المظلم الذى رسمه لهم هؤلاء الدخلاء ، والذى اتخذوا التبشير وسيلة له أو ستاراً يلعبون من ورائه أدوارهم الخطيرة فى مستقبل البلاد . وهذه النغمة يحبها كل إنسان وتتحرك لها عواطفه ، ويميل نحو من ينادى بها والدستور الذى يقررها ويحترمها .

وقد نتج عن انتشار الإسلام وكثرة أتباعه وتعشقهم لهذه المبادئ الكريمة ، نزاع على النفوذ بين المسلمين والمسيحيين ، شجعه ثالوث الاستعمار : الانجليز والفرنسيون والألمان ، وقد قامت حرب طائفية سنة ١٨٨٩ تغلب فيها المسيحيون بمساعدة المستعمرين . ومع ذلك فإن الإسلام لم يخرج من قلوب أتباعه ، بل زادهم قوة وتحفزاً للأخذ بالثأر من هؤلاء الذين امتصوا دماءهم عشرات السنين .

لقد دخل الاستعمار هذه البلاد فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، عن طريق تكوين الشركات ، الذى هو أسلوبهم فى استعمار كثير من البلاد . وقد أقنع « ستانلى » الرحالة المشهور ، الجمعية الكنسية التبشير بإرسال رجالها للعمل فى أوغندة سنة ١٨٧٧ ، فأسرع الكاثوليك بإرسال رجالهم إليها من المركز الذى أقاموه فى الجزائر تحت قيادة « لافيجرى » . وقد أذن الملك « أميتسا الأول » لهذه البعثات أن تزاول نشاطها ، ولما توفى بدأ الملك الجديد « موانجا » يلعب بالألمان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ضد الانجليز ، وساعده المسلمون فى ذلك ليحدوا من نفوذ الانجليز ونشاطهم التجارى . ولما عزل « موانجا » جاء بعده أخوه « كيويو » ، ثم أخوه المسلم « كالما » ، غير أن الانجليز أعادوا « موانجا » للحكم فكافأهم على ذلك بإمضاء معاهدة مع الشركة الانجليزية ، قبل بها أخيراً الحماية على أوغندة سنة ١٨٩٤ . وقد حاول هو و « كاباريجا » ملك اليونيورو تحرير البلاد غير أن الانجليز تغلبوا عليهما سنة ١٨٩٨ ونفوهما . وعقدت انجلترا معاهدات مع الملوك والرؤساء لتثبيت حمايتها على البلاد ، وفى سنة ١٩٠٠ بدأت انجلترا توسع رقعة أوغندة ولاسيما على حساب السودان ، الذى صارت لها فيه الكلمة العليا بعد استرداده ، فحددوا حدودها الشمالية إلى « غوندوكورو » التى كانت إلى سنة ١٩١٤ هى الحد الجنوبى الأقصى للسودان .

هذا عمل الانجليز على إضعاف شوكة المسلمين منذ أن وطئت أقدامهم هذه المنطقة ، وذلك شأنهم مع المسلمين فى كل مكان . فعينوا مبعوثا لهم يسمى « لوجارد » كان يتقن سياستهم التقليدية « فرق تسد » ، فتمكن من الضغط على العرب والجائهم إلى السكن فى منطقة بحيث يكونون محصورين فيها بين القوتين الاستعماريتين ، فرنسا الكاثوليكية وألمانيا البروتستانتية ، وذلك لتسهل مراقبتهم ، وليكونوا عامل توازن يحد من أطماع الفرنسيين والألمان . وبعد سفر لوجارد تولى مهمته « بورتال » وسار على نفس الطريقة التى يريد التخلص بها من نفوذ العرب والحزب الإسلامى .

للمسلمين فى أوغندة حوالى ٣٠٠ مسجد ، وهى موزعة على الجمعيات لإدارتها ، والمساجد الرئيسية توجد فى : سوروتى ، بوجمب الشريبة من جنجا ، مازاكا ، كالبرو . وأجمل المساجد وأوسعها هو مسجد « كامبالا » المقام على ربوة عالية فى وسط قطعة أرض تبلغ نحو ٤١٦ ألف متر مربع ، تبرع بها أحد أعيان المسلمين .

ومذهب الشافعية سائد هناك ، غير أن المسلمين ينقصهم التفقه الدينى الصحيح ، وكثيرا ما تنشب بينهم الخلافات على الفروع الفقهية ، فهناك فريقان : أحدهما يسمى فريق الجمع ، وهم لا يصلون الظهر بعدها . والثانى يسمى فريق الظهر ، يتمسكون بصلاتها بعد الجمعة . ومن الغريب كما يقول أحد كبار المسلمين هناك : إن فريق الجمعة يدعى أنه يتبع فى ذلك قواعد المذهب الشافعى ، مما يدل على أنهم فى أشد الحاجة إلى قيادة دينية رشيدة ، وبين الفريقين خصام دام أكثر من ٢٧ سنة انتهى إلى الاتفاق على صلاة الجمعة فقط ، وزعيم الشافعية هو الحاج أحمد ابن كعب ، ومن كبارهم الشريف عبد القادر أحمد الجفرى العلوى ، وهناك نشاط واسع

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

للإسماعيلية والقاديانية الأحمدية، والسلطات الاستعمارية تشجعهم نظراً لقولهم بنسخ الجهاد وعدم قتال المستعمرين.

والتعليم الإسلامى متأخر فى البلاد، ذلك أن التعليم العام يقوم على عاتق المبشرين، والمسلمون مضطرون إما إلى البقاء على الجهل وإما الالتحاق بمدارس الإرساليات. وقد أدركوا أخيراً خطر هذه الحالة فأنشئوا عدة مدارس. غير أن المؤسف أن أكثر مدرسيها من المسيحيين وذلك لعدم وجود من يستطيع القيام بهذه المهمة من المسلمين. ويكفى لبيان سيطرة التعليم التبشيرى أن تعلم أن الدراسات الخاصة بتخريج المعلمين وإعداد المدرسين يقوم بها ١٢ مدرسا من الكاثوليك و ٨ من الإنجليكان ومدرس حكومى، ومدرس مسلم واحد [1]. ومع كل ذلك فالمدارس الإسلامية قليلة لا تفى بالحاجة، والقرآن يدرس بلغة غير سليمة، وهم يحاولون ترجمته إلى اللغة السواحلية، والقاديانية جادون فى ذلك، وقد انتهوا فعلا من هذه الترجمة. والمسلمون يشجعون من يحفظ القرآن فيعطونه ٥٠ جنيها.

ومما تجب ملاحظته أن الطائفة الإسماعيلية تبذل جهودا جبارة [illegible] الإسلام فى أوغندة وتستعمل [illegible] فى الهدوم.

وقد اجتذبوا كثيراً من المسلمين ومن الوثنيين إلى مذهبهم المعروف، وقد وجه زعيمهم الراحل أغا خان فى يونيه سنة ١٩٤٥ نداء إلى أتباعه يقول فيه: «إنكم لا تحاسبون على صلاتكم وصيامكم فقط. بل لابد من مواجهتكم بهذا السؤال الذى يتوقف على الإجابة عليه فلاحكم أو خسارتكم وهو: ما الذى فعله كل منكم لإنقاذ الإسلام فى وسط إفريقيا؟».

وكان هذا النداء هو بدء الشروع فى تكوين «الجمعية الخيرية الإسلامية بإفريقيا الشرقية» فى عباسا، فى ١٦ من يونيه سنه ١٩٤٥، وقد جمعت التبرعات ودفع الرئيس مبلغا مساويا لها، وتكون رأس مال الجمعية، فبنت عدة مساجد ومدارس فى أنحاء المنطقة وبنت أو ساعدت على البناء فى أوغندة وحدها ٣٠ مسجدا، ٤٨ مدرسة. مدرسة واحدة للمعلمين، ٣ مدارس فنية، وواحدة داخلية. وهى توفد بعض الإفريقيين إلى كلية «ماكريرى» لتلقى دراساتهم العالية، وتعطيهم منحا سخية. ولهذه الجمعية فروع كثيرة فى المدن والأقاليم.

هذا وتوجد فى أوغندة جمعيات إسلامية كثيرة منها سبع فى مدينة «كمبالا»، وعددها الكلى غير منظمة. وهى تدير المساجد وعدداً من المدارس الصغيرة. وأشهر هذه الجمعيات هى:

(1) [illegible]

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

١ — جمعية مسلمي إفريقيا في « كامبالا » ورئيسها الحاج أحمد بن كعب .

٢ — جمعية الإسلام ، ورئيسها الشيخ شعيب ، الذي حدث بينه وبين الأمير بدر نزاع كبير على إدارة المساجد وعلى الاختصاص .

٣ — جمعية السودانيين ، ورئيسها الشيخ محمود السوداني .

ومن الشخصيات المعروفة هناك غير رؤساء الجمعيات : —

١ — الأمير بدر ، وهو من أسرة « باجندا » الملكية ، وكان أبوه الأمير « مبوجو » صاحب فضل كبير على الإسلام وانتشاره في أوائل هذا القرن . وقد تبرع الأمير بدر بثمانية أفدنة لصالح المسلمين .

٢ — الشريف مبارك على ضاوي ، ممثل سلطان زنجبار ، وهو من الرواد الأول الذين دخل على أيديهم الإسلام في أوغندة .

٣ — مولانا عبد الله شاه الهندي ، زعيم الهنود الحنفيين في شرقي إفريقيا .

٤ — الأميرة ماشقة بنت أميتسا الأول ملك أوغندة ، لها أياد بيضاء على المسلمين .

٥ — عبد القادر بن أحمد الجفري العلوي الشافعي الذي وصل من شرقي إفريقيا واشتغل بالتجارة ، ونشر الإسلام ، ثم استقر به المطاف في أوغندة بمدينة « ماساكا » وبنى بها مدرسة إسلامية .

هذا وقد زارت مصر بعثة من أوغندة على رأسها « إدريس عامر » الذي كان كاثوليكيا وأسلم ، وترك توصيات وتقريرات عن حالة المسلمين هناك ، كما زار هذه المنطقة الدكتور محمود حب الله موفدا من الأزهر ، والسيد أحمد مراد البكري ، وقد بينت التقارير أن الحاجة ماسة إلى تقوية القاعدة الإسلامية في أوغندة ، وذلك لفرضين : الأول مقاومة التبشير الذي يقبع على حدود سودانا الشقيق ، والذي ينفث سمومه في البلاد المجاورة ويعتمد عليه الاستعمار في بسط نفوذه في وسط إفريقيا التي تقوم الجمهورية العربية المتحدة بدور كبير في تحريرها والنهوض بها ، والغرض الثاني تبصير المسلمين بشئون دينهم ومقاومة أدعياء العلم ، الذين يتصدرون لقيادة السذج ، ويتسلطون على أفكارهم بالشعوذة والتضليل .

وأحسب أن التوسع في قبول الوافدين إلى الأزهر من هذه الجهات ، وتيسير حصولهم على أكبر قدر ممكن من المعرفة الواعية ، سيكون له أثره البالغ في القضاء على الأعيب الاستعمار ، وفي حسم الخلافات الدينية بين أنصاف المتعلمين ، وفي إبراز الصفحة المشرقة الحية للدين الإسلامي ، الذي يهفو إلى ضوئه كل راغب في المعرفة الصحيحة والإرشاد السليم ؟

عطية صقر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

شاعر أعمى يصف العمى

قال الشاعر الأندلسي أبو المخشي يصف عماه :

خضعت أم بناتي للعدا ... إذ قضى الله بأمر فمضى

ورأت أعمى ضريراً إنما ... مشيه في الأرض لمس بالعصا

فبكت وجدا وقالت قولة ... - وهي حرى - بلغت مني المدى

فؤادي قرح من قولها ... ما من الأدواء داء كالعمى

وإذا نال العمى ذا بصر ... كان حيا مثل ميت قد ثوى

وكأن الناعم المسرور لم ... يك مسرورا إذا لاقى الردى

أبصرت مستبدلا من طرفه ... قائدا يسعى به حيث سعى

بالعصا إن لم يقده قائد ... وزوال الناس يمشي إن مشى

وإذا ركب دنوا كان لهم ... هو جلا في المهمه الخرق الصوى[1]

لم يزل في كل مخشى السرى ... يصطلي الحرب ويجتاب الدجى

---

(١) الهوجل : البطيء الثقيل . والمهمه : المفازة والخرق : الففر والصوى : جمع صوة وهي ما غلظ وارتفع من الأرض .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من شعر شوقي بعد المنفى

للأستاذ علي العماري

في عام ١٩٢٠م أقيم حفل بدار (الأوبرا) الملكية لإنشاء جمعية لمساعدة الفقراء، وقد نظم شوقي هذه القصيدة ليلقى في هذا الحفل، وهي أول قصيدة قالها بعد رجوعه إلى مصر من منفاه بالأندلس.

ويمكن تجزئة هذه القصيدة، إلى أربعة أجزاء رئيسية:

(١) مقدمة القصيدة، وقد بكى فيها الأطلال ونثر الدمع في الدمن البوالي، ووقف بها وقوفا طويلا أذهب صبره لأن لها عليه حقوقا فقد ذاق فيها طيب العيش مع أحبابه، وهو رجل وافٍ لأحبابه ولديارهم، وقد ساءه ما لقيته هذه الديار من جور الزمان.

(٢) حديثه عن بلاد الأندلس، وثناؤه عليها، ووداعه لها، وإشادته بفضلها عليه. وأنها كانت جنة تغرب فيها، وقد شكر الفلك يوم وصل تلك البلاد لأنها أراحته من مناظر كانت قذى في عينه ومن أناس أهل غدر وخيانة. ثم أشاد بعمران بلاد الأندلس أيام العرب، وتألم لما جرى عليها بعد ذلك [illegible] أن يشاب بالكدر.

(٣) فرحته بلقاء وطنه، ومبالغته في حبه له، وقد ذكر أن قصائده سبقته إلى هذا الوطن، وأنها حملت إليه ثناء يضيف تاجا جديدا إلى تاجه القديم. ووصف جزءا من رحلته، وصفح عن الزمان؛ لأنه تاب عما أسلف إليه بصبيح اليوم الذي وصل فيه إلى الإسكندرية، ثم حيا فتيان مصر الذين كسوا عطفيه ثيابا من الفخر، وأطال الثناء عليهم، وتواضع فقال: إن أدبه ليس أهلا لما أسداه إليه هؤلاء الكرام، ولكن من أحب الشيء حابى.

(٤) الغرض الرئيسي من القصيدة، ويتناول الحديث عن وطأة الغلاء، ووصف التجار الجشعين، وقلة الخير في القلوب، وانصرافها عن أداء الزكاة كأن الزكاة ليست في كتاب الله، وفي هذا الجزء من القصيدة رجاء إلى شباب مصر أن يتجهوا بالدعاء إلى الله ليرقق قلوب الأغنياء على الفقراء، وفيه إشادة بما يجني صاحب الخير

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من فعل الجميل ، وتحذير من ترك اليائسين يعانون آلام يأسهم ، فإن هذه الشاة إذا اشتد بها الجوع انقلبت ذئابا تفتك برعيانها ، وتنتهي القصيدة بهذا البيت :

ولولا البر لم يبعث رسول
ولم يحمل إلى قوم كتابا

محاسن القصيدة :

يمتاز شعر شوقي ـ بعامة ـ بميزتين رئيسيتين ، وهما موجودتان في هذه القصيدة ، إحداهما ، النغمة الموسيقية التي ترتاح لها الآذان ، وتصغي إليها النفوس ، والأخرى الألفاظ الرقيقة العذبة التي لا تكاد تجد بينها لفظة جاسية ، أو عبارة خشنة .

وفي القصيدة أبيات حكيمة تعود شوقي أن يرسل مثلها في كل شعره ، وقد سار بعض هذه الأبيات ، وجرى على الألسنة أمثالا بارعة ، منها قوله :

وليس بعامر بنيان قوم
إذا أخلاقهم كانت خرابا

وقوله : (وغاية كل صغو أن يشابا) .

وله أبيات لاذعة ، قوية الأداء ، عميقة الإيحاء ، من مثل قوله :

أمن أكل اليتيم له عقاب
ومن أكل الفقير فلا عقابا

وقوله :

أكل في كتاب الله إلا
زكاة المال ليست فيه بابا ؟!

وفي القصيدة أبيات بديعة المعنى والأداء والتصوير من نحو قوله :

ويا وطني لقيتك بعد يأس
كأني قد لقيت بك الشبابا

وشوقي مغرم بالإشارة إلى الأماكن والأشخاص والأحداث التاريخية ، وهي خاصية في شعره تدل على تمكنه من التاريخ وحبه للعرب والإسلام ، ومنها في هذه القصيدة إشارته إلى (حرب البسوس) وإلى (وائل) و (الزهراء) و (بابل) و (المدينة المورة) و (نار الطور) و (يوسف) و (سنية) . إلخ . . .

مآخذ على القصيدة :

إذا كان البارودي صدر في قصيدته التي درسناها فيما سبق عن عاطفة قوية نحو بنته التي زاره طيفها ، فإن (شوقيا) لم يصدر في هذه القصيدة عن عاطفة نفسية وإنما خضع لمؤثر خارجي ، وأعني بالمؤثر الخارجي ما لم يكن نابعا من النفس ، وأكثر شعر المناسبات هو استجابة لمؤثرات خارجية ، وشتان بين شاعر يصور لنا عواطفه ويحدثنا عن انفعالاته ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وشاعر يطفو فوق السطح ، ويستدعي المعاني ، ويتكلفها ليكون منها قصيدة تلقى في محفل أو تزف إلى أمير أو وزير .

ولا روح في شعر المناسبات إلا ما يلتفت فيه الشاعر إلى نفسه فيصور خلجة من خلجاته . ولم تخل قصيدة شوقي من هذه النفحات ، ولكنها جد قليلة . أما أكثر القصيدة فهو خال من الانفعال العميق .

والغرض من القصيدة الدعوة إلى إنشاء جمعية لمساعدة الفقراء ، والقصيدة نحو الستين بيتا ، ولكننا لا نجد في الغرض الأصيل إلا أقل من ثلثها ، وهذا عيب خطير إن دل على شيء فإنما يدل على أن الشاعر يهرب من الموضوع الأساسي لأنه سطحي الشعور به ، ولو ملك عليه الموضوع نفسه لجعل كل قصيدته أو أكثرها فيه .

على أن الروابط بين أجزاء القصيدة من الناحية الشعورية ليست قوية ، فالانتقال من الحديث عن الأندلس إلى الحديث عن الوطن مقبول ، ولكن الالتفات بعد ذلك إلى الشباب ، وطلبه منهم أن يهزوا العرش بالدعوات أشبه بالصناعة منه بالاتحاد في الشعور .

* * *

من الواجب عليّ ـ هنا ـ أن أشير إلى أن هذه القصيدة نقدها الكاتب المهجري الأستاذ (ميخائيل نعيمة) في كتابه (الغربال) ، وفي نقده حق وباطل ، وسأنسب إليه ما عابه على شوقي في هذه القصيدة ، وأعقب عليه .

فمن ذلك عيبه على شوقي بأنه نادى الرسم ، وبكى الدمن البوالي ، وقد أشرت إلى هذا في مقال سبق عن شوقي ، وخلاصة رأيي ، أن بكاء الدمن ، والأطلال لا عيب فيه ، لأن هذا غرض من غرض الشعر يحس به بعض الشعراء في كل عصر وفي كل مصر ، بل العيب أن (شوقي) تناول هذا المعنى تناول شعراء الجاهلية ، وجعله مقدمة لقصيدة كما كان يفعل الجاهليون ، ولو جعله غرضا مستقلا ، وتناوله تناولا واقعيا لخلا من الذم .

وقد اتهم شوقي بالتقليد في هذا الابتداء ، ولكن ليس هذا الابتداء وحده هو الدليل على التقليد ، ففي القصيدة صور جاهلية من مثل قوله عن الفوانى إنها (مقلدة أعنتها) فيشبهها بالبوق المقلدة . ومن مثل تشبيهه الحرب العالمية الأولى بحرب البسوس .

وعاب (نعيمة) على شوقي تسجيله بكاءه من أنه قام ينادي الرسم ، ويجزيه بدمعه ، ويقول : إن العبرات قلت لحقه ، وإنهن ـ يعني العبرات ـ سبقن مقبلات الترب عنه ، وإنه نثر الدمع في الدمن البوالي ، ثم يقول الناقد : « لو بقيت شهراً بل عاما أقول للناس : يا ناس إني بكيت ، لما بكى معي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أحد غير أنى لو أدخلتهم قلبى ، وقد خيم الحزن فيه لانقبضت مع قبضى قلوب ، ولتبللت مع عينى عيون ، وهذه كما يقول : هى مهمة الشاعر ، وكم هم الشعراء بيننا الذين يستعيضون عن وصف عاطفة بذكر نتيجتها الخارجية ، فإن حزنوا قالوا بكينا وإن فرحوا قالوا ضحكنا ... كأن لا سبيل لوصف الحزن إلا بالدموع أو لوصف الفرح إلا بالضحك ... قلت : وهذا حق .

وعاب على شوقى إتيانه بهذه الحكمة :

وليس بعامر بنيان قوم ... البيت

ذاكرا أنه من الحشو . ومن الانتقال الفجائى ، وكان على شوقى — كما يرى — أن يتمم صورة حالة قومه الاجتماعية حتى إذا تجلت أمام أعين سامعيه بكل خطوطها وألوانها قالوا من تلقاء أنفسهم هذه الحكمة .

ولا أرى وجها من الصواب لهذا القول ؛ فإن انتقال الشاعر إلى الحكمة — ولو عن طريق الفجاءة — قد يكون له دلالته العميقة على ما يعتمل فى نفسه .. على أن (شوقى) ذكر قبل هذا البيت بعض الصور التى تنافى الأخلاق الكريمة ، فكان من الطبيعى أن يجىء هذا البيت بعدها ولا شىء فى التصريح بالحكمة ، وإلا انطبق على أكثر الحكم فى الشعر العربى .

وخطأ نعيمة جره هنا من قياس الشعر على القصة . فإذا كان مطلوبا من الفاضل أن يتمادى النطق بالحكمة أو بالموعظة ، وعليه أن يترك الحوادث تتكلم وحدها فإن ذلك لا يطلب من الشاعر ضرورة أن المطلوب فى القصة هو البسط ، والمطلوب فى الشعر إنما هو الإيجاز واللمحة الدالة .

واستحسن الناقد مما استحسن هذين البيتين

ولو أنى دعيت لكنت دينى
عليه أقابل الحتم المجابا
أدير إليك قبل البيت وجهى
إذا فهت الشهادة والمتابا

وأرى أن هذه المبالغة غير محمودة ، وكان للشاعر مندوحة عنها . وأى معنى بديع فى أن يستهين الشاعر بدينه للمبالغة فى الدلالة على حب وطنه ، أليست ساعة الاحتضار هى الساعة التى يؤمن فيها الكافر ، ويتقى فيها الفاجر ؟ فإذا أعرض الشاعر فى هذه الحالة عن أن يتجه نحو بيت الله الحرام ، واتجه نحو وطنه لا يكون هذا إلا من الذين يستهينون بالأديان ، ومن واجب الشاعر أن يخلى مقدسات الأديان فلا يتعرض لها ، وبخاصة إذا كان يدعو باسم الدين لتكوين جمعية تساعد الفقراء ، ثم كيف يكون الوطن دينا يقابل عليه الموت ؟ أليس ذلك إمعانا فى تجاهل مؤلاء الذين يخاطبهم باسم الدين ؟ . بل ، يرى الشاعر أن الرسل إنما جاءوا وجاءت كتبهم للبر بالفقراء ... كان على

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

شوقى أن يتفادى كل معنى يمس شعور المتدينين خاصة فى هذا الوقت . ولكن لشوقى من مثل هذه المعانى ما كان فى غنى عن ذكره كقوله من قصيدة فى وصف حريق ميت غمر :

أو أنه ابتلى الخليل بمثلها
ـ أستغفر الرحمن ـ ولى مدبرا

واحتراسه بقوله (أستغفر الرحمن) لم يخفف من شفاعة هذه الجرأة على خليل الله إبراهيم .

وعاب على شوقى تناقضا فاحشا فى المعانى — على حد تعبيره — ؛ فشوقى يشكر الغربة لأنها أراحته من كل أنف كأنف الميت ، ومن منظر كل خوان يراه بوجه كالبغى ، وينذر قومه بأن بنيانهم لا يقوم إذا أخلاقهم كانت خرابا ، ثم يعود بعد لحظة يخاطب وطنه وأولئك القوم أنفسهم بهذه اللهجة :

وحيا الله فتيانا سماحا
كسوا عطفى من فخر ثيابا

ويصفهم بأنهم ملائكة ، وأنهم بحور ، وأن الإيمان مؤتلق عليهم . إلى آخر الأبيات ثم يقول نعيمة : فبلد فتيانه ملائكة ، لا يصح أن يقال فيه : إن أخلاق أهله خراب .

وواضح أن (شوقى) غمز أولا — بعض المصريين الذين يخونونه ، ويكيدون له ، وهذا الصنف موجود فى مصر ، وامتدح — ثانيا — بعض الشبان المصريين الذين استقبلوه استقبالا رائعا ، وحيوا أدبه تحية طيبة ، وهذا الصنف موجود كذلك فى مصر ، فالشاعر لم يكذب فى الأولى ، والقدصدق فى الثانية . وإنما يتناقض الشاعر إذا عمم وحكم على هذا العموم بحكمين مختلفين .

والعيب الذى يمكن أن يوجه لشوقى فى نظرى هنا هو أنه بنى امتداحه لهؤلاء الفتيان على أنهم كسوا عطفيه من فخر ثيابا . فقد صدر فى مدحه عن شعور خفى . فهو يجازيهم على امتداحهم له بأن أطال فى مدحهم .

وقد سخر نعيمة من شوقى لهذا البيت :

وكل مسافر سيئوب يوما
إذا رزق السلامة والإيابا

وعده من الحشو ، ثم قال : فلا فرق عندى بين هذا البيت ، وبين قول القائل :

الفيل ليل ، والنهار نهار
والأرض فيها الماء والأشجار

والحق أن البيت يبدو كذلك ، فإذا لجأنا إلى التمحل لتسويغه ـ كما يفعل بعض أنصار شوقى ـ لم نفلح كثيراً .

ثم نعود فننظر فى أبيات القصيدة مفردة لنرى مافيها مما يعاب .

من ذلك ضرب المثل لصفو الليالى الذى يشاب بالكدر ، وذهاب ملك العرب فى الأندلس بالشمس حيث ذكر أنها وقد شيبت القرون ، قد شاب قبلها ـ وأنها تتقلى فى الأعقاب يد القدر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تهبط بها ، وأنها وسيلة لعد الحساب على الأمم مع أنها لاتدرى الحساب حيث يقول :

مشيبة القرون أديل منها
ألم تر قرنها فى الجو شابا
معلقة تنظر صولجانا
يخر من السماء بها لعابا
تعد بها على الأمم الليالى
وماتدرى السنين ولا الحسابا

وكل ماقاله فى هذا المثل تافه ، فشيب قرن الشمس مجرد تخيل ، والمهم هنا أن يكون المثل محققا معترفا به حتى يكون شاهد صدق على تكدير الصفو ، ثم إن قرن الشمس شائب منذ رأى الكون هذه الشمس ، والأسلوب هنا من قبيل حسن التعليل ، وهو افتراض علة للشىء غير علته الحقيقية ، والطبع لايستريح هنا إلا للأمر الواقع .

ومن ناحية أخرى فإن المقابلة بين ماحدث للعرب فى الأندلس ، وما ذكره الشاعر وتخيله مما حدث للشمس ينبئ عن شعور مضطرب للشاعر ، فلاشك أن (شوقى) لايريد أن الدولة دالت على العرب ، كما دالت على الشمس التى أساءت إلى القرون بأن شيبتها .

والسياق الطبيعى هنا أن يقول : إن العرب دالت دولتهم من الأندلس ، وهكذا كل كائن [illegible]

ومع هذا فلاتزال الفكرة ضعيفة لأن ضرب المثل هنا ينبغى - كما قلت - أن يكون بأمر مسلم به ، تقره النفوس . وتعرفه ، وتؤمن به حقاً .

وأضعف من هذا انتظار الشمس ليد القدر إذ أنه أمر لا يزال طى الغيب وكل الكائنات تنتظر هذا المصير ، وكلمة (لعاب) ثقيلة باردة .

وأما البيت الثالث (تعد بها . . البيت) فهو فضول فى فضول ، وماذا يفيدنا هنا ونحن نتسمع للكلام عن غير الأيام ، وتكديرها كل صفو أن تكون الشمس تجهل الحساب ، وهى وسيلته ؟!

ولم أستطع أن أفهم قوله عن قوافيه فى خطاب الوطن :

تجوب الدهر نحسوك والغيافى
وتقتحم الليالى لا العبابا

فأولا : جعل قوافيه تجوب الليالى ، فما المانع أن تقتحم العباب ، وإذا كان العباب له نهاية قريبة - كما يقول الشراح - فإن الغيافى كذلك ، بل إن الماء فى الكرة الأرضية أضعاف مضاعفة لليابس . وهذه عبارة شارحى القصيدة : « والمعنى أن قصائده باقية بقاء الدهر ، ولذلك نفى اقتحامها للعباب لأنه مهما اتسع فله نهاية قريبة » . وهو - كما يبدو - شرح عجيب ، لا يتفق مع البيت فى شىء .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وثانيا : ما الفرق بين جوبانها الدهر واقتحامها الليالى ؟ وعندى أن الرواية يجب أن تكون (والعباب) وفى البيت :

وإن حملت أيديهم بحورا
بلغت على أكفهم السحابا

أفهم أن الأيدى التى تبلغ السحاب هى الأيدى القوية لا الأيدى المعطاة فالمناسبة هنا للقوة لا للجود ، ولو قال (نسورا) بدل بحور لكان أحسن ، لكن الصنعة حكمت عليه أن يذكر البحر ما دام الارتفاع للسحاب ... ويشبه ذلك أن ينادى الشباب فيطلب منهم الدعاء ، والدعاء إنما يقترن - فى التصور - بالشيوخ والعجائز ، أما الشباب فإنما يطلب إليه أن يعمل بقوة لمساعدة الفقراء لا أن يكتفى بهز العرش بالدعوات ، ومن أين جاء شوقى أن لهذا الشباب صوتا مستجابا . مع أنه عنى فى وصفهم بالأوصاف الحسية .

ويضعف الشاعر حين لا يجد للحرب العالمية الأولى شبها إلا فى حرب البسوس فماذا عسى أن تكون حرب البسوس هذه ؟! إننا مهما أبعدنا فى التخيل حين نتصورها لا نعدل بها يوما واحدا من أيام الحرب العالمية ، ولكنها متابعة الأقدمين والجرى وراءهم ، والاغتراف من معينهم ... أما خوفه من أن يعيد الغلاء إلى مصر السبع الشداد ، وهى سنو يوسف - عليه السلام - فهو معنى جيد ، وأقوى منه قوله :

عبادك رب قد جاءوا بمصر
أنيلا سقت فيهم أم شرابا

وإن كان صاحب (الغربال) سخر من هذا المعنى الأخير زاعما أن الشاعر يعاتب ربه على ما أنزل بمصر .

ولو اقتصر شوقى فى هذا البيت :

وهل فى القوم يوسف يتقيها
ويحسن حسبة ويرى صوابا

على الشطر الأول لاحتفظ بقوة الشعر وروعته ، ولكنه أراد أن يكمل البيت فتهافت بذكر إحسان يوسف الحسبة ، وبصره بالصواب ، ولا ضرورة لهذا بعد قوله (يتقيها) مع هذا الاستهلاء الرائع .

وقد سمعت وقرأت اختلافا فى شرح هذا البيت :

هدانا ضوء ثغرك من ثلاث
كما تهدى (المنورة) الركابا

فقال قائل أنه يريد بالثلاث الليالى ، وقال آخر أنه يريد منارات الإسكندرية ، وأرى أن الأول أنسب ، إذا كان شوقى يريد الهداية المعنوية لأن المدينة المنورة لا تهدى الركاب بأضواء محسة . وإنما تهديهم بما فى نفوسهم من أشواق إليها ، ولولا أن (شوقى) ذكر نور المنار بعد ذلك وأنه غشى البحر نورا ، لقلت إنه يريد - قطعا - بالهداية . الهداية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الروحية ، وهذا المعنى هو المناسب للشعر .

كما اختلف الشراح فى المراد بالتاجين فى قوله عن قصائده ومما أسدته لمصر :

وتهديك الثناء الحسن تاجا
على تاجيك مؤتنقا عجابا

فقالوا ، المراد بالتاجين (الأهرام وأبو الهول ، أو تاج الوجه القبلى وتاج الوجه البحرى ، أو تاج العروبة والإسلام) .

وشوقى مخطئ فى هذا لأن من الشروط الأساسية لأسلوب الجيد أن يكون الأسلوب واضحا ، ومن دلائل الوضوح ألا يذكر الأديب كلمة لا يعرف معناها إلا عن طريق الحدس والتخمين .

والشراح مخطئون كذلك ـ فلم يقل أحد إن أبا الهول تاج على جبين مصر ، وتاج الوجهين أمر قد مضى عصره لا ينبغى أن يشير إليه شاعر مصر فى القرن العشرين ، وأما المعنى الثالث فليس فى البيت ولا فى القصيدة ما يشير إليه من قريب أو بعيد .

وقد جمع شوقى فى بعض أبيات القصيدة بائسا على بؤساء ، وأذكر أن المحققين من اللغويين لم يقروا هذا الجمع ، وحجتهم أن فاعلا لا تجمع على فعلاء ، وقد حكموا على شعراء فى جمع شاعر بأن طريقها السماع لا القياس .

وبعد فإنى لا أحكم على شوقى بالحكم على هذه القصيدة ، وإنما أقول : إنها ليست من روائعه ، وإن اختيارها للدراسة على أنها كما قال مختاروها .

(الشوقيه البارعة ، مثال رائع من شعر أمير الشعراء) اختيار غير موفق ، وأن الحكم عليها بالروعة حكم غير مقبول . ؟

على العمارى

من شعر إقبال

من أسكن الحب ظلام التراب ... فأورق الزرع نضير الأهاب
من رفع الأمواج من بحرها ... تسقى عطاش القفر برد السحاب
من قد الورد نسيم الصبا ... ومن أعاد الشمس بعد احتجاب
من أنبت السنبل حتى غدت ... جميعه تحوى النضار العجاب
من قسم المام فصولا لها ... بكل دور فى الزمان انقلاب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الوحدانية فى الأديان الإفريقية

للأستاذ محمد جلال عباس

« فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم . ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

آية خاطب الله بها رسوله الكريم ليبين أن رسالة الإسلام العظمى إنما هى رسالة مسايرة للفطرة التى زود الله بها الإنسان فاستقرت فى نفسه وملأته شعورا بأن لهذا العالم خالقا ودفعته إلى التساؤل عن أصل الوجود ومنشأ الخلق ، وهداه عقله المفطور إلى أن الخالق لا بد أن يكون قوة عظمى ، فأعمل فكره ليصل إلى إدراك هذه القوة العظمى إدراكا عمليا يؤيد بها إدراكه الفطرى وشعوره الكامن فى نفسه .

ولقد ظل الإنسان منذ بداية الخليقة يفكر فى أسباب تلك الظواهر الكونية التى أحاطت به وتلك العجائب التى تميزت بها حياته ليصل إلى معرفة تلك القوة التى تسير الكون والحياة ومر الإنسان فى تفكيره بأطوار متعددة جاءت فى الآية الكريمة : « فلما جن عليه الليل رأى كوكبا . قال هذا ربى ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى هذا أكبر ، فلما أفلت قال ياقوم إنى برىء مما تشركون . إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا ، وما أنا من المشركين » .

هذا تفكير إبراهيم عليه السلام وهو يمثل حقيقة التطور الفكرى للإنسان . ولا تكاد النظريات العلمية المتعددة التى فسرت أصل العقيدة الإنسانية تخرج عن هذا ، فتايلور وهربت سبنسر قالا بأن الإنسان بعد بحثه وتأمله فى مظاهر الحياة وتفكره فى الأطياف التى كانت تمر به فى منامه ، أخذ يرد مختلف الظواهر إلى أرواح تسكن فيها وتسيرها . وهو فى هذا الطور لم يرق إلى مرتبة فكرية تجعله يصل إلى عقيدة إلهية ، وإنما كانت عقيدته فى هذا الطور روحية خالصة ، أما جيمس فريزر فقد ذكر فى كتابه « عبادة الطبيعة » أن الاعتقاد فى الله عند الإفريقيين إنما يرجع إلى أن عقل الإنسان بطبيعته لم يقبل الظواهر على علاتها إنما أخذ يبحث عن شىء غير مادى فيما وراء هذه الظواهر يجعله يقنع عقله بها كأسباب لها ومن ثم لم يعبد الطبيعة ذاتها إنما كان تفكيره متجها إلى الاعتقاد فى قوة غير ملموسة .

وقد أكد بعض الكتاب والباحثين وجود فكرة الوحدانية فى عقائد الإفريقيين وعلى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ورأس هؤلاء الأب شميـــدت الذى يرى أن العقائد فى إفريقيا قد تطورت من مرحلة تعدد الآلهة إلى مرحلة الاعتقاد بإله واحد ، وقد تبعه بعض المستشرقين الذين بحثوا فى الأديان الإفريقية وبعضهم قال بأن اعتقادات الإفريقيين الحالية لا بد وأنها تطورت من وحدانية قديمة وقال آخرون بأن الديانات الإفريقية تأثرة بوحدانية اليهود القديمة كما ذكر البعض مثل الدكتور لوكلير أن آلهة إفريقيا الغربية إنما ترجع أصلا إلى العقائد المصرية القديمة وخاصة عقيدة أخناتون .

وأيا ما كانت الآراء فإن ديانات الإفريقيين الأصلية ذات طابع مميز لها فهى لا تدور حول عبادة القوى الطبيعية كما كان الحال عند الإغريق ، ولا عبادة الشمس كمصر القديمة ، ولا هى عبادة أوثان كالتى كانت عند العرب فى الجاهلية ، وهى لا تدور حول تقديس أشخاص لهم اعتباراتهم التاريخيه ومبادئهم الأخـــلاقية كالكنفوشية والزرادشتية والبوذية فى آسيا . كما أنها لا تعتمد على الاعتقاد الروحى وحده .

لا تعتمد العقيدة الدينية عند الإفريقيين على أحد من هذه العناصر التى اعتمدت عليها الديانات الأخرى غير السماوية قديما وحديثا ، إنما تتميز بمميزات خاصة أهمها : —

١ — الاعتقاد بإله عالى

٢ — [illegible]

التى لها تاريخها . وأهميتها فى حياة القبيلة .

٣ — الاعتقاد فى خلود الروح بصور شتى . ما يجعلونها فى أفراد من أبناء الأجيال التالية أو فى عوالم أخرى كالأشجار والأنهار والبحار والغابات أو باطن الأرض أو السماء ولهذا فهم يقدسون أرواح السلف ويقدمون لها القرابين .

٤ — الاعتقاد فى وجود كائنات غير إنسانية وغير مرئية بعضها خير وبعضها شرير والاتصال بها يتم بواسطة السحر .

من هذه المميزات يمكننا أن نقرر أن الديانات الإفريقية ديانات تجمع بين التوحيد والاعتقادات الروحية .

ويعتبر الإله السامى الذى لا تخلو منه ديانة من ديانات الشعوب أو القبائل الإفريقية مظهراً للوحدانية فى هذه الديانات ، وتختلف أسماء هذا الإله باختلاف الشعوب ولغاتها ولكنها جميعاً تؤمن به كخالق للعالم إلى جانب إلمامها بصفات أخرى له لا تكاد تخرج عن صفات الله التى جاءت فى القرآن ، ونورد فيما يلى عشر أمثلة نمر بها على أقطار إفريقيا لنثبت هذه الحقيقة .

١ — فى سيراليون تؤمن قبائل المانديا بإله خالق « أنجووى » وتعتقد أنه وجد بذاته قبل الخلق ثم بث الحياة فى البشر . وملأ العالم بقوى من عنده تسير الرياح وتحدث البرق وتجرى الأنهار فهو مصدر كل قوة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

واسمه يلهج به كل لسان فى التحية والسلام والدعاء . وتؤمن قبائل الكونو المجاورة للساندى أيضاً بأنجومى وتعتقد أنه الأول والآخر وأنه موجود فى كل الوجود ماضيه وحاضره ومستقبله ، وهو الذى يثيب البشر ويعاقبهم بالرعد والبرق والموت الغامض الأسباب .

٢ — جماعات الأشانتى التى تسكن غانا وبعضها لم يعتنق الإسلام ، هؤلاء يعتقدون بإله يسمى نيامى أو نيونمى وهو الإله العلوى الذى وجد قبل الخلق وتتجلى مظاهره فى السموات والأرض .

٣ — قبائل شمال غانا وبعض قبائل وسط نيجيريا تؤمن بالشمس كإيمان المصريين القدماء بها على أنها مظهر لقوة الإله الواحد وهى نفس الفكرة التى نادى بها أخناتون فى مصر القديمة فالشمس هى مظهر لقوة الإله ، والأمطار تجرى بقوته والثراء منحة منه وأن الأرواح تعود إليه فى النهاية .

٤ — شعب اليوربا فى جنوب نيجيريا يؤمن « بأولورون » ومعناها اللغوى صاحب السموات ويعتقدون أنه خالق كل شىء وأنه هو القوى العزيز العليم القدير ، إليه ترجع الأمور ليقضى فيها بعدله .

٥ — يؤمن شعب الإيبو فى جنوب غرب نيجيريا بإله علوى يماثل إله اليوربا فى صفاته ويعرف باسم « آرو » .

٦ — تعتقد قبائل « انجومى » فى الكونغو فى إله علوى يعرف باسم « أكونجو » هو خالق الكون الذى سوى الإنسان مثلما تسوى الآنية الفخارية من الطين ، وله أسماء متعددة منها الأول والآخر والقدير الذى يجل عن الوصف . وهو الحافظ والرازق قريب من كل إنسان يجيب دعوته إذا دعاه دون وساطة .

٧ — لقبائل « الكيكويو » فى كينيا إله علوى يسمى « مورونجو » يعتقدون أنه حال فى أماكن كثيرة وتظهر قوته ووجوده فى الشمس والقمر والنجوم والرياح والأمطار ، والاعتقاد فى مورونجو أو مولونجو ينتشر فى جهات كثيرة من أواسط إفريقيا .

٨ — من أسماء الإله العلوى الواسعة الانتشار ليزا فى تنجانيقا وروديسيا وكانجا بالكونغو . ومعناها عند بعض القبائل الحافظ ومعناها عند قبائل التونجا فى تنجانيقا المسبب الأول ، وهو عند قبائل « إلبا - إيلا » فى روديسيا خالق كل شىء فهو المنشئ الذى سوى الأشياء الذى يرسل الرياح وينزل الأمطار .

٩ - فى جنوب إفريقيا ينتشر الاعتقاد أيضا بإله علوى فعند الباسوتلو نجد « موليمو » ومعناها فى لغتهم النور والحافظ والمظهر ، وعند الزولو « اونكولونكولو » ومعناها العظيم الأعظم والقدير الأقدم .

١٠ — جميع القبائل النيلية التى تسكن جنوب السودان وأوغندة تؤمن بإله علوى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

« هو الجوك » مثل قبائل الشلوك والأتشولى والماوتوكو واللانجو ، وهو عندهم موجود عظيم لا يراه الناس وصفاته عندهم يمكن تلمسها . أغنية من أغانى الشلوك الشائعة تقول:

أنا أصلى لجوك .

الجوك هو المعطى وهو الحافظ .

آمنت بالجوك واستمنت بروح من عنده فأصبحت مخيفا لأعدائى .

وأصبح أعدائى يخشون الاعتداء على .

حينما ينسى الشلوك الجوك يضلون كالبقر .

ولا ينسى الشلكاوى الجوك إلا إذا غرق فى الخمر .

وتقول أغنية أخرى عند الشلوك :

أنا أصلى للجوك وحده .

أصلى له ليسدد سهامى .

أنا لا أرمى السهام وحدى .

ولكن الجوك يوجه سهامى للهدف المصيب .

هذه أمثلة مررنا بها فى أنحاء القارة الإفريقية تعطينا صورة واضحة على أن وحدانية حقيقية تسود فى أديان شعوب هذه القارة متأصلة فى فطرتهم ، ويتضح منها اتفاق كبير مع آيات القرآن الكريم فى خلقه وفى قدرته . ولئن كانت العقائد الإفريقية مشوبة بمقدسات لا تسلم من الشرك والزلل والخطأ إلا أن ذلك يرجع إلى عاملين هامين :

الأول : المؤثرات التى انبثقت من صميم الحياة الإفريقية البدائية ووجهت العقيدة إلى مقدسات أفسدت تلك الوحدانية الفطرية.

والثانى : عدم وصول الهداية إلى تلك البلاد أو منع الاستعمار لهم من الوصول إليها فلم يجد الإفريقيون من التعاليم الخالصة السليمة ما ينقى عقيدتهم وتطهر عقولهم من تلك الشوائب .

ولقد قبل الكثير من القبائل التى وصل الدعاة والمبلغون المسلمون إليها الدخول فى الإسلام بعد أن ألفت قلوبها حول هذا الدين القيم الذى يساير الفطرة السليمة . وكان الإسلام يزحف بخطى حثيثة إلى قلب إفريقيا ليجمع الكلمة ويوحد الصفوف وينهض بالشعوب والقبائل إلى مراقى الإنسانية السامية التى تهدف إلى تحقيقها نظم الإسلام ، لولا أن أتاها الاستعمار ، فعمل بكل وسائله على وقف هذا الزحف المقدس الذى آن لنا أن نعيده . . .

آن لنا أن نعيد هذا الزحف المقدس لنحفظ للشعوب الإفريقية فطرتها السليمة التى تتمثل فى التوحيد وهو العنصر الأساسى للعقيدة الإسلامية والأصل الأول لها ، هذا الزحف الإسلامى الذى يأخذ بيد شعوب إفريقيا لتدعم حريتها السياسية التى حققتها بفكر نقى وعقيدة سليمة .

محمد مهران عباس

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من تاريخ الصحافة :

مجلة قديمة تحمل اسم الأزهر

للدكتور جمال الدين الرمادى

هذه مجلة قديمة تحمل اسم الأزهر بيد أنها ليست هى المجلة التى تصدر عن الأزهر الشريف . أما منشؤها فهو الدكتور حسن بك رفقى الطبيب الشرعى لدى المحاكم الأهلية وإبراهيم بك مصطفى ناظر مدرسة دار العلوم وتاريخ إصدارها عام ١٨٨٧ ، وكانت مجلة علمية أدبية تضم كثيراً من المباحث والفصول فى الأدب والسياسة ، والدين والاجتماع ، والعلم والفن .

ويحلو لنا فى هذا المقال أن نستعرض صفحات هذه المجلة القديمة حتى نستعرض الدور الذى قامت به فى خدمة الصحافة والمعرفة .

والشىء الواضح فى موضوعات هذه المجلة أنها لم تكن قاصرة على لون واحد من ألوان الثقافة إنما كانت جامعة لأشتات من الفنون وضروب من المعرفة . فعنيت بنشر مباحث فى الجغرافيا والهندسة ، والزراعة والعلوم مثل علوم الإيدروليكا أو علم التصرفات وهو العلم الذى يبحث فى حركة المياه ، كما نشرت بحوثا فى تاريخ العرب وبحثا عن ترعة الخطاطبة وحالة الرى فيها منذ الأزمان السابقة ، وعن وسائل تقليل الطمى فى الترع وتقريراً عن أحوال السكك الزراعية ، وتقريراً عن ضغط جسور النيل وما إلى ذلك كما ضمت المجلة بحوثاً عن الثروة الحيوانية فى البلاد ، وبحثاً قيما عن اللبن ، وعالجت بعض المسائل الطبية فى وقت كانت فيه المقالات الطبية شيئاً مستحدثا طريفا . فكتبت عن الحمى والرمد الحبيبى وتناولت بعض الثروات الاقتصادية بالبحث والدراسة مثل البترول الذى نشرت عنه بحثاً فى العدد الأول من السنة الخامسة عام ١٨٩١ .

ونشرت بحثا عن جمهورية شيلى وحروبها الداخلية ونظام الحكم فيها ، وكان المقال بقلم الزعيم محمد فريد الذى كتب تحت اسمه « مساعد النيابة العمومية » ، وبحثا عن تاريخ التعليم فى مصر وبلاد بلجيكا وتعرضت المجلة لخزانات النيل ومواضع إقامتها .

والطريف أن مجلة الأزهر نشرت فى عدد مارس عام ١٨٩٢ مقالا طويلا بعنوان « أفسحوا للشبان » لتشجيع الشباب على العمل وإفساح المجالات له . كما نشرت بحثا طريفا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عن وسائل الاحتفاظ بعطرية مشروب القهوة مما يدخل فى باب التدبير المنزلى ، كما بشرت بالعثور على نسيج جديد يفرب فى الأهمية من الكتان والتيل ويغنى عن القطن فى كثير من الأحوال ويستخرج من ساقه الذى يبلغ طوله مترين ألياف يحصل منها على ورق جيد ، ويمكن أن يعمل من الألياف المذكورة الرقيقة اللينة أنسجة حريرية لطيفة الملمس ، ونشرت رأى « كوفمان » فى معالجة لدغ الأفاعى إذ ظهر له أن كلا من برمنجنات البوتاسيوم وحمض الكروميك بمقدار ١ : أعظم دواء مضاد لسم الأفاعى إلا أن حمض الكروميك أقل أهمية من برمنجنات البوتاسيوم لأنه يجمد السوائل بسرعة ولا يمنع خاصيه انتشارها مثله .

كما نصحت مجلة الأزهر بتنظيف الزجاجات التى كانت محتوية على زيوت أو على أجسام دسمة ، بمحلول برمنجنات البوتاسيوم فيتكون فوق أوكسيد المنجنيز الإيدراتى ثم يضاف حينئذ حمض الكلوراييدريك المركز فيتولد من إضافته تصاعد غاز الكلور الذى يحلل المواد العضوية فيسهل فصلها فغسلها بالماء .

كما ذكرت المجلة أن الأطفال لا يصيحون من غير سبب ، إنما يصيحون إذا شكهم شائك أو كانت معدتهم ممتلئة بغازات ، أو كان عندهم عسر هضم أو كانت أرجلهم باردة ، أو كان برأسهم ألم ، كما يصيحون إذا كان بهم عطش أو جوع أو كانوا يريدون النوم أو كان بهم غضب أو كان جسمهم ساخناً أو بارداً .

وصدر العدد الأول فى يناير عام ١٨٩٣ (السنة السادسة) بعبارة الشاعر جون ملتون المشهورة « أعطنى الحرية فى أن أعلم وأتكلم ، وأتباحث حسب ما منحته من الذمة وأعطيته من الحرية . وإذا كانت كل رياح المذاهب تهب على وجه الأرض ، وكانت الحقيقة موجودة معها فمن العبث أن نمنع ظهورها ونحجزها خوفا من انهزامها . فلنترك الحق يحارب الكذب فإنه لم ير أحد أن الحق انهزم إذا انفتح له المجال . إن أكبر شىء بعد الله هو الحق ، فإنه لا يحتاج فى انتصاره إلى السياسة والحيل بل تلك الأمور هى طرق الدفاع التى يستعملها الكذاب لإخفاء الحق .

ولم تغفل مجلة الأزهر البحوث الإسلامية . ومن ألطف البحوث المنشورة فيها بحث فى المكاييل والأقيسة والأوزان فى الإسلام ، ونقلت رأيا للمقريزى مفاده : أن المصطفى صلى الله عليه وسلم قال : « إن النقود فى الإسلام على ما كانت عليه » وأبو بكر لم يتعرض لها وكذا عمر غير أنه فى سنة ثمانى عشرة هجرية ، وضع الجريب والدرهم ، وضرب عمر الدرهم على نقش الدراهم الكسروية وشكلها وأعيانها وجعل وزن كل عشرة دراهم وزن ٦ مثاقيل .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أما عثمان فلم يضرب درهما فى خلافته، ولما اجتمع الأمر لمعاوية وجمع له زياد الكوفة والبصرة قال يا أمير المؤمنين: إن العبد الصالح صغر الدرهم وكبر الدينار، فضرب معاوية السود الناقصة من ستة دوانق.

ونشرت مجلة الأزهر فى أبريل عام ١٨٩١ مقالا بعنوان « المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه » فسرت به هذا الحديث النبوى الشريف، وقلت: إن النبى صلى الله عليه وسلم كان نبيا كسائر الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام طبيبا بالطب الروحانى الذى هو منصب النبوة الشريف، وليس على الطبيب النطاسى إلا أن يشخص الداء ويصف لصاحبه من الأشفية ما يضاده ويحسمه، كذلك كان نبينا صلى الله عليه وسلم يتفرس فى أحوال الناس ويرى من أمراض قلوبهم وآفات نفوسهم ما لا يرون هم من أنفسهم. فيرشد الإنسان إلى ما يراه أنجع فى علاجه، ويصف له دواء دائه بحمل وجيزة من الرفق واللطف به حتى يكون لها فى نفسه نفوذ تام. فعرض صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث بمن كان داؤه الخامر أنه يؤذى الناس بلسانه ويده، كما عرض بمن كان يؤذى جاره فى قوله. فليس بمؤمن من لا يأمن جاره بوائقه، وليس التقييد بالمسلمين فى قوله: من سلم المسلمون لإخراج غيرهم من هذا الحكم، فإن الشريعة الإسلامية تقضى بأن من كان بيننا وبينهم عهد وذمة، فلهم مالنا وعليهم ماعلينا، وإنما قيد فى الحديث بالمسلمين لكونهم جيران المسلم الأقربين وعشيرته الذين أمر بمخالطتهم والارتباط بهم.

وإنما اكتفى الرسول صلى الله عليه وسلم باليد واللسان وآثرهما بالذكر لكونهما أقوم آلات الجسم وأكثرها نفوذا فى الأعمال إذ لا يخفى أن اليد هى التى تستقل بغالب أعمال البدن من تناول الأشياء ومناولها، وسائر أنواع الكسب والتصرف ولذلك كثر فى الكلام إضافة الفعل إليها مع كون الفاعل غيرها كقوله تعالى: « مما عملت أيدينا » « وما أصابتكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم » ونحو ذلك - ولمثل ذلك أثر اللسان بالذكر أو كان ترجمان القلب الذى هو محل الإدراك، وخازن الإنسان وأمينه الذى يحفظ عليه أسراره ويصون ذخائره - فإن قام هذا الخازن بوضع الأشياء فى مواضعها وتصرف بالحكمة، فبذل فيما ينبغى وأمسك عما لا ينبغى كان كمانع الدواء الذى اطمأن الناس إلى حذق نظره ومعرفته بمقادير الأدوية وكيفية تركيبها، وأنه لا يعطى الدواء إلا بعد تثبت ووزن وتقدير - فمن أجل ذلك أقبل الناس عليه فنفع وانتفع وعاد عمله بالصحة والنجاح

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عليه وعلى غيره ، وإن هو تهاون بما تحت يده ولم يضبط أمر الأدوية التي يعطيها بل باع منها جزافا فقد أدى بنفسه وعبث بحياته وحياة غيره ، كذلك حال اللسان ، وقد قيل الكلام كالدواء إن قل نفع ، وإن كثر صرع ، ورب متكلم فيما لا يعنى . قال له الكلام دعنى .

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه

فليس على شيء سواه بخزان

بهذا الأسلوب طرقت مجلة الأزهر تعالج أمور الدين وتفسر الحديث النبوى الشريف وتضرب النماذج والأمثلة من الحياة الواقعة دون قصور أو تقصير . ولم تكن تخلو أثناء ذلك كله التراث العربي القديم فاستعانت ببيت من أبيات الشاعر الجاهلي امرئ القيس في تفسير هذا الحديث الكريم .

وخصصت مجلة الأزهر القديمة بعض صفحاتها لرجوع تربية وتعليم الأول المغفور له على صدقي الذي كتب بعض المقالات العربية القيمة ونشرها متتالية المخزون ، مفاتيح الكنوز ، الذي نشرته المجلة في يونيه عام ١٨٩١ الذي جاء فيه ، والله سبحانه وتعالى لم يبح لنا من الأفعال إلا ما يهمنا في صلاح ديننا أو دنيانا ، وما لا يهمنا في شيء منهما إن كان فيه ضرر يلحق أحدهما فحرام ، وإلا فتركه والإغماض عنه أحق وأولى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » ، وإني طالما فكرت في الإنسان ومزاياه ، وما أودعه الباري من الخواص المرشدة والنفس المفكرة والعقل المدبر ، والبيان المصور ، واللسان المعبر ، والقوى المنفذة ، والأعضاء العاملة التي بجميعها تصرف في أنواع العالم ، وبسط يده على كل الكائنات ، وكان له السلطان الأعظم على ما في الأرض مع ما به من الضعف وتزاحم العلل والأعراض وكثرة الحاجة وقصر الحركة وهو منصرف بجميعها عن وجهتها منحرف بها عما خلقت لأجله ، والباري لم يركب فيه تلك القوى وهذه الآلات إلا ليجعلها عوامل تحت سلطة التمييز والتدبير يصرفها بمعيار الحكمة في مجاري ثمرات ما أحاطه من الكائنات وجعله حوله من كنوز الخيرات .

فعلى الإنسان أن يعمل طبق ما تحقق حكمة الباري فيه مع أنه لم يكلفه أن يأتي إلا بما في وسعه من العمل ، وسخر له ما تعجز عنه قدرته وتقصر دونه همته ، ولم يبق له إلا ما هو بموازاة إمكانه كما أشير إلى ذلك في قوله تعالى : « فلينظر الإنسان إلى طعامه . أنا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الأرض شقا . فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا ، وقهر جميع الكائنات وجعلها مادة صنع حواسه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

التي هي سبيل عمله ومجاري تفكيره في هذا العالم ، والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ، فالشمس والنجوم والهواء والماء والحيوان والنبات والتراب وسائر الموجودات على اختلاف أنواعها وتباين خصائصها مخلوقة ومذللة لفائدة الإنسان ومصلحته ، وقد امتن عليه الخالق بذلك في مواضع شتى من كلامه المقدس فقال « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه » وقال : « وسخر لكم الفلك » وقال : « وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ما سألتموه ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها . إن الإنسان لظلوم كفار » .

وهكذا مضى المرحوم علي مبارك يعالج موضوع العقل البشري ، ويرسم سبل الصراط المستقيم كما وضحها الله تعالى في كتابه العزيز ، ولا سبيل إلى الإتيان بالأعمال الحسنة إلا حيث يتثقف العقل بأنواع المعارف الحقة ويهذب بالتربية والآداب . فإذا تم هذا للمرء أتى بأعمال تامة الحسن رائقة الصنع ، رائعة الإبداع .

ما وهب الله لامرئ هبة
أحسن من عقله ومن أدبه
هما حياة الفتى فإن فقدا
فقده للحياة أليق به !

وفي العدد الصادر في يوليو عام ١٨٩١ عاد المرحوم علي مبارك ليتحدث عن العدل العام وكيف أنه بالعدل قامت السماء والأرض ، فبالعدل تخصب الأرض ، وتثمر الأموال ، وتنتظم الأحوال وتدر الأرزاق ، ويزول الشقاق ، وبه يستقيم الدين ، ويقوى حبله المتين . وذلك أن الشرع لا يحفظ إلا بالسلطان الذي يحرسه ويذب عن حرمه ، كما أن السلطان لا بقاء له إلا بالدين القويم حيث هو طريق العدل المستقيم .

فالدين بالملك يقوى
والملك بالدين يبقى

فإذا قاد الأمة راعيها بأزمته ، ونهج على شرعته ، اتصلت الأسباب ، وتفتحت الأبواب ، وسهل كل عسير في الزمن اليسير ، وانجت الأمور ، وذهبت الشرور ، ووافى السرور ، والتأمت القلوب ، وانجلت الخطوب ، وغرست في الأفئدة محبته ، وحمدت على مر الأيام سيرته .

هذا طرف من سيرة مجلة الأزهر القديمة التي صدرت في القرن الماضي ، ولم تلبث أن أصدرت مشيخة الأزهر الشريف في المحرم عام ١٣٤٩ مجلة تعبر عن نشاطها الديني والثقافي بعنوان نور الإسلام .

وفي فاتحة السنة السادسة لها ، المحرم من سنة ١٣٥٤ ، تغير اسمها إلى « مجلة الأزهر » التي تصدر الآن في مطلع كل شهر عربي وستها ، عشرة شهور ؟

دكتور جمال الدين الرمادي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

رأي الأزهر
في الاتجاهات الحديثة إلى تدريس النحو

للأستاذ أحمد محمد غنيم

يسرني وأنا أحد الذين ربوا في مدرسة النحو القديمة، واطلعوا على تعاليم المدرسة الحديثة، وعاشوا مع نحاة المدرستين طويلا. وعرفوا الكثير من مذاهبهم، أن أكون ممثل الأزهر في هذه الحلقة [1]. للمشاركة في بحث الاتجاهات الحديثة إلى تدريس النحو. وكل أملي أن نوفق إلى اتخاذ قرار سديد يساير تطور الزمن، ويلائم روح العصر، ويحبب إلى التلاميذ دراسة النحو، بل يبث فيهم الحرص على التوسع فيه.

إن تيسير النحو على المتعلمين أمر محبوب، وغاية شريفة. وأمنية يحرص عليها المصلحون ولكن ينبغي ألا يكون ثمن ذلك التيسير بتر النحو، وإهمال بعض مسائله. ينبغي ألا يكون ثمن ذلك التيسير جهل التلميذ بالنحو وحرمانه من الانتفاع بكتب السابقين. وما فيها من كنوز ثمينة، وثمار طيبة.

وقد حرصت كل الحرص أن أقف موقفا وسطا، لا متحيزا للقديم. ولا معاديا للجديد، ولكن مؤيدا للحق حيث كان، والحق أحق أن يتبع.

وكان بودي أن تكون ثورة الثائرين على النحو القديم ثورة غير جانحة تسير مع العقل والحكمة، وتبقى على كل ما هو صالح من تراث السابقين. مما أنتجته عقولهم، وأثمرته قرائحهم، وانتفع به من بعدهم أجيال وأجيال ولا أظن أحدا من الحاضرين ينكر على القدامى أنهم وجهوا نشاطهم الذهني وعقولهم الجبارة إلى علم النحو، فقعدوا قواعده، وفرعوا فروعه، وثار فيه بينهم الجدل والحوار حتى ليصح القول أنهم فلسفوا هذه المادة، وتركوا منها تراثا ذهنيا ثقافيا جديرا بالإعجاب والخلود.

ولا يمنعنا هذا أن ننكر من تعاليمهم ما تحتم الضرورة إنكاره. من خطأ قد يقع نتيجة لزلة قلم. أو نسوة فهم، ومن صواب قد يتعسر على اللاحقين فهمه، ولا يسهل عليهم

[1] أقيمت في كلية دار العلوم حلقة استغرقت أسبوعا من ٩ – ١٤ فبراير ١٩٦٩ لدراسة تيسير النحو اشترك فيها عن الأزهر الأستاذ أحمد محمد غنيم وأنا هذه الخلاصة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تناوله ، وهو بعد مما لا تدعو إليه حاجة ماسة ولا ضرورة ملحة . وإن مما نحمده أن أول توصية أوصى بها أعضاء هذه الندوة قالوا فيها :

« يعلن أعضاء الندوة اتفاقهم على ضرورة تيسير النحو العربى للطلاب على ألا يمس هذا التيسير أصلا من أصول اللغة العربية . وألا يقطع صلة الطالب العربى بتراثه القديم » .

وهذا مبدأ سام نبيل جدير ألا نحيد عنه فى كل خطوة نخطوها فى سبيل التيسير .

وقد رأيت أن أناقش أمام حضراتكم فى هدوء بعض المحاولات التى يراد بها تيسير النحو :

المحاولة الأولى :

بتر النحو وإهمال بعض مسائله .

يرى أنصار التيسير الاقتصار على النواحى الضرورية من الأبواب المقررة فى النحو وهكذا يرون إهمال الأبواب التى لا تدعو حاجة الطلاب إلى تعلمها أو لا تتفق مع مداركهم . وإنى أعلن من فوق هذا المنبر تأييدى لهذا الاقتراح على طول الخط لكن فيما يتعلق بدراسة النحو للناشئين وغير المتخصصين ، أما المتخصصون وطلاب المعاهد التى تخرج مدرسى اللغة العربية فهم بطبيعة الحال لا يسرى عليهم هذا التيسير فإن المدرس بل الكاتب والشاعر والصحفى والخطيب . كل منهم قد يضطره موقفه إلى التعمق فى البحث ، والإلمام بكل ما قيل فى النحو من دقائق وقضايا ، ولا يفوتنى أن أعلن فى غير تردد أننا معشر القوام على اللغة العربية قد أسرفنا فى تدليل الناشئ ، وأشفقنا عليه فى غير مشفق ، حتى وجدنا فى كلة فاعل وكلة مبتدأ وكلة خبر ما يجرح سمعه ، فى حين أن غيرنا من القوام على المواد الأخرى لم يشفقوا هذا الإشفاق على الناشئ ، ويسردون عليه من قوانين الطبيعة ومبادئ الفلسفة والنظريات الهندسية والقواعد الجبرية ما يصدع الرءوس ، ويشتت الأذهان ، فهل يصح أن نبلغ الاستهانة باللغة العربية إلى هذا الحد ، وهى لغة آبائنا ، ولغة ديننا .

المحاولة الثانية :

اصطلاح المسند والمسند إليه .

يرى الاتجاه الجديد تسمية ركنى الجملة بالمسند والمسند إليه والعدول عن التسمية بالفعل والفاعل والمبتدأ والخبر .

وإن مما لا ينازع فيه أحد أن التلميذ فى مراحل التعليم الأولى إذا ألقى على سمعه نحو أكل محمد ، فإن أسهل عليه وأقرب إلى إدراكه وأكثر مناسبة لما هو مألوف له ويتردد على سمعه أن يستنبط بنفسه ، مع قليل من توجيه مدرسه وإرشاده . أن أكل لفظ يدل على الفعل الماضى وأن ، محمد ، لفظ يدل على

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فاعل هذا الفعل ، فإذا ما جاءت الدراسة تؤيد هذا الذى أمكنه استنباطه بنفسه وهو فى دائرة مألوفة من الكلام ، رسخ فى ذهنه ، وأمكنه القياس عليه . وتلك هى الطريقة التى يفضلها علماء التربية . إنى أجاهر بصوتى عاليا ، أنه إذا أريد من التلميذ الناشئ أن يعرف أن كل مسند ، وأن « محمد » مسند إليه فإن دون ذلك خرط القتاد . مهما بذل المدرس من مساعدة وتوجيه . فإنها كلمات غامضة مابية ، غريبة على سمعه ، لم تطرق أذنه إلا فى قاعة الدرس ولا سبيل إلى وصوله لمعرفتها ، إلا أن يلقنها المدرس عليه إلقاء ويلقنها له تلقينا .

وهذه طريقة معيبة لا تناسب الناشئين مطلقا ، ولا تؤدى إلى التيسير الذى ندعو إليه ، والمدرسون أنفسهم يعترفون بذلك ولا أكون مغاليا إذا قلت : إنها تنفير وتعسير لا تسهيل فيها ولا تيسير ، وهكذا الحال فى نحو : محمد قائم .

وفضلا عن ذلك ، فإن الكتب القيمة التى تركها لنا السلف ، من المفسرين وشراح الحديث وشراح دواوين الشعر العربى . إنما يسير مؤلفوها فى أساليبهم ، على الطريقة الأولى والمصطلحات المتوارثة ، ولا شك أن استمرار الدراسة على ما يراه أنصار التيسير من تغيير فى الأسماء والمصطلحات ، يحدث فجوة واسعة بيننا وبين تلك الكتب ، ويؤدى إلى حرمان الأجيال المقبلة ، من الانتفاع بما فيها . من أفكار سامية ، ومعارف رائعة . وذلك خروج على ما أوصى به أعضاء الندوة من ضرورة التيسير على ألا يقطع صلة الطالب العربى بتراثه القديم ، وأعتقد لو أن القدامى جمعوا الفاعل ونائب الفاعل والمبتدأ فى باب واحد تحت اسم المسند إليه ، لكان من مقتضيات التيسير أن ندعو إلى التقسيم والتفصيل ، لزيادة البيان والإيضاح ، وليدرك التلميذ الفرق بين ضُرب زيد وضَرب زيد وزيد ضرب ، فإن زيداً فى الأسلوب الأول مضروب . وفى الثانى ضارب دون تقرير وتوكيد ، وفى الثالث ضارب مع زيادة التقرير والتوكيد ، وأما اختيا علماء البيان اسم المسند والمسند إليه فذلك ، لأن الأسرار البلاغية لا تختلف بالنسبة لكل منهما مهما كان نوعه ، وكذلك القول فى متعلقات الفعل وهى التكملات فلم تكن هناك حاجة إلى تمييز كل باسمه الخاص ، وإفراده بباب خاص .

أما النحاة فقد وجدوا أن لكل من أنواع المسند والمسند إليه والتكملات تقسيما خاصا وأحكاما خاصة فلم يكن من المستحسن عندهم جمعها تحت اسم واحد كما صنع علماء البيان على أن الطالب لا ينتقل إلى دراسة علوم البيان ، إلا بعد أن يكون قد نال قسطا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كبيراً من دراسة القواعد ، وعرف الفعل والفاعل ، والمبتدأ والخبر ، والمفعول وغيره من الفضلات ، فمن السهل عليه بعد ذلك أن يقبل ما جمع منها تحت اسم واحد ، دون جهد أو عناء .

وأما ما يقوله بعض أنصار التيسير ، من اتحاد أحكام الفاعل والمبتدأ ، فلا نسلمه له ، وهو نفسه لا يعترف بهذا الاتحاد ، فهو بينما يقول : إن الحكم فى الحالين واحد ، نراه يقول : إذا تقدم المسند إليه كان من أحكامه كيت وكيت . وإذا تأخر تغيرت تلك الأحكام ، تبعا لتقدم المسند إليه وتأخره ، وذلك الذى يعترف به ، هو بعينه ما دعا النحاة إلى إفراد المسند إليه المتقدم بباب باسم المبتدأ ، والمسند إليه المتأخر بباب باسم الفاعل . وقبل أن أترك هذا الموضوع ، أستحسن أن أذكر أمام حضراتكم مثالا لفت نظرى إليه مقال نشر بمجلة الأزهر[1] لبعض زملائى بالكلية ، لنوازنوا بين إعرابه فى الاصطلاح القديم وإعرابه فى الاصطلاح الحديث ، وتتبينوا مقدار ما بين الإعرابين من تفاوت ذلكم المثال هو قول القائل « الطائر مقصوص جناحاه » .

يقال فى إعرابه فى الاصطلاح القديم ، الطائر مبتدأ ، ومقصوص خبر ، وجناحاه نائب فاعل والضمير مضاف إليه ، تلك كلمات لا تتجاوز العشر ، سهلة على اللسان ، ولا تمجها الآذان ويقال فى إعرابه فى الاصطلاح الحديث . الطائر مسند إليه أول ، ومقصوص مسند ، وجناحاه مسند إليه ثان ، والمسند والمسند إليه الثانى مسند إلى المسند إليه الأول ، تلك كلمات تقارب العشرين وفيها من تكرار كلمة مسند سبع مرات ، ما يصك الآذان ، ويثقل على اللسان . حكموا أنفسكم وانظروا . ماذا يكون وقعها على سمع التلميذ المسكين ؟ وكيف يتعثر بها لسانه ثم فاضلوا بين الاصطلاحين ، وبحق يقول زميلى . لو أن علماء البلاغة ، وصل إلى سمعهم مثل هذا الإعراب ، لاستغنوا بالتمثيل به للتكرار المعيب ، وتنافر الكلمات ، عن التمثيل بقول أبى الطيب :

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشا
قلاقل عيس كلهن قلاقل

وقول الآخر :

وقبر حرب بمكان قفر
وليس قرب قبر حرب قبر

المحاولة الثالثة : التيسير فى الضمائر .

يرى الاتجاه الجديد إلغاء الضمائر المستترة ،

---

(١) النحو بين التجديد والتقليد ـ ٣ ـ للأستاذ عبد الخالق عضيمه جزء شعبان ١٣٨٠ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

واعتبار ضمائر الرفع المتصلة البارزة حروفا يشار بها إلى نوع المسند إليه أو عدده . وفيما عدا ذلك من الضمائر ، فالقول كما قال النحاة ويؤدى هذا الاتجاه إلى أمور .

الأول : أن ضمير الرفع البارز المتصل حرف ، بخلاف ضميرى النصب والجر . ففى نحو قوله تعالى : « ربنا إننا آمنا » يكون الضمير الأول والثانى من قبيل الأسماء ، والثالث من قبيل الحروف . وأى بلبلة يقع فيها التلميذ من وراء تلك التفرقة التى لا يدرك لها سببا ؛ فاللفظ فى المواضع الثلاثة واحد . ويؤدى فيها معنى واحدا ، وهل هذا إلا تحكم وترجيح لأحد المتساويين على الآخر بدون مرجح .

الثانى : أن هذا الاتجاه يؤدى إلى أن يكون كل من قمت وأقوم مجرد فعل وليس فيه ضمير ، فالأول صيغة لماضى المتكلم . والثانى صيغة مضارع للمتكلم . واعتمادى أنه لا ينازع أحد فى أن كلا من الصيغتين كلام تام ، والكلام عمل اللسان . وهو ما تألف من ركنين ، مسند ومسند إليه . وكل منهما ملفوظ أو مقدر ، فإذا لم يكن فى اللفظ إلا الفعل ، وليس هناك ضمير فى اللفظ ولا فى النية كما يقولون ، فأين المسند إليه ؟ يقولون إن المسند إليه مفهوم ، وهو المتكلم نفسه فى الصيغتين . وعليه : فيكون نحو قمت وأقوم كلاما مؤلفا من ركنين أحدهما ملفوظ وهو الفعل ، والثانى لا هو ملفوظ ولا هو مقدر . وهو المتكلم نفسه ، المدلول عليه بالتاء فى قمت وبالهمزة فى أقوم . ويكون الكلام حينئذ مؤلفا من لفظ وذات ، ولست أدرى كيف نقبل هذا ؟ . وكلنا يعلم أن موضوع النحو . إنما هو الكلام العربى وليس من شأنه البحث فى الذوات . الحق ان هذا من أعجب ما تمخض عنه الفكر الحديث فى القرن العشرين . ولقد حاولت إقناع نفسى بقبوله بوجه من الوجوه ، فلم أجد لذلك سبيلا . ولا أظن معللا ولا متعللا يستطيع أن يسيغه .

الثالث : أنه يترتب على هذا الاتجاه ، ألا تقع تلك الضمائر بنوعيها متبوعة . ضرورة أن البارز منها حروف ، وأن المستتر ملغى ، وذلك ما لا يمكن قبوله . والشواهد على وقوع كل من النوعين متبوعا أكثر من أن يحيط بها الحصر ، ومن ذلك العطف على الضمير البارز فى قوله تعالى : « يدخلونها ومن صلح من آبائهم » وقوله : « لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا » ، وجاء الإبدال منه فى قول النابغة الجعدى :

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا
وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

ولا يمنع مانع من وقوعه توكيدا فى نحو قول القائل : أنصتوا كلكم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وجاء توكيد الضمير المستتر فى قول كثير :

فإن يك جثمانى بأرض سواكم

فإن فؤادى عندك الدهر أجمع

وجاء العطف عليه فى قول جرير :

ورجا الأخيطل من سفاهة رأيه

ما لم يكن وأب له ليسنالا

وقول عمر بن أبى ربيعة :

قلت إذ أقبلت وزمر تهادى

كنعاج الفلا تعسفن رملا

وقول بعض العرب فيما حكاه عنهم سيبويه : « مررت برجل سواء والعدم » برفع العدم وإذا ما سلكنا مسلكهم فى أن المسند إليه فى تلك الأساليب إنما هو الأشخاص لا الألفاظ ، فلا يسعنا إلا أن نهنئ أولئك الأشخاص ، بأن النحو الجديد ، قد عرف مكانهم ، ورفع توابعهم إكراما لهم .

ومما يدعو إلى العجب ، أن بعض المؤيدين لهذا الاتجاه . حينما ورد عليه قول جرير وقول عمر ، واستعصى عليه التخريج على المذهب الجديد . قال ما يأتى : « والواقع أن جريراً لم يعطف وأن عمر لم يعطف ، ولكن نحاة هم الذين قدروا معطوفا عليه . ولم يرضوا كلهم عن هذا التخريج . واختلفوا فى مثل هذين الأسلوبين على آراء كثيرة ، نعفى منها تلاميذنا ونعلمهم ألا يستعملوا مثل هذا الأسلوب إذا صادفهم » .

وإذا كان جرير لم يعطف وعمر لم يعطف . فلماذا لم يبين لنا الأستاذ وظيفة الواو ووظيفة الاسم بعدها فى كلامهما ، وإذا كان الأستاذ يريد أن يعلم تلاميذه ألا يستعملوا مثل هذا الأسلوب إذا صادفهم ، فهل يعلمهم أيضا ألا يستعملوا مثل قوله تعالى : « ما أشركنا ولا آباؤنا » ، وألا يستعملوا مثل قول النابغة « بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا » ، ومن عجيب أمر الأستاذ أن الأسلوب الذى ينهى تلاميذه عن استعماله تدعو إليه ضرورة الكلام ويقع فيه كثيراً . والدليل على ذلك بسيط جداً وواضح جداً . ويتجلى ذلك فى أن الأستاذ نفسه لم يستطع أن يتخلص منه ، وهو ينهى تلاميذه عنه . إذ يقول عن النحاة فى مقاله السابق قريبا ما نصه : « ولم يرضوا كلهم عن هذا التخريج » ، ولا شك أن كلهم توكيد للضمير الذى يزعمونه حرفا . اللهم إلا أن يقول : إنه توكيد لأشخاص اللغائبين ، وقد رددنا ذلك قريبا .

الرابع أن هذا الاتجاه يضطر الدعاة إليه أن يقولوا فى نحو شاهدت الخطيب يخطب ، ومررت برجل يكتب ، الفعل فى الأول حال ولا ضمير فيه وهو باق على رفعه ، وفى الثانى نعت ، وهو أيضا باق على رفعه ولا ضمير فيه . ومعنى هذا أن الحال قد يجىء منصوبا وقد يجىء مرفوعا ، وقد يجىء مجزوما كما فى قول القائل :

غادرت معارضى لم ينبس ببنت شفه . وأن النعت يخالف منعوته فى الإعراب . فقد يكون المنعوت مجروراً ونعته مرفوع أو

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مجزوم . بل قد يجيء كل من النعت والحال لا حظ له من الإعراب إذا كان الفعل ماضيا نحو سمعت محاضراً بهر سامعيه ، وسمعت المحاضر قد أخذ بألباب سامعيه ألستم ترون معى أن هذا الاتجاه ، يعارض قولهم : إن الحال من التكملات والحكم العام للتكملة هو النصب إلا أن يكون هناك داع للجر . ألستم ترون أن هذا الاتجاه ، يعارض القانون العام الذى يقضى بموافقة التابع لمتبوعه فى الإعراب ؟ . ألستم ترون أن التلميذ إذا تعلم النحو على هذا النحو ، يصبح فى حيرة مما يراه فى القواعد ، من اضطراب وعدم استقرار؟ .

ولقد أحس بعض أنصار التيسير بضعف هذا الاتجاه الجديد فى الضمائر ، فشمر عن ساعده وبذل فى توجيهه جهودا يستحق عليها الشكر ، وذكر لتأييده ثمانية أدلة ، ونحن نناقشها دليلا دليلا .

قال فى الدليل الأول ما خلاصته : أن سيبويه يرى أن الألف فى نحو قاما الزيدان حرف مؤذن بأن الفعل لاثنين : والواو فى قاموا الزيدون حرف مؤذن بأن الفعل لجماعة . فإذا كان سيبويه يعتبر هذه الحروف إشارات وعلامات للاسم قبل النطق به وقبل أن تستوفى الجملة ركنيها ، فمن باب أولى تعتبر إشارات للاسم بعد النطق به .

وإنى أطمئن الأستاذ إلى أن هذا الرأى ليس رأى سيبويه وحده ، وإنما هو رأى الجمهور ، وليرجع إذا شاء إلى شرح الأشمونى لقول ابن مالك .

وقد يقال سعدا وسعدوا
والفعل للظاهر بعد مسند

ولكن إنما يلجأ النحاة إلى هذا الرأى ، إذا وردت هذه الأساليب على لسان قوم مخصوصين من العرب هذه لغتهم ، وهى لغة شاذة فإذا نطق بها غيرهم ، فسيبويه وغيره يجوزون أن يكون المتكلم محاكيا أصحاب تلك اللغة ، فتكون هذه الملحقات حروفا ، ويجوزون وجوها أخرى تكون فيها ضمائر ، وإذاً فلا سند للاتجاه الجديد من قول سيبويه.

وقال فى الدليل الثانى : « يرى المازنى أن هذه الأحرف علامات وليست ضمائر » .

وقال فى الدليل الثالث : « يرى الأخفش أن الياء فى تضربين ليست بضمير بل حرف تأنيث كما قيل فى هذى » ونسب هذين النقلين إلى الرضى ، والذى يرجع إلى شرح الرضى يتبين أن الأستاذ لم يكن أمينا فى النقل ، فقد نقل بعض القول وحذف البعض الآخر ، ليوهم أن الاتجاه الجديد ، ليس وليد اليوم ولكن قال به المازنى والأخفش من قبل ، وإلى حضراتكم نص عبارة الرضى قال : « ومذهب المازنى أن الحروف الأربعة فى المضارع والأمر ، أعنى الألف فى المثنيات ، والواو فى جمع المذكر ، والياء فى المخاطبة ، والنون فى جمع النسوة ، علامات كألف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الصفات وواوها ، وهى كلها حروف والفاعل مستكن عنده » . وكذلك قال الرضى : «يرى الأخفش أن الياء فى تضربين ليست بضمير ، بل حرف تأنيث كما قيل فى هذى ، والضمير لازم الاستتار » .

ويتبين مما قاله الرضى ، أن الاتجاه الجديد لا يتبع قول المازنى . ولا قول الأخفش ؛ لأنهما يقولان باستتار الضمير ، والاتجاه الجديد ، لا يعترف بهذا الاستتار ، فهو إنما يأخذ من قول الأئمة طرفا ، ويترك طرفا ، ويذكرنى هذا بدعوى ابن الرومى حل الخمر ، مستنداً إلى أقوال أئمة الفقه حيث يقول :

أحل العراقى النبيذ وشربه
وقال الحرامان المدامة والسكر
وقال الحجازى الشرابان واحد
فحلت لنا بين اختلافهما الخمر
سآخذ من قوليهما طرفيهما
وأشربها لا فارق الوازر الوزر

وقال فى الدليل الرابع : « تقول الجنود مستعدون . والجنود يستعدون . فأى فرق بين الواوين ، وكذلك الألف فى مستعـــدان ويستعدان » ، ويقول النحاة فى الجواب عن ذلك : إن الفرق بين واضح ، فالواو فى «مستعدون» والألف فى «مستعدان» ، حرفان جعلا علامتى إعراب مع دلالة الأول على معنى الجمعية ، والثانى على معنى التثنية ، ولذلك يتغيران فى حالتى النصب والجر ، تقول رأيت جنوداً مستعدين ، ومررت بجنود مستعدين وذلك بخلاف الواو فى يستعدون والألف فى يستعدان . فإنهما ضميران . ولذلك لا يتغيران ويثبتان رفعا ونصبا وجزما . نحو لم يستعدوا ولم يستعدا ولن يستعدوا ولن يستعدا .

وقال فى الدليل الخامس : ما خلاصته أن أن مذهب النحاة فى إعراب يقرءون ونحوه ، يؤدى إلى الفصل بين الفعل وعلامة إعرابه ، وعلامة الإعراب إنما تلحق آخر الكلمة العربية . وقد أجاب النحاة عن ذلك ، بأن الفعل والفاعل كالكلمة الواحدة ، ولذلك يمكن اخر الفعل فى نحو كتبت ، فجاز أن يلى الفاعل ما هو علامة إعراب الفعل . كما جاز أن يتصل بالفعل ما هو علامة على معنى فى الفاعل وذلك تاء التأنيث .

وقال فى الدليل السادس : « يقول العرب الرجال جاءوا ، والرجال جاءت . ويعلل النحاة جواز الصيغتين بأن فى جاءوا ملاحظة الجمع ، وفى جاءت ملاحظة الجماعة ، فلو سايرناهم فى هذا التعليل لتبين لنا أن الواو التى ترمز وتشير إلى الجمع ، تناظر التاء التى تشير إلى الجماعة وهذه التاء علامة التأنيث عند جميع النحاة ، أى علامة للنوع . فلم لا تكون نظيرتها الواو علامة للجمع أى العدد ؟ » .

ولإبطال هذا الدليل . أنقل إلى حضراتكم عبارة النحاة التى يستند إليها الأستاذ لتبينوا منها مبلغ فهمه لكلامهم ، أو مقدار ما يريد من مغالطة .

قال الأشمونى : « تقول قامت الرجال وقام

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الرجال فإثبات التاء لتأوله بالجماعة ، وحذفها لتأوله بالجمع ، وترون من هذا أن التعليل المذكور . فيما إذا تقدم الفعل وتأخر الفاعل حيث يتصل بالفعل علامة النوع فقط . وتمتنع فى اللغة الفصحى علامة العدد وأن الذى يناظر التاء فى قامت الرجال ، إنما هو تجريد الفعل منها فى قام الرجال . وأما إذا تأخر الفعل ، كما فى الأمثلة التى مثل بها الأستاذ ، فالواجب حينئذ أن يتصل بالفعل مايدل على النوع والعدد جميعا ففى قولنا الرجال جاءت . لوحظ أمران : الإفراد والتأنيث . ودل على الإفراد بالضمير المستتر . وعلى التأنيث بالتاء . وفى قولنا : الرجال جاءوا . لوحظ معنى الجمع . ومعنى التذكير . ودل على الجمع بالواو . وعلى التذكير بترك التاء . وبهذا يتبين أن الذى يناظر التاء إنما هو تركها وأن الذى يناظر الواو إنما هو ضمير الإفراد المستتر ، وإذا استبدلنا المضارع بالماضى يظهر ذلك جليا . تقول الرجال يقومون . والرجال تقوم . فالتاء فى تقوم تناظرها الياء فى يقومون . والواو فى يقومون ، يناظرها الضمير المستتر فى تقوم . ويقينى بعد هذا البيان أنه لم تبق أية شبهة فى أن الواو تناظر التاء . فلا تكون مثلها حرفا .

وقال فى الدليل السابع . تقول البنتان تقرءان . فالألف فى تقرءان تدل على العدد وهو المثنى . ولما كانت الألف مشتركة بين المذكر والمؤنث احتجنا إلى التاء فى أول الفعل للدلالة على النوع وهو المؤنث . ولكننا نقول البنات يقرأن بدون علامة التأنيث فى أول الفعل ، وذلك لأن النون علامة على العدد والنوع معا . ولو كانت ضميراً حل محل الاسم الظاهر وكانت فاعلا ، لوجب تأنيث الفعل معها وقلنا البنات تقرأن . ونقول فى إبطال هذا الدليل : تقول للرجلين قرأتما وأنتما تقرءان . وللأنثيين قرأتما وأنتما تقرءان . والصيغة واحدة فى خطاب النوعين . ولم تلحق بالفعل علامة التأنيث فى خطاب الأنثيين . ويعلل النحاة ذلك بأن التاء إنما يؤتى بها عند الحاجة إليها . وتمتنع عند وجود مايغنى عنها . كما فى قمت خطابا للمفردة ، وقمنا لاثنتها ، وكما فى قول الأنثى : قمت . والإناث قمنا ، لأن قرينة الخطاب والتكلم يعينان المراد . وكما فى قمن ويقمن ، لأن النون متعينة للمؤنث فلا التباس . وبهذا يتبين أن امتناع التاء فى نحو البنات يقرأن ، لأن الضمير متعين للمؤنث ، فلا يؤتى معه بالتاء لعدم الحاجة إليها ، ولو كان امتناع التاء لأن النون علامة النوع والعدد معاً لوجبت التاء فى نحو قولنا الأنثيين قرأتما لفقد ما يدل على النوع ، فإن قال قائل : إذا كانت التاء إنما يؤتى بها عند الحاجة إليها ، فلم تلحق الفعل عند إسناده إلى الأسماء الظاهرة ، وألفاظها كافية فى الدلالة على النوع ؟ فالجواب أن كثيراً من الأسماء قد يشترك فى التسمية به المذكر والمؤنث نحو رجاء وضياء ووفاء

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهند وإحسان وسعاد . فاحتيج إلى التاء في الفعل عند الإسناد إلى تلك الأسماء الظاهرة المشتركة ، للدلالة على نوع الفاعل وتمييزه إذا كان مؤنثاً ، ثم اطرد في غيرها .

وقال في الدليل الثامن : ما خلاصته أن ما نسميه ضميراً في نحو قرأت وأخواته ، يشبه تماما أحرف المضارعة من حيث الدلالة على المتكلم في نحو قرأت وأقرأ ، وعلى المتكلمين في نحو قرأنا ونقرأ ، وهكذا الباقي ولم يجعل النحاة أحرف المضارعة ضمائر ، فكان من حق نظائرها في الفعل الماضي ألا تكون ضمائر ،

وبقليل من النظر والتأمل ، ندرك فرقا كبيراً بين التاء في قرأت والهمزة في أقرأ ، فالتاء كلمة زائدة على الفعل الماضي مدلولها المتكلم والفعل يتحقق بدونها ، وأما الهمزة فهي جزء من الفعل المضارع ومدلولها أن الفعل مسند إلى ضمير المتكلم ولا يتحقق المضارع بدونها ، وهكذا الباقي .

ولا يفوتني أن أذكر على سبيل الفكاهة كلمتين للأستاذ :

قال في الأولى : « إن الاتجاه الجديد فيه نوع من التيسير ، ويتجلى ذلك في إعراب نحو محمد لعب ، فالاتجاه القديم يستدعي من التلميذ ثلاثا وعشرين كلمة . والاتجاه الجديد لا يكلفه أكثر من ست كلمات » .

ولا أظن أحداً ينكر الإطناب في الشرح للإيضاح والتفهيم ، على أنه من السهل إذا تحقق المدرس من فهم التلميذ القواعد ، ورسوخها في ذهنه ، أن يكتفي منه في إعراب الجملة المذكورة بست كلمات أيضاً فيقول ، محمد مبتدأ ولعب وفاعله المستتر خبر .

وأما الكلمة الثانية ، فهي قوله : والاتجاه الجديد يعفي التلميذ من القلق النفسي الذي يستحوذ عليه ويستبد به حينما نريده على أن يفهم أن هناك فرقا بين قتل اللص التاجر ، واللص قتل التاجر ، ففي قتل اللص التاجر ، اللص فاعل ، فهو قاتل مجرم ، وإذا فاقبضوا عليه وخذوا على يديه وفي اللص قتل التاجر ، اللص مبتدأ وليس بفاعل ، وإذا فهو بريء مظلوم ، فأطلقوا سراحه ، وابحثوا عن القاتل الحقيقي ، تجدوه مختفيا ومختبأ ومستترا في زاوية من زوايا الفعل ، ألستم تعجبون معي من هذا المنطق؟ ، من ذا الذي قال من النحاة ، إن قول القائل اللص قتل التاجر لا يقتضي كون اللص قاتلا لأنه ليس بفاعل ؟ إن النحاة يقولون في هذا الأسلوب : إنه يثبت إدانة اللص بالقتل مرتين ، لما فيه من تكرار الإسناد فهو بمثابة قولنا : قتل اللص التاجر ، قتل اللص التاجر ، فهو تقرير للاتهام على وجه لا يدع مجالا لاحتمال الشك ، فهو في الأسلوب الأول مستحق لقصاص واحد وفي الأسلوب الثاني مستحق لقصاصين ، إن صح هذا في القانون .

(البقية في العدد القادم)

أحمد محمد غنيم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ذكرى المحرم :

عاشوراء فى تاريخ الإسلام

للأستاذ محمد رجب البيومى

ليوم عاشوراء فى تاريخ الإسلام دوى رنان وصدى مجلجل . فكم اهتزت له عروش . وقامت به ثورات . وما أعرف محنة من محن الأبطال تركت وراءها أثرها الفاجع عبر الاحقاب والقرون كمحنة الإمام الحسين . وقد يكون فى كوارث التاريخ ما غلبها قوة وعاقبة كهجوم التتار فى المشرق واعتداء الصليبيين ، وسقوط الأندلس وغيرها من الخطوب ، إلا أن أثر هذا اليوم الرهيب قد فاق فى عمقه وروعته كل أثر سواه ، حتى لجاز لشاعر متعقل كأبى العلاء المعرى أن يجعل منه ظاهرة طبيعية تطالع الناس فى الصباح والمساء ، إذ يقول مصورا هول المأساة :

وعلى الأنق من دماء الشهيدين
على ونجله شاهدان
فهما فى أواخر الليل فجرا
ن وفى أولياته شفقان

ولم تكن هذه الكارثة الأليمة من حظ هذا اليوم الياثس بل فصلا سجلا بين الأيام ولكنها طبعته بطابع حزين سيقترن به فى تاريخ الإسلام مدى الحياة .

صحيح أن هذا اليوم كان معروفا فى الجاهلية ، فقد روت الآثار أن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان يوم عاشوراء يوما تصومه قريش فى الجاهلية ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه ، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصومه ! فلما فرض رمضان كان هو الفريضة وترك يوم عاشوراء ، فمن شاء صامه ومن شاء تركه » . وأن البخارى ومسلم رويا عن ابن عباس « أن النبى صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : يوم صالح ، نجى الله تعالى فيه بنى إسرائيل من عدوهم ، فصامه موسى ، فقال صلى الله عليه وسلم : أنا أحق بموسى منكم . فصامه وأمر بصيامه » ، وإذن فقد صام الرسول يوم عاشوراء ! ولكن كم صام الرسول من أيام غير رمضان ، ومرت جميعا فى دورات الزمن دون أن تثير

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ما أثاره هـذا اليوم منذ مصرع الإمام الشهيد .

قتل الحسين شهيد الظمأ والسيف والقيظ، وأحس شيعته المخلصون أنهم خذلوه فى أحلك ساعاته وأحرج مواقفه ، واندلع بركان الغيظ والأسف والنـدم يلهب الضمائر ويدفع بالأفواج الساخطة إلى الثأر والانتقام ، وأصبح يوم المصرع مأتما معولا تلطم فيه الوجوه . وتهتك الغدائر المرسلة وتشق الجيوب، وتقام المناحات، وتقدمت الجيوش الثائرة تحارب كتائب الدولة المسيطرة فيتسع ميدان النضال وتتناثر الأشلاء والجماجم فى ساحات فياحة تجرى بها مسايل الدماء ، وتصل السيوف وتصهل الخيول . . . ونظر بنو أميه فوجدوا يوم عاشوراء فى كل محرم يهيج ما كمن من الحزن ويشب ما خمد من الضرام ، ورأوا كربلاء تصير مزارا مقدسا يهرع إليه الثائرون ، ويتدافع من حوله الناقون ، وقد أصبحت بركانا يقذف بالحمم وينذر بالثبور ، وكم أرق مضاجعهم أن يروا هلال المحرم فى أفق العام المجيد يلوح منذرا بالسخط والحداد والنواح ! وإنهم ليلتفتون فيجدون الأسواق فى الكوفة والبصرة تقفر ، والسواد فيما جاوز العراق يشيع ويعم ، وقصائد التأبين والرثاء ترن نائحة باكية ، حتى إذا مضت الأيام التسعة وحان اليوم العاشر كان الهول الأكبر ، والزلزال العاصف . ماذا عسى أن يفعلوا أمام هذا اليوم العصيب؟.

إن الحجاج طاغية العراق وسيف بنى مروان يعمل حيلته ، ويجهد قريحته ، فيرى أن الاحتكام إلى السيف يمد النار بوقود لا ينقطع، وأن من الأصوب أن تخترع الأحاديث الدينية فى فضائل هذا اليوم ، فيكون مجال توسعة فى النفقة ، ومرور للجماعة ، وانتعاش للتجارة ، ويندفع الوضوليون إلى اختلاق الروايات المسندة فى فضائل هذا اليوم ومزاياه ، ثم تنحر الذبائح وتفرق لحومها على المنازل ليأكل الفقراء مما أباح الله لهم فى هذا اليوم العجيب. ويجد الناس أنفسهم أمام فريقين من الداعين : فريق يذكر بمصرع الحسين فيلتاع ، وفريق يسرد أحاديث النفقة والتوسعة فيسر . . ولم يقف التلفيق عند التوسعة والبسط بل جرزه إلى اختراع فضائل أخرى جمعت فى هذا اليوم ! ! ففى عاشوراء رفع الله إدريس إلى السماء ، ونجى نوحا من الطوفان ، وأنقذ إبراهيم من النار ، ونبذ يونس من قلب الحوت إلى العراء ! ! وكأن هذا اليوم بالذات كان موعد النجاة لكل نبى أظهره الله . ولولا أن تاريخ محمد صلى الله عليه وسلم معروف باليوم والشهر ، لقال قائلهم فى هذا اليوم هزم المشركون

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

في بدر ، واندحرت الأحزاب في معركة الخندق ، وفتحت مكة بعد طول امتناع ! ! على أن مغالاة الشيعة في شعائر الحزن ومراسيم النواح قد دفعت بعض المحايدين إلى مهاجمتهم ، فحبذوا فضائل عاشوراء المختلقة . وصرنا نجد فريقا من أهل السنة يؤمن بها كحق مسلم لا يعترضه الظن بوهم ! ! وهكذا حار هذا اليوم العجيب بين المسرورين والمحزونين ! !

وحين سقطت الدولة الأموية كان مصرع الحسين في رأي الباحثين أول عامل قوي أدى إلى سقوطها ، إذ ظل لغما هائلا يهدد كيانها بالانفجار ما بين حين وحين ، حتى إذا تحرجت الأمور أدى رسالته المدمرة فتصدع البناء الوطيد تصدعا طاح بالسلطان والمجد والجاه ، وجاءت الدولة العباسية فرأت يوم عاشوراء ينذرها بالويل والدمار ، ورغم ما بذله الخلفاء تحببا إلى الشعراء والمفكرين لم يستطيعوا أن يسكتوا الألسنة القوية التي أخذت تذكر بهذا اليوم الرهيب ، وسالت مراثي الحميري والعبلي ودعبل وابن الرومي نادبة نائحة ، فتلهب الأحاسيس وتوجع الضمائر ، وقد صدقت فيها العاطفة صدقا أورثها سهولة في اللفظ وعمقا في التأثير ونفاذا إلى القلوب ، وللنفوس ولع هاشم بشعر المعارضة والمناوئة . فكيف إذا ضم إلى ذلك بكاء مريرا على الحسين ، والتياعا لما فجع كربلاء وملاحد الطف ، وفجائع آل بيت الرسول ! ! مهما يكن من شيء لقد أصبحت الدولة العباسية تواجه في بغداد والكوفة والبصرة ما تحذره وتخشاه ! فكيف تظن بخراسان وما وراء النهر وكل مكان قرب أو بان ! .

وكان ما لا بد أن يكون ، فقد خضعت بغداد لبني بويه وهم شيعيون علويون ، وأصبح الخليفة العباسي لا يملك أمرا أو نهيا مع معز الدولة بن بويه الديلمي ، وكان من مبتدعاته في مدينة السلام أن جعل يوم عاشوراء من أحفل أيام الأسى والنواح ، فأصدر منشورا حاسما يأمر الناس قاطبة بارتداء ملابس الحزن ، وإغلاق الأسواق ، وإبصاد الحوانيت وتحريم البيع والشراء ، وتعطيل الطابخ والمطاعم ، على ان تكون المناحات عامة شاملة فيخرج النساء مرسلات الشعور ، ملطخات الوجوه ، مشققات الثياب ، صارخات نادبات . ومن عهد معز الدولة ، وشيعة العراق يحتفلون بيوم عاشوراء احتفالا حزينا ، تعلو به المنائح ويلبس فيه السواد وقد حاول بس باشا الهاشمي أن يمنع هذا التقليد منذ سنوات معدودة فتعرض إلى ثورة صاخبة ضاعت بإزائها شتى الجهود ، وأذكر أن صديقي المرحوم الأستاذ محمد هاشم عطية قد حدثني عن احتفال نائح شهده هناك إذ كان أستاذا

أبو ذر القاضي / مكتبتنا العربية

للأدب بدار المعلمين العالية ببغداد ، ورأى من الملاطم والمتناحر ما لم يكن يتصوره بل إنه اضطر إلى مشاركة الناحين كيلا يرجف به أحد المجتمعين فيتعرض إلى ما لا يحب ! ! وكم يقشعر جسمي حين أطالع تاريخ ابن الأثير فأجده يذكر في حوادث سنة ٤٤٣ هـ أن بعض رجال العباسيين حاول أن يمنع احتفال الشيعة بعاشوراء فأحرق جميع الأسواق والدور بالكرخ وما حوله ، وبلغت ضحاياه سبعة عشر ألف إنسان ! ! يا لله ، يذهب هذا العـــدد الضخم في غير مفخرة تعود على الإسلام ! ويقع بأس المسلمين بينهم فيشب المنهورون حريقا رهيبا يحصد آلاف الأرواح وتهيج الحفائظ في الصدور فيندفع الموتورون إلى الانتقام ! وكلا الفريقين ممن يتنازعون الرأي على شفا خطر مبيد ! ! ولو عقل رجال الدولة لتركوا الناس يفعلون ما يبتغون بعد أن يدعوا المخالفين إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويجادلوهم بالتي هي أحسن كما يأمر الإسلام !

هذه بعض الفظائع الدامية في بغداد ، ولنا أن نأخذ منها بعض العبر الواعظة كيلا تتكرر المأساة من جديد ! ! .

أما يوم عاشوراء في مصر ، فقد قدر له أن يجد من الدفع والجذب ، والمد والجزر ، بعض ما وجده في بغداد ، فقد كان الشيعة بمصر قبل ميلاد الدولة الفاطمية يحرصون على إحيائه بالأسف والبكاء ، فكانت طوائفهم يذهبون في حينه إلى قبري السيدتين نفيسة وكلثوم ، فيقرءون القرآن ، ويريقون الدموع ، ويصعدون الأنين ، ونفيسة هي بنت الحسن ابن زين العابدين ، وكلثوم هي بنت القاسم ابن محمد بن جعفر الصادق ! فالاجتماع لدى مشهديهما تلوح به القرابة الدانية والوشيجة المعرقة ، وقد يثور بعض الصارخين فيندفع إلى قرب السقائين وأواني الباعة بالتحطيم والتهشيم ، إلا أن العقلاء من المارة يعيدون الأمن ويدفعون التطرف حتى ينصرم اليوم بذكراه المؤسية ، وأسفه اللهيف .

ثم جاءت الدولة الفاطمية وهي من ناحية أولى تبذل اهتماما كبيراً بالمواسم والاحتفالات وتعدها مجالا فسيحا لمشغلة النفوس وانصراف الخواطر ، ومن ناحية ثانية تتخذ الإمام الحسين رمزاً للبطولة الساحرة والفدائية الشهيدة — وهو فعلا كذلك — وتتخذ من مأساته الدامية أساسا لتدعيم كيانها السياسي ووجودها الشرعي ، فلا غرو إذا اهتمت بيوم عاشوراء اهتماما بالغ الحد فعملت ما يستطاع فعله في إظهار لواعج الأسف وشعائر الحزن ، إذ أمرت — في حزم حاسم — بتعطيل الأسواق ، ولبس المسرق من الثياب ، وأذنت للنساء بخروج مولولات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نادبات ، وقد صبغن الوجوه بالسواد ، وأعلين النواح في الشوارع والمنازل ، واندفع الشعراء يرسلون قصائد التفجع والتوجع ، والقصاص يروون فصول المأساة ويصفون مشاهد المحنة ! ! وإذا كان لا بد من سماط كبير للطعام ينتهي به الاحتفال ويتصدره الخليفة كما يفعل في المواسم والأعياد ، فإن سماط عاشوراء يتسم بطابع خاص ويسمى سماط الحزن وعليه توضع أنواع كثيرة من الأملاح والجبن والمخللات والمحرقات ، ولا يكون الخبز إلا من شعير مضى عليه الزمن فخشن وصلب . ثم يجلس الخليفة الفاطمي حزينا مطرقا على كرسي من جريد ليس دون وسادة أو حشية ومن حوله حاشيته ووزراؤه في مثل حالته وعليهم ثياب قاتمة ... ما بالنفوس من ضيق وانقباض . وحين أقيم المشهد الحسيني بالقاهرة بعد مجيء الرأس الطاهر صار من الحتم الملزم أن تتحلق الجموع حول المسجد وداخله وأن يذهب إليه الخليفة أو وزيره في موكب حزين يلفه الأسى وتغشاه الكآبة ليستمع آيات القرآن ، وخطب التأبين ، ويتلقى العزاء ثم يعود إلى القصر وقد طويت زخارفه وطنافسه وبسطه ، وفرش بالحصير البالي المتناثر ، وساد الجمع سكون لا يقطعه غير نشيج الباكين وتنهد الملتاعين :

وقد ذكرت بعض كتب التاريخ أن الفاطميين كانوا يذبحون الإبل والبقر والغنم حول مشهد الحسين ! وهذا ما حرتُ في تعليله ، لأن الذبائح توحي بالمسرة وارتزاق الناس مع أن اليوم يوم حزين لا يأكل فيه الخليفة ورعاياه غير الشعير الجاف ! وإذا كانت هذه الذبائح صدقة للفقراء ، وتحية لروح الإمام في هذا اليوم فلم إذن تغلق المطابخ والمطاعم والأسواق ، ويُحرّم على الناس أن يأكلوا ما يشتهون ! أليس ذلك يتناقض مع نحر الذبائح ، وإراقة الدماء ! ! لا أعتقد أن هذه الرواية صحيحة ، وربما وقعت في غير عهد الفاطميين مما تلاه ، وغفل المؤرخ فسبق بها الزمان !

وكان من الطبيعي بعد سقوط الدولة الفاطمية وقيام الدولة الايوبية أن تزول مظاهر الأسف واللوعة في مصر حين يفد هذا اليوم ، إلا أن الأيوبيين قد تورطوا في الأمر تورطا جائز القصد ، فلم يجعلوا يوم عاشوراء يوما عاديا كسائر الأيام ، بل أحيوا أحاديث التوسعة والنفقة والافتنان في المطاعم والآكال مع الإغراق في الحلوى والفطائر ! وذلك تطرف لا يقل خطورة عن تطرف المحزونين البائسين ، ومر على مصر عامان متعاقبان كان أولهما مظهرا للترح البالغ والأسى الحزين في عاشوراء ، وثانيهما

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مجالا للفرحة والأنس والانغماط . ولو نظر الأيوبيون لهذا اليوم نظرة مقتصدة لاتقوا إثارة الخواطر وانفعال النفوس ! ! وقد ألفت الكتب المبسوطة فى فضائل هذا اليوم ، واندفع الناس إلى الإسراف فى ملذاتهم ومآكلهم إسرافا غير مقتصد ، حتى أنشىء نوع خاص من الحلوى يعرف بعاشوراء وحرص الناس على صنعه فى هذا اليوم ، وما زالت مصر تحتفل بالنفقة والتوسعة فى أعوامها المتتابعة أيوبية ومملوكية وعثمانية حتى زارها المستشرق ادورد لين سنة ١٨٢٥ ورأى من مظاهر الاحتفال بيوم عاشوراء وما قبله من الأيام التسعة ما سجله فى كتابه المعروف « المصريون المحدثون فى القرن التاسع عشر » فتحدث بإسهاب عن مظاهر جديدة تعاقبت فى هذا اليوم ، إذ يخرج نساء كثيرات ينتمين إلى أسر محترمة إلى الشوارع المختلفة وكل سيدة تحمل طفلها على كتفها ، وتستوقف من يمر من الرجال ثم تسأله بعض النقد لتشترى به حلوى للطفل فيعيش ويسلم من الأمراض ! وهكذا أصبحت حلوى عاشوراء إكسيرا يمنح الحياة ، ولن يرزق هذه الخاصة المدهشة إلا إذا جاء عن طريق الصدقة والإحسان ! ! وقد بقيت مظاهر التوسعة فى هذا اليوم حتى الآن . وخطباء المساجد فى الريف يثبتون دعائمها بما يلقونه من خطب متوارثة تمتلئ بالموضوعات والمختلقات ، وإذا كان الريفيون يحبون الإمام الحسين حبا جاوز الحد ، ولا يكادون يغادرون الريف إلى القاهرة إلا تبركا بزيارة قبره ، فإنهم حين ينفقون عن سعة فى هذا اليوم لا يصورون أدنى صلة تربط الإمام الشهيد بهذا الأمن المقدور ، وقصارى ما يعلمون أن أحاديث الرسول تحث على النفقة والتوسع فيجب أن تطاع .

أما سائر الأماكن الإسلامية المتشيعة فى العراق وإيران والهند والأفغان وجبل عامل فى لبنان ومحلة الأمن فى دمشق وبعض عشائر الحجاز حوالى المدينة وفى البحرين والكويت وتركستان وغيرها من مهاد التشيع فلا تزال تجلل مساجدها وشوارعها بالسواد فى هذا اليوم حدادا على السبط الشهيد . بل إن مؤرخى المسرحية فى الشرق يرجعون بنواتها البدائية إلى ما كان يصنعه شيعة إيران فى هذا اليوم من تمثيل لمأساة كربلاء إذ يبدءون الرواية بخروج الحسين من المدينة ثم التحامه بجيوش الأمويين فى كربلاء ويعرضون مشاهد للصيال والنضال والبطولة والاستشهاد ، ثم يقوم شيخ يثير شجون الناس بذكر ما لاقاه الحسين فى نغم حزين يهيج العواطف ، ويستدر الدموع ، ويمر بالناس ومعه قطعة من القطن يلتقط

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فيها الدموع ثم يقطرها فى زجاجة تحفظ للاستشفاء ويختم التمثيل بحرق أعشاش فى جوانب الساحة ترمز إلى كربلاء ، ويظهر قبر الإمام الشهيد مجللا بالسواد .

هذا فى إيران . أما القاهرة نفسها فغير بعيدة العهد بموكب الحسين فى الحى الفارسى وقد وصفها الأستاذ الكبير ابراهيم عبد القادر المازنى فى مجلة الرسالة [1] . إذ قال متحدثا عن صديق له تحت عنوان (مصرع الحسين) :

« وقال لنا يوما خذوا وناولنا بطاقات فيها دعوة إلى ما كان يسمى « زفة الحسين » وما هى بزفة ، وإنما هى مأتم ، ولكنها هكذا تدعى على ألسنة العامة ، فذهبنا فى الموعد المضروب إلى بيت رحيب فى زقاق ضيق ، فوجدنا هناك كثيرين من رجال مصر المعروفين ، أجلسنا معهم ثم دعينا إلى مائدة مثقلة بالآكال [2] . الشهية ، وكان الأستاذ البرقوقى إلى جانبى فظمئ على الماء وأسر لى بذلك . فأومأت للخادم ، فناوله كوبا رفعه إلى فمه ، وما كاد يفعل حتى رده عنه : ذلك أنه كان سكرا مذابا لا ماء ، فعجبنا واتقينا أن نشرب .

وانحدرنا إلى صحن الدار وكان فيها منبر ارتقى إليه شيخ فارسى ، وانطلق يقول كلاما لا نفهمه ولكن صوته كان يتهدج ، وكانت الدموع تتسايل على خده وتبل لحيته الكثة ، وقيل لنا : « إنه يرثى الحسين ويندب مصرعه ، وكان الذين يفهمون كلامه من بنى جنسه ، يبكون بل يعولون ، ومنهم من كانت تهيج حرقاته فيلطم أو يضرب صدره أو ظهره العارى بسلسلة غليظة من الحديد ، أو يضرب جبينه ببطن سيف مسلول ، ولكن أحدهم اضطرب وهو يفعل ذلك فأصاب حد السيف جبينه فانفجر الدم كأنه من نافورة ، وقد خفوا إليه وضمدوا جراحه وعصبوا له رأسه ، وهال أحدنا منظر الدم ، وظن أن الرجل لا محالة هالك فأغمى عليه وسقط على الأرض كما تسقط الخشبة فأنشقوه شيئا فى زجاجة ، أنعشه ورد إليه روحه » .

هذا ما يرويه بعض المعاصرين فى القاهرة ، ولك أن تقيس عليه ما يجرى فى بلاد الشيعة مما يثبت أن هذا اليوم ذو صدى مجاجل لا ينقطع على تتابع الأحقاب ، وإذا كنا قد نظرنا إليه من الناحية التاريخية وحدها فإن الناظرين إليه من الناحية الأدبية ليدهشون لكثرة ما ألهم من آثار وروائع ، وأوحى من تآليف وأسفار .

محمد رجب البيومى

---

[1] الرسالة ـ العدد الممتاز [١٤٣] .

[2] هكذا قال المازنى ولا أدرى كيف تكون الآكال الشهية فى مأتم نواح .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

التكبير في أواخر السور
هل له أساس صحيح ؟

للأستاذ محمد محمد الشرقاوي

درج القراء لكتاب الله عز وجل على أن يذيلوا أواخر قصار السور ابتداء من سورة « والضحى » حتى نهاية سورة الناس - بالتكبير . . . فمنهم من يقتصر على عبارة « الله أكبر » ، ومنهم من يزيد قبلها عبارة وبعدها أخرى، فيقول : « لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد » . . وقد شاع ذلك وذاع ، وردده الصغار حين يحفظون ، والكبار حين يرتلون . . حتى إن بعض السامعين يحسبونها جزءاً من التنزيل ، أو لازمة لا تنفك عن تلاوة أو ترتيل .

وقد صح هذا التكبير عند أهل مكة ، قرائهم ، وعلمائهم ، وأئمتهم ، ومن روى عنهم . . . حتى استفاض واشتهر ، وذاع وانتشر ، وبلغ حد التواتر ، وصار هذا العمل عند أهل الأمصار ، في سائر الأقطار عند ختمهم في المحافل ، واجتماعهم في المجالس وكثير منهم يؤديه في صلاة رمضان ، ولا يتركه على بحال .

قال أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني من أئمة القراءة : (لقد استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا التكبير قبل الهجرة بزمان . . . فاستعمل ذلك المكيون ، ونقل خلفهم عن سلفهم ، ولم يستعمله غيرهم ، لأنه صلى الله عليه وسلم ترك ذلك بعد ، فأخذوا بالآخر من فعله) .

وإذا ناقشنا المسألة من جذورها . وجدنا أن كلمة « الله أكبر » فقط قد روى فيها الحافظ أبو العلاء إسناده عن أحمد بن فرح عن أبزى : أن الأصل في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم انقطع عنه الوحي ، فقال المشركون : قلى محمدا ربه . . فنزلت سورة « والضحى » فقال النبي صلى الله عليه وسلم « الله أكبر » ، وأمر النبي أن يكبر إذا بلغ « والضحى » مع خاتمة كل سورة حتى يختم ، قال العلامة المحقق ابن الجزري : « في النشر على القراءات العشر » وهذا قول الجمهور من أئمتنا كأبي الحسن بن غلبون ، وأبي عمرو الداني ، وأبي الحسن السخاوي وغيرهم من متقدم ومتأخر . . . قالوا فكبر النبي عليه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الصلاة والسلام شكراً لله لما كذب المشركين وقال بعضهم : قال الله أكبر تصديقا لما أنا عليه وتكذيباً للكافرين ، وقيل فرحا وسرورا . . أى بنزول الوحى .

على أننا لا نكاد نفرغ من قراءة هذا الحديث فى كتاب النشر حتى نجد الإمام ابن كثير الحافظ المفسر رحمه الله ، وهو من الأعلام ، فى هذا المقام ، يحكم على هذا الحديث بأنه لم يرتق إلى درجة الصحة ، كما لم ينزل إلى رتبة الضعف ويقول ما نصه : « لم يرو ذلك الحديث بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف ، يعنى كون هذا سبب التكبير ، وأما انقطاع الوحى مدة وإبطاؤه فمشهور » .

ثم نجد أن ابن أبى بزة يروى بإسناده فيما أخرجه أحمد بن فرح عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم أهدى إليه قطف عنب قبل أوانه فهم أن يأكل منه ، فجاءه سائل فقال اعطونى مما رزقكم الله ، فسلم إليه العنقود ، فلقيه بعض أصحابه فاشتراه منه وأهداه للنبى صلى الله عليه وسلم ، فعاد السائل فسأله فأعطاه إياه . فلقيه رجل آخر من الصحابة فاشتراه منه وأهداه للنبى . . فعاد السائل فانتهره النبى وقال : « إنك ملح » فانقطع الوحى عن النبى صلى الله عليه وسلم أربعين صباحا : فقال المنافقون : قلى محمداً ربه ، فجاء جبريل عليه السلام فقال : اقرأ يا محمد ، قال : « وما أقرأ » ؟ ، فقال : اقرأ « والضحى » فلقنه السورة . . فأمر النبى أبيا لما بلغ « والضحى » أن يكبر مع خاتمة كل سورة حتى يختم . . قال ابن الجزرى عقيب هذا الحديث : — وهذا سياق غريب جداً . . وهو مما انفرد به ابن أبى بزة أيضا ، وهو معضل . . وهكذا نجد أن الحديث الثانى فى تقرير التكبير فى خواتيم السور لم يكن فى الصحة أحسن حظا من سابقه . . الأمر الذى يستدعى التثبت والحذر فى معالجة هذه المسألة الدقيقة التى تتصل اتصالا مباشراً بالنص القرانى الذى يجب أن يجرد عن كل ما ليس منه . . باستثناء ما أوصت به السنة الصحيحة كترديد « آمين » فى ختام الفاتحة ، وكقول السامع والتالى : « بلى » عقيب قوله تعالى : « أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى » .

والعجيب أن بعض القراء كان يزيد التكبير فى أعقاب السور . . ثم يتعجب من نفسه حين يعترف بأنها زيادة لا ينبغى أن تكون ، ومن هؤلاء الإمام أبو عبد الله الكارزينى . . فإنه « كان إذا قرأ القرآن فى درسه على نفسه وبلغ إلى « والضحى » كبر لكل قارئ قرأ له . . وكان يبكى ويقول : — ما أحسنها من سنة . . لولا أنى لا أحب مخالفة سنة النقل — لكنت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أخذت على كل من قرأ على برواية بالتكبير ، لكن القراءة سنة تتبع ، ولا تبتدع »

والملاحظ أن جميع الروايات المرفوعة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام فى شأن التكبير مدارها كلها على البزى . . ، والبزى من حيث هو قارئ يعتبر فى فن القراءة إماما ـ لكن من حيث هو محدث ليس بهذه المثابة بعد أن تكلم فيه رجال الحديث : فضعفه أبو حاتم ، والعقيلى .

وأما قنبل — أحد مشاهير القراء — فقد اضطرب النقل عنه فى التكبير : فالجمهور من المغاربة على عدم التكبير له كسائر القراء . . وهو الذى فى التيسير وغيره ، وروى عنه العراقيون التكبير .

وأما غير أهل مكة فلم نجد فى ذلك نصا عنهم . . حتى إن أصحاب الشافعى رضى الله عنه لم يرو عنهم فى هذا التكبير نص فى كتبهم المبسوطة أو المطولة الموضوعة للفقه . . اللهم إلا ما ذكره على سبيل الاستطراد الإمامان أبو الحسن السخاوى ، وأبو إسحاق الجعبرى من الشافعية ، ولم يفرد له بابا ، وذلك على الرغم من نسبة هذا التكبير إلى الإمام الشافعى — وإذا عرفنا أن أصحاب الشافعى يحرصون كل الحرص على إبراز ما نسب إلى إمامهم فى إطار من التبويب والتفصيل — لأدركنا إلى أى مدى يتردد النظر الصحيح فى قبول هذه النسبة إلى الإمام الشافعى .

وكان بعض الناس حين يسمعون إمامهم يكبر فى أعقاب السور القصيرة أثناء صلاته بهم فى رمضان ينكرون ذلك على الإمام . وقد حدث ذلك لبعض الأئمة فلما اعترض عليه بعض المأمومين قال : بهذا أمرنى ابن جريج . فلما ذهبوا إلى ابن جريج قال : نعم بهذا أمرته .

وهكذا نجد الأمر ينتهى عند ابن جريج من غير أن يرتفع فى نسبته إلى سنة صحيحة ، وهذا وحده لا يكفى فى باب الاستدلال .

وإذا قلبنا النظر فى كتب الأئمة الأربعة لم نجد فى كتب الحنفية على كثرتها وتنوعها إشارة من قريب أو بعيد إلى هذا التكبير ، وما قلناه عن الحنفية نقول مثله عن المالكية ، وأما الحنابلة فقال الفقيه الكبير أبو عبد الله محمد بن مفلح فى كتابه « الفروع » : « وهل يكبر لختمه من « والضحى » ، أو ألم نشرح آخر كل سورة ؟ .. فيه روايتان ، ولم يستحبه الحنابلة لقراءة غير ابن كثير .

هذا . . ولو سلمنا أن عمل أهل مكة حين يكبرون فى ختام السور مأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأن هذا كان قبل الهجرة بأزمان طويلة ، وأنه كان بعد عودة الوحى إليه ، إثر فترته عنه ، وفيما جاور ذلك

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من الأوقات ـ فإن سكوت الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذا التكبير ، وتركه له فيما بعد ، يمكن أن يعتبر نسخاً لما تقدم إذ من المعروف فى أصول الفقه أنه إذا علم المتقدم والمتأخر من عملين متخالفين ، فإن المتأخر ينسخ المتقدم .

وما روى عن البزى فى هذا المقام قد أخذ صفة التنوع ، فقد روى عنه الجمهور « الله أكبر » من غير زيادة ولا نقص ، وروى عنه بإضافة التهليل قبل التكبير ، ولفظه : لا إله إلا الله والله أكبر ، وزاد بعضهم عنه رواية التحميد عقب التهليل والتكبير فقالوا : ـ لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد » . . وهذا الأخير منسوب إلى على رضى الله عنه . . لكن هذه النسبة أيضا مدارها على البزى . . مما يجعلنا نقول : إن كل الآثار والأحاديث الواردة فى هذا الباب لم يروها أحد إلا البزى ـ ولو كان البزى لم يتعرض للقيل من رجال الحديث لوسعنا أن نعمل بما روى وما نقل .

وثمت من الآثار الصحيحة ما يجعلنا نعيد النظر فى هذا التكبير الذى ذاع وشاع . . فقد روى عن ابن مسعود رضى الله عنه قوله : « جردوا القرآن » وفى رواية أخرى : « جردوا المصاحف » وإذا كان هذا الأمر متوجها إلى تنزيه كتابة المصحف من الزوائد . . فمن الممكن أن يقال مثل ذلك بالنسبة إلى تلاوة القرآن أيضا إذ أن الهدف من هذا التجريد هو صيانة النص القرآنى من التحريف وغيره حتى تبقى قرآنية القرآن إلى الأبد قائمة على التحدى والإعجاز .

وبعد : فقد تبين مما تقدم : أن هذه الصيغة التى يرددها الصغار حين يحفظون ، والكبار حين يرتلون فى ختام قصار السور وهى « لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد » من سورة « والضحى » إلى سورة الناس لا تستند أساساً إلى حديث صحيح ـ على الرغم من كثرة من رددها .

وأن الحنفية والمالكية لا يرون هذا التكبير ، وأن الحنابلة يستحبون تركه ، وأن الشافعى وإن نسب إليه التكبير فإن كتب أصحابه قد خلت من النص عليه والتبويب له إلا ما ذكر استطرادا عن السخاوى والجعبرى ، وأن الإمام الكارزينى قد اعترف بأن هذا التكبير بدعة لا سنة ، وتحرج من أخذ كل قارئ برواية بالتكبير محافظة على سنة النقل . . ومن حقنا إذن أن نقول : إن قراءة القرآن الكريم بدون هذا التكبير أدخل فى الحسن والصواب منها به ؟ .

محمد محمد الشرقاوى
المدرس بمعهد الاسكندرية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

زواج المسلم بغير المسلمة

للأستاذ أحمد الشرباصي

— ٢ —

عرفنا فى بحث سابق أن المسلم لا يجوز له أن يتزوج بالمشركة ولا بالملحدة التى لا تدين بدين [١] . فما حكم زواجه بالكتابية ، وهى التى لها دين سماوى له كتاب من الله ، وله نبى يبلغه ؟ جمهور العلماء والفقهاء على جواز تزوج المسلم من غير المسلمة إذا كانت كتابية واستدلوا على ذلك بقول الله تعالى: « اليوم أحل لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات . والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم [٢] » . وبالحديث : « تتزوج نساء أهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا » وإن جرير الطبرى يعلق على هذا الحديث بقوله « فهذا الخبر وإن كان فى إسناده ما فيه فالقول به لإجماع الجميع على صحة القول به » [٣] .

ورووا أن طلحة بن عبيد الله وحذيفة ابن اليمان تزوج كل منهما إمرأة كتابية ورووا أن عمر أراد التفريق بين حذيفة وزوجته . فقال له حذيفة : « أتزعم أنها حرام فأخلى سبيلها يا أمير المؤمنين » ؟ . فقال عمر : « لا أزعم أنها حرام ، ولكنى أخاف أن تعاطوا المومسات منهن » .

وهناك رواية غير مسلة تقول : إن عمر فرق بين طلحة وحذيفة وامرأتيهما اللتين كانتا كتابيتين . وقد تعقب ابن جرير هذا القول بالنقد والتفنيد ، وقال عنه : « لا معنى له لخلافه ما الأمة مجتمعة على تحليله بكتاب الله تعالى ، وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم » . ثم روى ابن جرير عن عمر ما هو أصح إسنادا . وهو قول عمر « المسلم يتزوج النصرانية ، ولا يتزوج النصرانى المسلمة » . ثم يقول : « وإنما كره عمر لطلحة وحذيفة رحمة الله عليهم - نكاح اليهودية والنصرانية حذرا من أن يقتدى بهما الناس فى ذلك ، فيزهدوا فى المسلمات ، أو لغير ذلك من المعانى » . فأمر بتخليتهما » [١] .

وآية المائدة : « اليوم أحل لكم الطيبات

[١] انظر مجلة الأزهر ، عدد شوال ١٣٨٠ هـ ص ١١٣٦

[٢] سورة المائدة ، آية ٦ .

[٣] تفسير الطبرى ، ج ٢ ص ٣٢٨ .

[١] المرجع السابق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم، وطعامكم حل لهم، والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم» هي من أواخر آيات القرآن الكريم نزولا، وإذا كان الفقهاء قد استدلوا بها على جواز زواج المسلم بالكتابية، فقد اختلفوا في تحديد المراد بكلمة «المحصنات» فيها، ففريق قال: إنه يجوز للمسلم أن يتزوج الكتابية العفيفة مطلقا: حرة كانت أو أمة حربية كانت أو ذمية، وفريق قال إن الآية عامة في جميع الحرائر من الكتابيات، فنكاح جميع الحرائر من اليهود والنصارى جائز، حربيات كن أو ذميات، من أي أجناس اليهود والنصارى كن. وفريق ثالث قال: إن المقصود من نساء أهل الكتاب الذين لهم من المسلمين ذمة وعهد، فأما أهل الحرب فإن نساءهم حرام على المسلمين [1].

جمهور الفقهاء يقرر إذن جواز تزوج المسلم من الكتابية، ولكن عبد الله بن عمر كان يحرم نكاح الكتابيات، بدعوى أنهن مشركات، وكان إذا سئل عن زواج المسلم بالنصرانية أو اليهودية يقول: «حرم الله المشركات على المؤمنين، ولا أعرف شيئا من الإشراك أعظم من أن تقول المرأة ربها عيسى، أو ربها عبد من عباد الله» ويقصد بقوله: عبد من عباد الله أن يشير إلى قول اليهود: عزيرا ابن الله.

ويعلق النحاس على رأي ابن عمر بقوله: «وهذا قول خارج عن قول الجماعة الذين تقوم بهم الحجة».

وقد أشار «تفسير المنار» إلى ضعف حجة الذين قالوا بتحريم الكتابية على المسلم، ثم قال: «ومنهم من التمس نقلا عن بعض المتقدمين ليجعله حجة على القرآن، فوجدوا في بعض الكتب أن ابن عمر منع التزوج بالكتابية متأولا لآية البقرة[1]، وأنه قال: لا أعلم شركا أعظم من قولها إن ربها عيسى. وهو معارض بما رواه عبد بن حميد عن ميمون بن مهران، قال: سألت ابن عمر عن نساء أهل الكتاب فتلا علي هذه الآية: «والمحصنات من المؤمنات، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم - ولا تنكحوا المشركات»[2] اهـ من الدر المنثور، وظاهر معنى العبارة أن الله أحل المحصنات من أهل الكتاب وحرم المشركات من العرب. والقول الأول رواه عنه ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم، مع التصريح بأنه تأول آية البقرة، فهو إذا صح اجتهاد منه، ولم يقل أحد من الأصوليين إن اجتهاد الصحابي يعمل به في

[1] تفسير ابن جرير الطبري، ج ٦ ص ١٠٧.

[1] هي قوله تعالى: «لا تنكحوا المشركات حتى يؤمن...».

[2] جمع ابن عمر هنا بين جزأين من آيتين للاستشهاد بهما.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مسألة فيها نص ، بل منعه الجمهور مطلقا ، ومن قال به اشترط عدم النص ، وألا يكون له مخالف من الصحابة ، أى لئلا يكون ترجيحا بغير مرجح ، وهذا القول مع وجود النص مخالف لما كان عليه سائر الصحابة ، ومنهم والده : عمر أمير المؤمنين ، فقد روى عنه عبد الرزاق وابن جرير أنه قال : « المسلم يتزوج النصرانية ولا يتزوج النصرانى المسلمة » .

وتمسك بعضهم بقوله تعالى : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » وهو جهل عظيم ، فإن هذا نزل فى النساء المشركات اللواتى أسلم أزواجهن ، وبقين على شركهن » [١] .

وكذلك جاء فى بعض الروايات المنسوبة إلى ابن عباس فى تفسير الآية : « ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمن » قوله : « إن الآية عامة فى الوثنيات والمجوسيات والكتابيات ، وكل من على غير الإسلام حرام » ولكن هذه الرواية لم تتأيد ، وفيها كلام .

وذهب بعض الشيعة إلى تحريم نكاح المرأة الكتابية [٢] .

والذين منعوا زواج المسلم من الكتابية يرون أن الكتابية قد غيرت وبدلت وحرفت ، وأنكرت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، فهى داخلة تحت عنوان « المشركات » بعد هذا التحريف وهذا الإنكار ، وإيمانها بالله فقط لا يخرجها عن دائرة الشرك ، لقوله تعالى : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » .

ويرون أن هناك آيات تفيد التحريض على الابتعاد عن غير المسلمين عموما ، والزواج اقتراب شديد ، فيكون منهيا عنه ، فيكون محرما ، ومن هذه الآيات قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم أولياء بعض » . وقوله : « لا تتخذوا بطانة من دونكم » . وقوله : « لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق » ... إلخ .

ونحب أن نلاحظ أن الفقهاء الذين أجازوا زواج المسلم بالكتابية قالوا فى الوقت نفسه : إنه مكروه كراهة تنزيهية ، فيقول الكمال بن الهمام : « يجوز للمسلم أن يتزوج بالكتابيات ، والأولى أن لا يفعل إلا للضرورة » . ويقول ابن حبيب : « نكاح اليهودية والنصرانية - وإن كان قد أحله الله - مستثقل مذموم » [١] .

لعلهم قد لاحظوا فى تقرير هذه الكراهة وهذا الاستثقال أن الاختلاف فى العقيدة بين الزوج المسلم والزوجة الكتابية - كالنصرانية مثلا - يؤدى إلى زلزلة الحياة

[١] تفسير المنار ، ج ٦ ص ١٩٤ .

[٢] تفسير المنار ، ج ٢ ص ٣٥٥ .

[١] الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ٣ ص ٦٧ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الزوجية والنظام المعيشي والعائلي ، فالزوج يردد : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ويؤمن بعقيدة التوحيد ، والزوجة تقول : الأب والابن وروح القدس إله واحد ، والزوج لا يستطيع أن يتقبل هذا القول ولا يقتنع به ، والزوجة لا تريد أن تترك عقيدتها إلى عقيدة زوجها ...

والزوج مسلم يرى من واجبه أن يصلي لربه خمسة فروض في اليوم والليلة ، وهذه الصلوات تتطلب منه أن يتوضأ ويتطهر في جسمه وثوبه ومكانه . والزوجة النصرانية لها صلاة أخرى تغاير هذه الصلاة ، وقد ينهض الزوج لصلاة الفجر ، وليس على الزوجة النصرانية فرض في هذا الوقت ، فتستثقل قيام زوجها ، وتعتبره مثقلا لراحتها .

والزوج يرى يوم عطلته هو الجمعة ، ويذهب فيه إلى المسجد ، والزوجة ترى يوم عطلتها الأحد وتريد أن تذهب فيه إلى الكنيسة ، والزوج المسلم يصوم رمضان المحدد للصوم من الله ، والمرأة تصوم في غير هذا الشهر ، والزوج يصوم عن المفطرات كلها من الفجر إلى المغرب ، والزوجة لا تصوم عن المفطرات كلها ، بل عن أنواع خاصة منها .. والزوج إذا حج يحج إلى الكعبة في مكة ، والزوجة إذا حجت تحج إلى بيت المقدس ...

وهكذا نرى أنهما على الرغم من اتفاقهما في أصل الإيمان بالله . قد اختلفا بحسب الدين في أشياء تجمع فتسبب متاعب وقلاقل ...

وبينما نسمع مثل هذه الملاحظات ممن يحرمون زواج المسلم بالكتابية . أو ممن يكرهونه وينفرون منه ، قد نجد على الطرف الآخر من يلاحظ لونا من التقارب بين المسلم والكتابية ، فيقول مع صاحب « تفسير المنار » هذه العبارة :

« ولم يجمع الله بين المشركين والمؤمنين في حكم كما جمع بين المؤمنين وأهل الكتاب في مثل قوله في سورة البقرة : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، وقوله في سورة آل عمران : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم . ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » . الآية ، وقوله في البقرة ومثله في آل عمران : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط . وما أوتي موسى وعيسى ، . ما أوتي النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » ، وقوله فيها : « قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ، ولنا أعمالنا ولكم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أعمالكم ونحن له مخلصون » ، وقوله : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون » .

وأمثال هذه الآيات كثير جدا ، وهي تصرح بأن إله المسلمين وأهل الكتاب واحد وربهم واحد ، والذي أنزل عليهم شيء واحد ، أي في جوهره ، والمراد منه وهو الإيمان بالله وتوحيده والبعث والعمل الصالح ، ولكنها في أواخرها تبين محل الدعوة والفرق ، وهو أننا مسلمون مخلصون ، وأنه طرأ عليهم الانحراف فاتخذوا من أنفسهم أربابا يحلون ويحرمون ، ويشرعون لهم ما لم يأذن به الله ، وأنهم غير مخلصين ولا مسلمين في أعمالهم [1] » .

والقول الوسط الأمثل هنا هو أن يقال إن الأصل أو الشأن عند المسلم هو أن يتزوج مسلمة مثله ، وأن الشريعة أباحت له التزوج من الكتابية ، وإن نظر الفقهاء إلى هذا التزوج بعين الكراهية والاستثقال ، فينبغي ألا يقع هذا التزوج إلا عندما يدعو إليه داع أو تتطلبه حاجة ، ولذلك روى أن عمر كان ينهى عن الزواج من أهل الكتاب إلا إذا كان هناك داع أو هدف له قيمة من وراء ذلك الزواج ، كالمصلحة السياسية التي يقصد فيها إلى الترابط وتأليف القلوب بين عشيرة الزوج المسلم وعشيرة الزوجة الكتابية .

ومن الواضح ان زواج المسلم بالكتابية مظهر من مظاهر التعاون الإنساني والتفاهم البشري . وأن الزواج يكون هنا سفيراً للإسلام ، لأن الزوج مأمور بالمحافظة على أخلاق الإسلام العالية ، وبحسن المعاملة لزوجته ، فقد تطلع على حسن أخلاقه وجمال التعاليم في دينه ، فيجذبها ذلك إلى الإسلام بلا قسر ولا رهبة . وقد توجد مصلحة سياسية في هذا الزواج ، كما إذا تزوج الحاكم من كتابية لإرضاء قومها وإشعارهم بأنهم ليسوا غرباء ، وقد يحب المسلم فتاة كتابية حبا جارفا لا حيلة له فيه ، فهو لا يستريح إلا بزواجها ، وربما لا يجد المسلم الظرف الخاص به من لا تصلح له زوجة إلا كتابية ، إلى غير ذلك من الدواعي التي تجعل زواج المسلم بالكتابية أمراً مستساغا لا غضاضة فيه .

وقد وضعت الشريعة طائفة من الحوافظ والضمانات التي تتخذ عند زواج المسلم بالكتابية ، حتى لا يساء استغلاله ، وحتى لا يقع في الزوجية غبن أو حيف ، ولعلنا نستعرض هذه الضمانات في حديث آخر . ؟

أحمد الشرباصي

---

[1] تفسير المنار ، ج ٢ ص ٣٥٥ .

المسلمون فى الهند أيضا..!

للأستاذ عبد المنعم النمر

قرأت الكلمة التى نشرتها مجلة الأزهر تحت عنوان « المسلمون فى الهند » الأستاذ الهندى الكبير أبى الحسن على الندوى . وقد كتبها بعد رحلته إلى الشرق الأوسط سنة ١٩٥٠ م وكشف فيها عن حال المسلمين وجهودهم وحضارتهم فى الهند فى القرون الماضية باختصار . ولم يخف الكاتب أسفه لقلة المعلومات عن المسلمين فى الهند لدى المثقفين فى الشرق الأوسط .

وملاحظة الكاتب هذه صحيحة ولعلها هى التى دفعتنى لأن أكرس جهودى لإخراج كتابى « تاريخ الإسلام فى الهند » حين إقامتى فيها مدة سنتين وثلاثة شهور مبعوثا من الأزهر والمؤتمر الإسلامى حتى استطعت بحمد الله أن أقدم للمكتبة العربية تاريخا مفصلا عن الإسلام والمسلمين فى الهند منذ ظهر الإسلام حتى انقراض الحكم الإسلامى على يد الإنجليز سنة ١٨٥٧م . ولم أستطع — وأنا أقدم لهذا الكتاب — إهمال هذه الملاحظة وكتمان ما أحسسته من مرارة لقلة معلوماتنا عن الهند الإسلامية إذ عز على كثيراً أن يكون هذا التاريخ المجيد مجهولا من قراء العربية ، وأن يجد منا إهمالا تاما فى مناهجنا الدراسية ، فى الوقت الذى نعنى فيه بتاريخ الغرب إلى حد الوقوف على تفاصيله والاهتمام بنهضاته وأبطاله ، مع أن هذا التاريخ الإسلامى الزاهر فى الهند جزء من تاريخنا وصفحة مشرقة من صفحات أمجادنا كأمة واحدة يظلها علم الإسلام » .

« وتعجبت كيف أسدل على هذا التاريخ ذلك الحجاب الكثيف وحيل بيننا وبين معرفته والاعتزاز به قرونا متطاولة ولم يكن تاريخا هزيلا ، بل كان تاريخا عملاقا ، استمر كل هذه القرون وصنع حضارة من أزهى الحضارات الإسلامية التى عرفناها فى عواصم البلاد العربية يوم أن كانت هذه العواصم تصنع التاريخ وتصنع معه الحضارات » .

ولعل هذه المرارة أيضا هى التى دفعتنى — وأنا أقدم كتابى هذا لسيادة رئيس الجمهورية — فى أواخر عام ١٩٥٩ م إلى أن أرفق به رجاء العناية بدراسة تاريخ إخواننا المسلمين فى الهند ضمن دراسة التاريخ فى برامجنا بالأزهر ووزارة التربية والجامعات .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وكان كريما وسارا أن أجد بعد أسبوع صدى هذا الرجاء فى محادثة تليفونية من القصر الجمهورى لمكتب فضيلة الأستاذ الأكبر ولوزارة التربية . . حتى أشير على بأن أقدم هذا الاقتراح مكتوبا لفضيلة الأستاذ الأكبر لتبحثه لجنة تعديل المناهج . وإن كنا لا نزال نرقب الأثر العملى لهـــذا كله فى مناهج الدراسة الآن .

ولقد كان من حسن الصدف أن يطلع الأستاذ أبو الحسن على أصول هذا الكتاب فى إحدى زياراته لى بجامعة دار العلوم - (ديوبند) فيفرح له ويدفعه فرحه إلى أن يسارع بتقديمه - وهو لا يزال جنينا - فى مجلته العربية « البعث » التى يشرف على إصدارها من دار العلوم ندوة العلماء فى لكنو ، ويرجو أن يسد هـذا الكتاب الفراغ الذى شعر به حين زيارته لنا . .

ولعل مما يزيد فى غبطة الأستاذ أبى الحسن واطمئنانه أن يعـــلم حسن استقبال القراء والهيئات الثقافية والصحافة فى البلاد العربية كلها لهذا الكتاب فيعرف أن إخوانه المسلمين العرب يبادلونهم حبا بحب ، وعناية بعناية ، وشغفا بمعرفة تاريخ أسلافهم ، كشغفهم بمعرفة تاريخ المسلمين وتبحرهم فيه ، فنحن جميعا أمة واحدة يظلها علم الإسلام . ومن الواجب أن يعرف كل منا أخاه - ماضيه وحاضره - فإن هذه المعرفة هى الوسيلة الأولى للتقريب الطبيعى فيما بيننا . وللتعاون الذى جعله الإسلام شرعة لنا . .

وسيغتبط الأستاذ أبو الحسن وإخوانه فى الهند كذلك حين يعلم أنى لم أقف بالتأريخ لمسلمى الهند عند انتهاء الحكم الإسلامى سنة ١٨٥٧ م . بل إننى عكفت بعد صدور الكتاب الأول على التأريخ لهم فى الفترة التى عاشوها تحت الحكم الانجليزى ، فقد لمست كذلك قلة المعلومات لدينا عن المسلمين فى هذه الفترة القريبة . بل إننى لمست ظلما بينا ، وإجحافا واضحا لجهود المسلمين فى حركة تحرير الهند ، وموقفهم من الاستعمار ، حتى سمعت من أحد المثقفين الذين يتولون توجيه الشباب فى جامعاتنا ومجتمعاتنا اتهاما لهم ، يبرءون وينبرأ إلى الله منه ، ولعل هـذا والكثيرين معه معذورون فى معلوماتهم الخاطئة ؛ لأنه لم تتوفر أمامهم المعلومات الصحيحة عن جهود إخوانهم المسلمين فى الهند ولم يجدوا أمامهم إلا كتبا متعددة تعنى بإلقاء الأضواء التاريخية على شخصيات خاصة من غير المسلمين هناك . . وتجمع فى يدهم كل خيوط الجهاد والعمل لتحرير البلاد مع أنه كان قبلهم ومعهم شخصيات إسلامية نذروا أنفسهم للجهاد من أجل تحرير بلادهم ، وكانوا دائما سباقين إلى التضحية النبيلة من أجل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أهدافهم ، ورحلوا إلى الحياة الآخرة بعد حياة حافلة بالجهاد والتعب ، مقدرين كل التقدير ممن عاصروهم ، ولمسوا كفاحهم ، ولكنهم لم يجدوا بعد ذلك من ينصفهم حين كتابة تاريخ الحركة التحريرية للبلاد . فاتخذ هذا التاريخ وضعا جانبيا وتحدث عن أشخاص وأهمل أشخاصا آخرين ، وحين تناول بعض الكتاب العرب نشر كتيبات أو بحوث عن هذا التاريخ ، اعتمدوا على تلك المصادر . فقرأنا عن أشخاص وعرفناهم وقدرناهم ، ولم نعرف أشخاصا آخرين مسلمين ربما كان لهم فى الجهاد والتضحية رصيد يفوق رصيد الآخرين . . !

ومن أجل هذا كله ، ومن أجل إنصاف إخوان لنا أبرار يهمنا معرفة تاريخهم الصحيح ، ويسرنا أن نقرأ صفحات جهادهم اللامعة رأيت من الواجب على أن أقدم لقراء العربية ما عرفته عن بعض هؤلاء ؛ خدمة للحق وإنصافا للتاريخ . . !

وقبل أن أقدم لقراء « مجلة الأزهر » بعض هذه الشخصيات أرى من الواجب أن أمهد لذلك بحديث عام مختصر عن حال المجتمع الهندى عموما والإسلامى بنوع خاص بعد الاحتلال حتى يمكن تكوين صورة عامة عن الجو الذى نبت فيه هؤلاء وعاشوا وجاهدوا ، وحتى يمكن أن نزن أعمالهم ونقدرها حق قدرها .

لقد سلب الإنجليز حكم الهند من المسلمين وتمكنوا فيها بعد ثورة قادها المسلمون ولم يقدر لهم فيها النجاح سنة ١٨٥٧ م ، فكان المسلمون هذا الوضع الأعداء الألداء للمستعمر هم ينفرون منه ومن نظامه وثقافته ويدبر بعضهم المؤامرات الخفية للتخلص منه ، وهو يعاملهم معاملة الأعداء فيطاردهم فى أرزاقهم وأملاكهم وثقافتهم ، ويضيق عليهم الخناق - وهو الحاكم القادر المتسلط - فكانت النتيجة الطبيعية لهذا الموقف أن تأخر المسلمون اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا ، وانطووا على أنفسهم ، إيثاراً للنجاة بدينهم وتقاليدهم ، والاحتفاظ بثقافتهم بعد ما فقدوا سلطانهم وكثيراً من وضعهم فى المجتمع .

وكان العلماء والصوفيون هم الذين يقودون حركة الانعزال هذه ، معتقدين أنها الطريقة الوحيدة للمحافظة على موروثاتهم الروحية من تيار الثقافة الاستعمارية ، قادوا هذه الحركة كما قادوا من قبل الحركة الشعبية المسلحة لمقاومة المستعمرين .

وإذا كانت الظروف المحيطة بهم لم تساعدهم على النجاح فى الحركة الشعبية المسلحة ، فليعملوا على النجاح فى حركتهم السلمية للاحتفاظ بهذه الموروثات الروحية وليكثروا من فتح المدارس الدينية التى يؤازرها الشعب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المسلم ويمدها بمعونته ؛ لتكون وسيلتهم إلى الإبقاء على دينهم وثقافتهم ، وإلى محاربة الثقافة الغربية الوافدة ، ونجحوا فى هذا المجال إلى حد كبير .

بل إن هؤلاء العلماء والصوفيين كانوا يؤازرون بعض الجيوب الإسلامية التى ظلت تحمل السلاح وتدبر المؤامرات للثورة ضد الانجليز ، ولا سيما فى مناطق الحدود الجبلية التى لم تلن قناتها للمستعمر ، وكانوا يجمعون لها المعونات ويرسلون لها المساعدات من الرجال والمال .

كانت هذه حال المسلمين باستثناء أمراء الولايات والإقطاعيين ، من المسلمين الذين قضت مصالحهم بالسير فى ركاب المستعمر أو مهادنته .

أما الهندوس وغيرهم من أتباع الديانات الأخرى فى الهند فقد رحبوا عموما بالسيد الجديد وعاونوه وأقبلوا على مدارسه وثقافته التى أهلتهم للعمل فى دواوين الحكومة وكان من الطبيعى أن يثق بهم الانجليز ويحتضنوهم ويملئوا بهم المراكز الصغيرة فى أعمال الحكومة .

كان هذا أمراً طبيعياً بالنسبة لهم ، وذلك لموقفهم الودى من الانجليز ، ولأنهم - أى الانجليز - كانوا يعتمدون كما قال « لورد ألنبرو » أحد حكام الهند الانجليز :

« إن الأمة المسلمة معادية لنا بعقيدتها ، فالطريقة المثلى عندنا أن نبتغى مرضاة الهندوك » .

الأمة المسلمة معادية للانجليز بعقيدتهم ، هذا ما فهمه الانجليز ، ورتبوا عليه سياستهم فى الهند وخارج الهند ، ولقى منه المسلمون البلاء فى كل مكان ، وهم لم يعادوا الانجليز ولا غيرهم بحسب عقيدتهم . ولكن لما وجدوه فى هؤلاء من روح عدائية لهم ولدينهم يتعرفون على ضوئها ؛ ولأن الإسلام يرفض السيطرة والإذلال للمسلمين ، وهؤلاء يعيشون على السيطرة وامتصاص دماء غيرهم وإذلالهم . فكان من الواجب على المسلمين فى الهند أن يقفوا بالمرصاد للوافد المسيطر الطامع فى نهب بلادهم واستغلال خيراتها ولكن هذا لم يرض اللص . . . يرضه أن يتنبه أصحاب البيت له ويحاولوا منعه من نهبهم وقتل حيويتهم . . فعاملوا المسلمين معاملة الأعداء وتفننوا فى الكيد لهم . وكبت أنفاسهم حتى لا تقوم لهم قائمة ، وكان مما يؤسف له أن يجد المسلمون شريكهم فى البيت يساعد اللص الناهب فى نهبه وإذلاله لمواطنيه . . !

لقد ظل المسلمون قرابة نصف القرن الأول من احتلال الانجليز للهند يعانون أقسى ما تعانيه أمة ضعيفة من حاكم قوى مستبد متعنت ، ولم يصلهم أخيراً على التخفيف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من تعنتهم إلا شعورهم بالخوف من الشيبية الهندوسية التى احتضنوها وعلوها فى الهند وانجلترا ، وعرفت معنى الحرية وعادت لبلادها تتحدث عن معانى الديمقراطية والحرية والاستبداد والظلم .

وحينئذ بدأ الانجليز ينظرون بشيء من العطف للمسلمين لا حبا فيهم ولكن رغبة فى بعث شيء من الحيوية فى الجسم الهامد ليأخذ له وضعا أمام القوة النامية فى الهندوس ، ويضربوا إحدى القوتين بالأخرى .

ولم يبدأ القرن العشرون حتى كان الانجليز قد أوجدوا فى الهند قوتين : قوة حزب المؤتمر الذى أسسوه تحت رعايتهم سنة ١٨٨٥م وقوة حزب الرابطة الإسلامية التى أسسها المسلمون تحت رعاية وإشارتهم سنة ١٩٠٦م وأخذت القوتان تتصارعان ، وتصرفان أغلب جهودهما فى الخلافات بينهما ، ويلوذ كل منهما بأعتاب الحاكم ليفوز بوجهة نظره ، والحاكم يتلاعب بهذا وذاك ، ويذكى بينهما نار الخلاف ليستريح ويستقر ، ويسود . . !

وفى هذا الجو كان هناك نفر من المسلمين لا يفكرون تفكير الآخرين وإنما كانوا يرفضون أى تفاهم مع المستعمر ، ويرون أنه داء لابد من اجتثاثه ، وأن دينهم الذى ارتضاه الله لهم يحتم عليهم الاستمرار فى الجهاد لطرد الأجنبى الدخيل عليهم ، فكانوا فى أمتهم هناك يشبهون عندنا طلائع الوطنية الصادقة من أمثال مصطفى كامل ومحمد فريد ورجال الحزب الوطنى .

ولكن هؤلاء الأبرار المجاهدين لم يجدوا من الأقلام العربية ما يكشف دورهم العظيم الذى قاموا به فى خدمة قضية استقلال الهند وتحريرها .

وأود هنا أن أقدم لقراء العربية بعض هؤلاء ، ولعل أولهم وأجدرهم بالكلام أولا هو مولانا الشيخ « محمود الحسن » شيخ الهند وسجين مالطا أو أسير مالطا كما يطلقون عليه فى الهند .

وموعدى معكم العدد القادم إن شاء الله ؟

عبد المنعم النمر

قال الشعبى فى كلام له فى مجلس عبد الملك بن مروان : رجلان جاءونى . فقال عبد الملك : لحنت يا شعبى ! قال : لا يا أمير المؤمنين لم ألحن مع قول الله عز وجل : « هذان خصمان اختصموا فى ربهم » ، فقال عبد الملك : لله درك يا فقيه العراقيين قد شفيت وكفيت .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

شعر القاضى الفاضل

للدكتور أحمد أحمد بدوى

— ٢ —

ما للطيور على الخطى عاكفة
هز الرزق أعطافا لها سرطا (١)
قد علّمت لقطها للحب لهذمها (٢)
أما تراه لحب القلب قد لقطا

أما الصفات المثالية التى أشاد بها الشاعر فيمن مدحهم من عظماء الدولة بأهمها الشجاعة فى الحرب ، والبسالة فى القتال ، وتلك سمة العصر الذى عاش فيه القاضى الفاضل ، فكثيراً ما تسمع فى شعر الإشادة بها كقوله :

أهلا بدولة مالك
بكرت لنا هى والربيع
الحصن فى يوم الوغى
من تحته الحصن المنيع
ينشى سما نقع ، ووا
بل مزنها السم النقيع
ووقائع رجفت على
أعدائه ، فلها الوقوع
إن صلّت البيض الرقاق
فللرماح بها ركوع

وقلما أثنى على السياسة التى تحوج إلى امتشاق الحسام كما فى قوله :

وتيقظت لك فى السياسة عزمة
تدع الحسام ، وجفنه وسنان

وإذا كان قد أشاد بالبطولة فى الحرب ، فإنه قد أشاد بحزم الحاكم فى أيام السلم ولعل المثل الأعلى للحاكم الحازم عند القاضى الفاضل يتجلى فى قوله :

أعد لجمع الحرب صفحة فاتك
وسرى لنشر السلم حلية حازم

وأشاد القاضى الفاضل بالجود ، وأكثر من الحديث عنه ، وما كان الأمير بأحسن الأحدوثة يومئذ إلا إذا كان جوادا كريما ، يقدم من ماله حق المجتمع عليه ، وينفى عن نفسه سمة الأثرة البغيضة ، وتفنن القاضى الفاضل فى الإشادة بهذه الصفة ، فحينا يقول :

كأنك مخلوق كما شامت العلا
وفوق اقتراحات المنى والقرائح
وما أشتكى إلا تهوض نداكم
وتقصير ما أنهضته من مدائح

---

[١] سرطا : جمع سارطة ، وهى : اسم فاعل من سرطه : ابتلعه .

[٢] اللهذم : القاطع من الأسنة ، والمعنى : هل علمت الطير الأسنة القاطعة كيف تلتقط الحب ؟ لأنا تراها واسعة الدراية بالتقاط حبات القلوب .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تجاوز عفو [١] الفضل أقصى مطامعي
وراض مطيع الجود أقصى مطامحي

وحينما يقول :

لقد سالمتنا صروف الزمان
وما برحت قبلها عاندة
وأمطرت نوء الندى دائما
فهزت به أرضنا الهامدة
وأطفت حرارة آمالنا
مغانم إحسانك الباردة
وبوأك الجود يابن الكرام
نجائب أقوالنا الخالدة
فكم نعمة بعدها مثلها
وفائدة بعدها فائدة

ويطول بى وجه القول إذا أنا مضيت فى التمثيل لهذه الصفة .

وكان يكمل صفة الجود لديه بشاشة الجواد ، وهى مما استرعى انتباه القاضى الفاضل ، كما استرعت قبله انتباه زهير بن أبى سلمى [٢] ، فمن ذلك قوله :

إذا ما كسوت الوفد للجود ملبسا
فقد لبسوه بالبشاشة مذهبا

وكان يرى شكر الجواد بمدحه شعراً كفئا لما يبذله الممدوح من إحسان :

الشكر والإحسان فى دين العلا
مثلان ، لكن يسبق الإحسان
رضى الإله به لأفضل نعمة
ثمنا ، فهانت بعده الأثمان

ومما استرعى نظر القاضى الفاضل فى ممدوحيه مقابلة أحداث الدهر بالهدوء والرزانة ، إذ يقول :

تصرف صرف الدهر فى كل ما ترى
سوى ما بذاك الوجه الوجه من حلية البشر
ولم يستطع نقصا له وزيادة
عليه إذا ما من بالحلو والمر

ولم يأنس أن يشيد ببلاغة الممدوح إذا كان كاتبا أو شاعراً ، وهو بذلك يلبس موضع غرور الممدوح ، وحين يمدح هذا النوع من الناس يغرب فى أسلوبه ويكثر من الصناعة والألفاظ الغريبة ، ولعله بذلك يظهر مقدرته على القول ، وتفننه فيه ، كهذه القصيدة التى مدح بها أبا الفتح بن قادوس صاحب ديوان الإنشاء ، ومنها فى مدح البلاغة الممدوح قوله :

قصار أقلامه يصنعن فى كتب
بالعقل ما تصنع القضبان فى الكثب
كأن أحرفه كأس يدور بها
ساق يراع ، عليها الشكل كالحبب
فأعجب لذا السكر تزداد العقول به
نعم ، إذا الخمر كانت لابنة العنب

---

[١] العطاء بدون مسألة .

[٢] قال زهير بن أبى سلمى :

تراه إذا ما جئته متهللا
كأنك تعطيه الذى أنت سائله

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

صديقة العقل منها يستفاد ، وما
عداوة العقل إلا لابنة العنب

وهى المعانى التى الأسباب تخدمها
مسلولة ، وهى الألفاظ فى القرب

ومما مدح به أحد الشعراء ، وهو فى هذا المدح يمدح الإيجاز فى اللفظ مع غزارة المعنى ، قوله :

وشـــعر ما حسبت أخف روحا
وأثقب زهرة [١] ، وأغض [٢] زهرة
جلاه على فى أثواب ليلى
فأبصر منه ليل الهم فجره
وفجرت البلاغة منه بحرا
أردت عبوره ، فخشيت غمره [٣]
ألذ من الرضا من بعد سخط
وأعذب من وصال بعـــد هجرة
قليل اللفظ ، لكن فى المعانى
إذا حصلتها بالنقد كثرة
ويؤنس ، ثم يؤيس ، مثل بحر
تراه ، فيتهين الغمر [٤] غمره [٥]

وفى شعر الورى غُر [١] ، ودُهم [٢]
وهذا كل بيت منه غرة [٣]

ومدح الشاعر من اتصل بهم من وزراء الدولة الفاطمية ، وكبار رجالها ، مثل رزيك ابن طلائع ، وشاور وشجاع بن شاور ، ومدح من كتابها ابن قادوس ، والأثير ابن بنان ، وإن لم أستطع أن أعين القصائد التى مدح بها هذا الأخير ؛ فى عصر الدولة الأيوبية مدح صلاح الدين ، وبنى أيوب ، والعزيز عثمان .

ولقيمة الشعر الكبرى عند القاضى الفاضل يرى أصحاب الجود فى حاجة إليه لتسجيل مظاهر مجدهم ، وتخليد آثارهم . فيقول لبعض من يمدحهم :

كل من له حاجـــة منا بصاحبه
فالمدح عندى ، كما المديح عندكم
سبقتم بى ، كما أنى سبقت بكم
فالسبق مقتسم بينى وبينكم

الفخر :

وهو قليل فى شعره ، وكان بيانه وبلاغته وشعره موضع فخاره ، ومن فخره ببلاغة قوله:

---

[١] الزهرة : البياض والحسن .
[٢] أغض : أنظر .
[٣] الغمر : الشاطئ والناحية .
[٤] الغمر : من لم يجرب الأمور .
[٥] غمر البحر : معظمه .

[١] غر : جمع أغر ، وهو الأبيض من كل شىء .
[٢] الدهم : جمع أدهم ، وهو : الأسود .
[٣] الغرة : بياض فى الجبهة ، يريد به هنا الجمال والشهرة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولى قلم منـــه عين الطلا
م تجرى ، فتنظر عين الكمال
يراع تظلّ رياض الطرّو
س منها موشحة بالظلال
وكتّاب يفيض بأرجائها
يمين الجدا ، ولسان الجدال
وكم تربت ، وانبرت للعد
و ، كوتب الشرار ، وهد الجبال
فيأطرنه مثل أطر القسى ،
ويبريه مثل برى النبال (١)

وفخر القاضى الفاضل كذلك بهمته المستطاعة إلى المجد . فقال :

فلى همة قد أكرمتنى همومها
ولم أمتهنها بالطماح إلى الوفر
ولى أدرع الدارين (٢) فخره ، وهو منها
فى ثياب من صدره مشقوقة

وحيناً يأسى لحظه من بين الكتاب بخاصة ، إذ يقول :

أرى الكتاب كلهم جميعا
بأرزاق تعمهم سنينا
ومالى بينهم رزق كأنى
خلقت من الكرام الكاتبينا

وقد كان القاضى الفاضل يؤمن بمواهبه ، ولذلك كان يشكو فى الفترة الأولى من حياته أنه لم ينتفع بهذه المواهب . بل إن الجاهلين

العتاب والشكوى :

وفى عتاب القاضى الفاضل رقة وودعة ، وهو يجعل القطعة حيناً خالصة للعتاب ، وحيناً يمزج العتاب بالمدح ، ولا يشور فى عتابه إلا قليلا . وإذا هدد فبغارة من الشعر . ولعل من أقسى عتابه قوله :

عد العتاب . فما أعدت عتابا
وكفيتك الإقلال والإطنابا

وقيه يقول :

ووضعت قدرك أن يكون سحابة
ورفعت قدرى أن يكون ترابا
أنذرتُ من خيل القوافى غارة
تدع القبور وأهلها أســـلابا

وأما شعر الشكوى فأغلب الظن أنه كان فى المرحلة الأولى من مراحل حياته ، عند مالم تكن الظروف ممهدة أمامه إلى الحياة المجيدة السعيدة ، فنجده يأسى لحظ الكتاب بعامة ، فيقول :

تعس الكاتب الشقىّ فما
أشقاه بالأمر بين هذى الخليقة
خير أيامه ، ولا خير فيها
يوم يلقى من بكرة وجه ليقة (١)

---

[١] الأطر : عطف الشىء . والقسى جمع قوس . وبرى السهم : نحته . والنبال : السهام .

[١] الليقة : صوفة الدواة .
[٢] الدارين : جمع دراعة ، وهى حبة مشقوقة المقدم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لم حظ أفضل من حظه ، بينما كانت زيادة حذقه أدعى إلى نقص رزقه، فتسمعه يقول :

ما ضر جهل الجاهلين ولا انتفعت أنا بحذقي
وزيادتي في الحذق فيهي زيادة في نقص رزقي

وقلت الشكوى بعدئذ في شعر الفاضل ، إلا هذه الشكوى من بعض منافسيه ، الذين كان يفخر عليهم بأدبه وما له من أثر في النفوس.

الرثاء :

رثى القاضي الفاضل بعض رجالات الدولة وعزى بعضهم أحيانا ، ورثى أخاه وبعض صحبه .

وهو في الرثاء يمزج عواطفه الشخصية بالحديث عن آثار المرثي وخلاله .

وخير قصائد رثائه وأقواها تلك التي رثى بها العزيز ، وبكى قصره ، ويحسن بنا أن نقف قليلا عند هذه القصيدة نحللها ؛ لنرى الانفعالات المختلفة التي لابسته عند إنشائها .

والذي دفعه إلى إنشاء هذه القصيدة هو ما أصاب قصر العزيز من بلى وعفاء دفعه إلى ثورة جامحة على الأيام ، وعلى هذه اليد التي امتدت فدمرته ، وحزن على بقائه حتى رأى آثار الأحبة نهبا بيد البلى ، فقال :

وقفنا على قصر العزيز ، وقد عفا
نعيب عليه الدهر ، لما تحكما
سلام عليه من معنى معذب
وقل له من صاحب أن يسلما
بكيت له دمعا ، ولو كنت منصفا
بكيت دما . والدمع ضرب من الدما
تأخرت من بعد الأحبة مدة
ولو أن لي أمرا لكنت المقدما
لئن صرت فوق الأرض أرضا فربما
عهدناك من فوق السماء لنا سما
عزيز علينا أن نراك على البلى
ترابا نهى المشغوف أن يتيما
تصدى له من لا يراقب حرمة
ومن ليس يرعى المكارم محرما

وذاك صريح في أن الذين ولوا الحكم بعد العزيز عملوا على تعفية آثاره ، وتدمير قصره ، فهل هو الأفضل أو العادل ؟ يصمت التاريخ ، ولا يجيب .

وتثور في نفس الفاضل ذكريات الماضي قوية عنيفة فيقول :

وكم قد حججنا فيك للمجد كعبة
وكم قد أقمنا فيك للحمد موسما
وكم قد وجدنا فيك راحة راحة
تقبل إذ تعطى حطيما وزمزما
كأن لم تكن فيك السعادة طلقة
ووجه ظبـاها باسماً متبسما
ولا صار ذاك البهو ملكا محجبا
ولا جر ذاك الرحب جيشا عرمرما

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولا كان قصد الوفد غرة كوكب
فلما بدت صلى عليها وسلما

ثم اتجه بعدئذ إلى الديار يناجيها ، متحدثا عما فى قلبه من آلام لما أصابها ، وما يضمره من آمال كان يتمنى تحققها ؛ ليحتفظ البيت الصلاحى بوحدته وتماسكه ، فيقول :

وقل : يا ديار الظاعنين ، برغمنا
وعهدك أن أضحى لك الدهر مرغما
خذوا أدمعى عقداً نثيراً ، فطالما
نظمت له النعماء عقداً منظما
وما نظر الإنسان دنيا يحبها
وليس له فيها حبيب سوى العمى
وإنى لملآن الفؤاد عزائما
لو أنى وجدت اليوم للرأى معزما

وأكاد ألمح أنه لم يكن طيب المقام فى القاهرة يومئذ ، فإنه يتحدث عن الرحيل ومقاطعته بنى آدم ، إذ يقول :

فشد السرى[1] إن أرسل الليل عقربا
وكر الكرى[2] إن أرسل السوط[3] أرقما
فتقاطع بنا أبناء حوا وآدم
وواصل بنا آل الجديل وشذقما[1]

ولم يرث القاضى الفاضل صلاح الدين بغير هذه الأبيات :

مضى يوسف الإحسان والخير والنقى
فيالَيت أنى قد مضيت إليه
وخلفها آثار صدق كريمة
بقين علينا ، بل بقين عليه
وقرت به عيناى دهرا ، فخنه
إذا أصبحت عيناى باكيتيه

وهى مع قلتها ، لا تناسب جلال الموقف ، ولا عظمة المرثى ، وليس أسلوبها بالقوى الأخاذ . ولعل هول المصاب وشدة وقعه على نفس الفاضل لهما دخل فى إلجام لسانه .

ومما يسترعى النظر فى رثائه أنه قد يبدؤه بغزل باك ، كقوله فى رثاء بنى رزيك :

أستودع الله فى أطعانهم قمرا
إليه ، لو ضلت الأقمار ، تحتكم

الرجاء :

وخير هجائه ما ملأه بالصور الزرية ، والتهكم والسخرية ، كقوله :

---

[1] أى اجعل السرى ، وهو السير ليلا ، مطية تشد سرجها وتمتطيها .

[2] أى اجعل الكرى جوا تركبه إن أرسل الليل ثعبانا أرقم واتخذه سوطا يضربك به . يريد : إذا نغصت الدنيا عليك الحياة فاتخذ المطى دارك ، وجانب النوم ، حتى تصل إلى مكان تطمئن فيه نفسك .

[3] السوط : مفعول به ، و « أرقما » حال ، وفاعل أرسل ضمير يعود إلى الليل .

[1] الجديل : رجل للنعمان بن المنذر . وشذقم : قيم خيله أيضا . يأمر السرى أن يمضى به حتى يقاطع بنى الإنسان ، ويتخذ المطى صديقا يصل بها إلى مكان الاطمئنان .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وجه عليه من القباحة مسحة
ظلم النهار ، وقد رآه ، فأظلما
وعليه أنف قد أجيبت دعوة
فيه من الداعى عليه ، فأرغما
فلو أنه ذنب لكان كبيرة
ولو أنه طود لكان مقطما
برص يرينا منه جلدا أبيضا
وأذى يرينا منه جلدا أسحما (١)
لو شئت أن أرقى لنيل قرونه
لجعلت ذاك الكتف تحتى سلما

ويهجو بخيلا كان أبوه كريما . فيقول :

إلى كم كل يوم فى حساب
عوافيه تئول إلى العذاب
حساب الناس منك بغير رزق
ورزق أبيك كان بلا حساب

. اضى الفاصل هجاء مكشوف ، وفيه سخرية وتهكم أيضا .

الوصف :

وهو قليل فى شعره ، وصف السفينة التى ركبها إلى الممدوح ، ووصف الخمر ، ووصف المكان الذى يجلس فيه ، ووصف سيوف صلاح الدين ، ووصف مسحة الدواة ، وتحدث كثيراً عن الشيب فى مواضع شتى : وصفه فى مرأى العين ، وكما تحس به النفس ، فهو حينا يحس الشيب ذلا ، ويراه نذيراً للفناء :

ألم يأنه أن المشيب نذير
بلى ، وشبيه للردى ، ونظير
وأنا خلعنا الكبرياء مع الصبا

وحسبك ذلا أن يقال : كبير

وهو داء بلا ألم ، وعدو أزرق ، يؤذن قدومه بانقضاء عهد الصبا ، وذهاب أحلام الشباب . ويرى قدومه شقاء بئس ما تخلف به الأيام عن الشباب :

لا تسأل الدنيا وإن أعطت فلا
تأخذ ، فبعد قدومها هذا الشقا

ولكنه كان يخفف ألم قدومه على نفسه بأن الشيب يزيده وقارا .

الحكمة :

وهى منثورة فى شعره . يوردها فى المكان اللائق بها ، يؤيد بها فكرة . أو يسجل تجربة ، وقد ينشئ القطعة خالصة للحكمة . وكانت حكمه كلها تدور حول شئون الحياة .

ومن أصح آرائه دعوة ذوى السلطان إلى الرفق ، مذكراً إياهم بأن الأيام تعطى وتأخذ ، فلا معنى إذاً للغطرسة والكبرياء .

ترفق بنا ما دام أمرك نافذاً
فإنك لا تدرى متى ليس ينفذ
وإن تعطك الأيام ما قد أخذته
فما زالت الأيام تعطى . وتأخذ

---

[١] الأسحم : الأسود .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويرى أن الغنى الحق إنما هو فى الاستغناء عن الناس :

أريد الغنى المغنى عن الناس ، والغنى
إذا كان يلجينى إليهم هو الفقر

وكان كأبى الطيب يرى العيش يصفو للجهلاء :

ألا ليت لى جهلا به العيش طيب
ولا عيش إلا عيش من هو جاهل

وربما كانت تلك إحدى نظراته فى أيامه الأولى .

فى رسائله :

والقاضى الفاضل قد بدأ رسائله بالشعر ، أو يأتى به فى أثناء رسالته ، ينفس به عن عواطفه . وأكثر شعر رسائله فى الشوق ، وهو مجيد فى أكثره ، يدل على عواطف حية متدفقة ، ولعل من أجمل شعره فى هذا الباب قوله فى الشوق :

ومن عجب أنى أحن إليهم
وأسأل عنهم من أرى ، وهم معى
وتطلبهم عينى ، وهم فى سوادها
ويشتاقهم قلبى ، وهم بين أضلعى

وقوله فى الاعتذار :

لا تحسبنى للعهـــود مضيعا
حفظى لودك مذهب لا يذهب
عفت الترسل طامعا أن نلتقى
فأبى الزمان يبيح لى ما أطلب
لا عتب أخشاه لقطع كتابكم
واسمع ، فعذرى بعده لا يعتب
مهما وجدتك فى الضمير تمثلا
أبدا تناجينى ، إلى من أكتب

ولكن ينبغى أن أوجه النظر إلى أن الشعر الذى فى رسائله ليس جميعه من إنشاء القاضى الفاضل ، بل قد يتمثل فى رسائله بأشعار غيره من الشعراء .

أحمد أحمد بدوى
وكيل كلية دار العلوم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لغويات

للأستاذ محمد علي النجار

قولهم كفء للعمل :

يكثر هذا فى كلام الناس فى الحديث عن مدح المرء بأنه يقوم بالعمل الذى كلفه، وأنه يجيده ويحسنه ، وقد عاب هذا الاستعمال من قبل اليازجى ، فهو يقول فى لغة الجرائد ، ص ٨٠ : « ويقولون : هو كفء هذا الأمر أى أهل له أو قوام به ، وهو من ذوى الكفاءة ـ بالهمز ـ . وإنما الكفء النظير، تقول : هو كفء لفلان أى معادل له ، والكفاءة المصدر من ذلك ؛ تقول : لا كفاءة بيننا . وأما المعنى الذى يريدونه فهو من معانى (كفى) المعتل ؛ يقال : استكفيته أمر كذا ـ أى كلفته القيام به ـ فكفانيه ، وهو كاف لهذا العمل وكفىّ له ، أى قوام به، وهو من أهل الكفاية » .

فالوجه أن يقال : فلان كاف لهذا المنصب أو كفى له ، وهم كفاة وأكفياء . وذلك أن الكفء إذ كان النظير لا يقرن إلا بمثله ، فيقال : فلان كفء لفلان ، ولا يقال : هو كفء للعمل ، لأنه ليس من جنس العمل حتى تعقد بينه وبين العمل مناظرة ، فكما لا يحسن أن يقال : هو نظير العمل لا يحسن أن يقال : هو كفء العمل : وإنما المعنى الصحيح أن يقال : هو يكفى فى العمل أى يقوم به ويغنى فيه غناء . فهو كاف أو كفى ، وكان الصاحب بن عباد يقال له: كافى الكفاة، وفى معجم الأدباء ٦/١٧٣ فى ترجمة الصاحب : « وأنس منه مؤيد الدولة كفاية وشهامة فلقبه بالصاحب كافى الكفاة » . وفى هذه الترجمة من كلام أبى حيان التوحيدى فى الصاحب: « وحقده سار إلى أهل الكفاية، وكان ابن العميد يلقب ذا الكفايتين ، أى الكفاية لشئون السيف ولشئون القلم ، أو الأعمال العسكرية والأعمال المدنية .

وقد نبهنى الأستاذ الجليل محمد خلف الله عميد كلية الآداب بجامعة إسكندرية إلى أن الاستعمال المنقود ورد فى شعر لابن الرومى يهجو به المعتز العباسى فهو يقول :

تالله ما كان يرضاك المليك لها
قبل احتقابك ما أصبحت محتقبا
حتى أزلك عنها ثم أبد لها
كفئا رضيا لذات الله منتخبا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والحديث عن الخلافة . يقول إن الله لم يرض المعتز للخلافة . وقد نزعها منه وأعطاها بدلا منه كفئا لها . وهو المهتدى الذى ولى الخلافة بعده فى سنة ٢٥٥ هـ . والكلام عند ابن الرومى على التجوز والتوسع ، فقد جعل الخلافة كالعروس والزوج ، فكان المعتز غير كفء لها . فلما جاء المهتدى كانت الكفاءة بين الزوجين . وهذه استعارة مقبولة فى مقام الخلافة ، فهل تصلح فى المناصب والأعمال غيرها ؟ إن ما صنعه ابن الرومى هنا فى الخلافة يدخل فيما صنعه الآخر إذ يقول :

أتته الخلافة منقادة ... إليه تجرر أذيالها

فلم تك تصلح إلا له ... ولم يك يصلح إلا لها

وأيا كان الأمر فإن ابن الرومى أنس هذا الاستعمال وأزال الوحشة عنه . وإنى أقدم شكرى للأستاذ خلف الله أن أفادنى هذه الفائدة . وقد رأيت أن أشرك فيها غيرى من القراء .

محمد كاتب أجود منه شاعر :

يجرى هذا فى الكلام . والواجب فى العربية نصب (كاتب) فيقال : محمد كاتبا أجود منه شاعراً .

وقد أورد النحويون من هذا الأسلوب المثال المشهور : هذا بسرا أطيب منه رطبا . وعقد له سيبويه فى الكتاب ١ / ١٩٩ بابا . ويقول السيرافى : « هذا الباب لتفضيل شئ فى زمن من أزمانه على نفسه فى سائر الأزمان » . ويحده الأشمونى بأن يقع اسم التفضيل متوسطا بين حالين من اسمين مختلفى المعنى أو متحديه . مفضل أحدهما فى حالة على الآخرى فى أخرى . ومثال المختلفى المعنى ما جاء فى الألفية : زيد ، فردا أنفع من عمرو معانا . ومثال متحدى المعنى : هذا بسرا أطيب منه رطبا

والمنصوب الأول فى الأسلوب - وهو (كاتب) منصوب على الحال . ويرى سيبويه أنه حال من فاعل (كان) المحذوفة ، والتقدير عنه فى المثال المصدر به : محمد إذ كان عالما . و (كان) هنا تامة . ولم تكن ناقصة لالتزام تنكير هذا المنصوب ، ولو كانت ناقصة لورد معرفا ، وكان على ذلك خبرا لا حالا : وهو يقدر (إذا كان) فى غير المستقبل من الأخبار ، فإن كان الخبر عن المستقبل فالتقدير عنده : إذا كان تقول فى ثوب لم يصبغ : هذا الثوب مصبوغا بالزعفران خير منه مصبوغا بالعصفر ، فالتقدير : هذا الثوب إذا كان مصبوغا بالزعفران خير منه إذا كان مصبوغا بالعصفر ، وحكم المنصوب الثانى حكم المنصوب الأول كما رأيت .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويرى متأخرو النحاة أن المنصوب الأول حال من ضمير اسم التفضيل أى فاعله ، وقد قدم عليه ، والمنصوب الثانى حال من المجرور .

والذى دعا سيبويه إلى تجنب ما ذهب إليه متأخرو النحاة وجنوحه إلى التقدير أن اسم التفضيل ضعيف فى العمل ، فلا يتقدم الحال على ضميره والمتأخرون استساغوا فى هذا الأسلوب خاصة هذا التقديم لكثرة وروده عن العرب ، ولأن فى تقدير سيبويه تكلفا وعسراً .

هذا ، وقد بدا لبعض الباحثين توجيه الرفع فى الأول على أن يكون خبرا ، واسم التفضيل خبر ثان . والتقدير : محمد كاتب ، وهو أجود منه شاعرا . ولكن المقصود من هذا الأسلوب هو المفاضلة بين الحالين ، فالخبر هو اسم التفضيل فقط ، والاسمان يمثلان الحالين اللذين وقع فيهما التفاضل ، على أن هذا الأسلوب يأتى كما قلنا فى الحديث عن المستقبل ، كما فى مثال الثوب المصبوغ ، ولا يتفق فيه الإخبار بالأول . فى قولك : هذا الثوب مصبوغا بالزعفران خير منه مصبوغا بالعصفر لا يصح أن يقال : هذا الثوب مصبوغ بالزعفران لأنه لم يصبغ بالزعفران بعد .

بعتك الدار بما فيها الأثاث :

يشيع هذا فى كلام الناس وكتابتهم . وفى بعض الصحف : لا يمكن أن تنزل عن الجزائر ، بما فيها الصحراء الكبرى ، وفى بعضها : على البرنامج أن يوزع مختار الصحاح على المستمعين بما فيهم الأدباء أنفسهم .

والمعروف فى هذا أن يؤتى بحرف الجر (من) البيانية ، فيقال : بعتك الدار بما فيها من الأثاث ، ولا يمكن أن تنزل عن الجزائر بما فيها من الصحراء الكبرى ، وعلى البرنامج أن يوزع مختار الصحاح على المستمعين بما فيهم من الأدباء أنفسهم . وفى المثال الأخير كان الواجب أن يقال : بمن فيهم من الأدباء ، ولكن « لما » وجهاهنا ، وهو الاتجاه إلى الصفة ، على حد قوله تعالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » .

وقد جاء من هذا الأسلوب فى اللسان قوله فى مادة (غرف) : « والغريف : الأجمة نفسها بما فيها من شجرها » .

وقد يخرج الأسلوب الشائع على البدل . فالمعنى : بعتك الدار بالذى فيها : الأثاث . فالأثاث مجرور بدل من اسم الموصول . وينبغى أن يراعى على هذا التخريج جر ما يقع موقع الأثاث من الأسماء . فتقول : أحب أهل بلدى بما فيهم الأميين ، ولا تقول : الأميون .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أحبه كما لم يحب والد ولده :

يشيع هذا الأسلوب على ألسنة كبار الكتاب . والأسلوب العربي لا نرى فيه الكاف . ففي اللسان (هد) : « ما هدني أحد ما هدني موت الأقران » وفي الأساس (عقل) « ما ينفع التحصن بالعقول ما ينفع التمسك بالعقول » . وفسر العقول في الجملة الأولى بالمعاقل والحصون :

فالوجه أن يقال : أحبه ما لم يحب والد ولده . وهذا يقال في مقام المبالغة وتوكيد المعنى وتشديده . وتخريجه في العربية أن يكون التقدير : أحبه حبا لم يحبه والد ولده ... فما نكرة موصوفة واقعة في هذا المثال على حب وفي مثال اللسان المراد : ما هدني موت أحد هدا هدنيه موت الأقران .

وقد قيل في تصحيح الأسلوب الشائع إن الكاف زائدة ، وهي تزاد كثيراً في الكلام ، وأورد من ذلك قول رؤبة : لواحق الأقراب فيها كالملق : أي فيها الملق والملق الطول . غير أن زيادة الكاف ليس لها قياس في العربية ، وإنما يقبل منه ، ما ورد به السماع عن العرب .

وقد قيل : إن هذا الأسلوب ترجمة لأسلوب إفرنجي . وهذا أدعى إلى رفضه والتنكر له . وما لنا ندع بزنا ونستعير بز غيرنا ! .

الفصل والفصل :

يتفق في هذا العصر في المقالات التي تنشر في بعض المجلات أن تطبع المقالة التي أدرجت في المجلة طبعة أخرى على حدة في كتيب ، فيسمى الكتيب فصلة ، وتجمع على فصل . وقد روعي في هذه التسمية أن المقالة فصلت عن أخواتها التي ضمتها المجلة . فقيس على قول العرب . قطعة وقطع ، فقيل : فصلة وفصل .

ولا نجد الفصلة بهذا المعنى في اللغة . بل فيها الفصلة — بفتح الفاء — وفي اللسان أن الفصلة : النخلة المنقولة المحولة ، وفي عبارة أخرى أنها الفسيلة (الشتلة) المحولة ، وظاهر التفسير الثاني عمومها لكل شجر وعدم اختصاصها بالنخلة . وقد جاء جمعها في اللسان في ضبط القلم : الفصلات بسكون الصاد . ويبدو أن هذا من خطأ النساخ ، والصواب فتح الصاد ، كما هو القياس .

واستعارة الفصلة من الفسيلة المحولة للمقالة تنتزع من المجلة وتنشر على حيالها استعارة قريبة .

فأرى أن تضبط الفصلة بالفتح ، وتجمع على فصلات .

والإمام ابن حزم كتاب «الفصل في الملل والنحل» ، ونرى في ذيل عنوان الكتاب

[البقية على صفحة ١٠٨]

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فيه إذ لا يستتبع ذلك تسفيه أحلام آبائها ولا الحط من كرامة أسلافها . وليس فى دين من أديان الأرض هذه الميزة .

نعم : إن الإسلام لم يراع ذلك مع الأمم الوثنية لأن الوثنية لا تستند إلى نبوة ولا تتقدم على أصل من العقل أو النظر ، فما هى إلا عصارة من الأهواء والأوهام ،

أما بقية الأمم فقد أثمر فيهم أسلوب الإسلام فى الدعوة إلى الإيمان بالمرسلين كافة بغير استثناء فدخل منها فى الإسلام عدد لا يروى التاريخ أنه دخل مثله فى دين من الأديان فى مثل هذه المدة القصيرة .

أليس من آيات الله الكبرى أن تدخل فى الإسلام أمم كالفرس والرومان والتتار وغيرهم ، أجانب عن العرب والعربية ، ويكون لها القدح المعلى فى رفع علم الإسلام إلى أعلى ما يصل إليه ، وفى خدمة لغة القرآن وآدابها إلى حد أن كان منه أكابر أئمته وأئمتها مما لم يصادف مثله فى تاريخ جماعة من الجماعات الإنسانية ؟

إن هذه الديمقراطية التى أتى بها الإسلام فى عهد لم يكن لهذه الكلمة غير الاسم يعتبر مثالا حيا لما نبهنا إليه مراراً من أن هذه الأصول هى المثل العليا التى ليس بعدها مثل ويدل دلالة قاطعة على أن مصدر الإسلام إلهى محض لم تختلط أصوله بكدور البشرية ولم تؤثر فيها الفروق الوهمية التى تواضع عليها البشر وأراقوا دماءهم فى سبيلها .

ليعرف المسلمون مكانة دينهم من هذه النواحى العلمية ، فلا يوجد فى جميع الأسلحة الجدلية ما يعدلها فى جذب النفوس له وجمع القلوب حوله .

عباس طه

(بقية المنشور على صفحة ١٠٥)

فى النسخة المطبوعة ما يأتى : « الفصل - بكسر ففتح جمع فصله بفتح فسكون ، كقصعة وقصع : النخلة المنقولة من محلها إلى محل آخر لتثمر ، فتراه يجعل المفرد الفصله بفتح الفاء وإن كان المتبادر من الجمع أن يكون المفرد الفصلة بكسر الفاء ، ولكن لما لم يوجد ذلك فى اللغة اقتصر على ما وجد . غير أن جمع فَعْلَة على فِعْل جمع مطرد منه ما ذكره : قصعة وقصع ، ومنه حلقة وحلق وفلكة وفلك وبدرة وبدر ولم نره لفصلة والظاهر أن هذه الكتابة من ابن حزم ، وقد كان ابن حزم أديبا واسع الاطلاع فى اللغة فلعله اطلع على هذا الجمع لفصلة

وأذكر هنا أن أدباء الإقليم الشمالى يطلقون على الفِصْلة فى الاصطلاح العصرى الفسيلة ، وهو إطلاق صحيح .

محمد على النجار

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى ذكرى الهجرة النبوية

للأستاذ عباس طه

كلما أتمت الأرض دورتها وهلّ شهر المحرم ، ذكرنا الهجرة النبوية من مكة إلى يثرب ، وما ذكرنا هذه الهجرة إلا ذكرنا الانقلاب العالمى الضخم الذى طرأ على الإنسانية فكان فاتحة لتطورات اجتماعية ليست من نوع ما حدث من أمثالها من قبل ولا من بعد .

نعم : لأن كل الانقلابات التى حدثت كانت حربية دعا إليها التزاحم على موارد الحياة ، أو التوسع فى السلطان . ولكن الانقلاب الذى أحدثه الإسلام كان الباعث عليه أدبيا محضا هو جعل كلمة الله هى العليا فى الأرض .

غرض سام كل السمو لم تتطاول إلى بلوغه همة ، ومطلب عظيم لم تتطلع إلى تحقيقه نفس . فلو أضفت إلى هذا أن موطن نشوئه بلاد العرب حيث كان لا يتوقع أحد أى انقلاب عالمى ، كان العجب منه لا يمكن تقديره ، ولو زدت على ذلك أنه أصبح أمراً واقعا فى سنين معدودة .

جرت السنة البشرية أن تتألف الدول محدودة بالحاجات الحيوية ، فقد توجد قبائل متفرعة من جنس واحد تجد نفسها مهددة بعدو قوى مجاور لها ، فتدفعها الضرورة للتضافر التماسا لمزايا الوحدة . وقد تصادف من صعوبات البيئة ما يدفعها لتطلب زيادة الأيدى العاملة فتضطر للترابط الوثيق للتغلب على ما يصادفها من عقبات المعيشة وقد تبلغ درجة حسنة من التهذيب فتطلب زيادة الاستمتاع بنعم الحياة فيندمج بعضها فى بعض لتصبح أمة على شىء من التماسك ، ثم لا تزال تدفعها الحوادث لإحكام عرى ترابطها فى أجيال متعاقبة حتى تصير وثيقة الربط قوية التماسك ولكن الأمة الإسلامية قامت على غير هذه السنة الطبيعية فقد تألفت على أصول ومبادئ هى مثل عليا للحياة الشخصية والاجتماعية تصلح لأن تقدم عليها الأمم عامة لا أمة منها خاصة . فهى أمة عالية بأخص معانى هذه الكلمة ، محقت فيها القوميات والفوارق الجنسية واللغوية ، وجعلت مثالا لما تكون عليه البشرية حين تبلغ درجة النضج فى الأخلاق وأصول الاجتماع .

يقول الذين لا يتعدى علمهم بالشئون العالمية حدود ما ألفوه من رؤية التناحر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بين الأمم ، والتناهب بين الطوائف والتزاحم على ينابيع الثروات الطبيعية يقولون : ماذا حمل الإسلام للناس غير أنه زاد في عدد أديانهم ديناً جديداً يستدعي وجوده خلافات جديدة ومنازعات من ضروب شتى ؟

والحقيقة أن الإسلام ليس بدين جديد ولكنه بنص كتابه دين الله الأول الذي أوحاه إلى أول رسله وحرفته الأمم حتى أخرجته عن أصله ، أرسل الله خاتم النبيين محمداً ، ليثوب إليه الغالي والمقصر ويرجع إليه المفرط والمفرط ، فهو بهذا الاعتبار لم يجيء ليزيد في عدد الأديان ديناً آخر ولكنه جاء ليعيدها جميعاً إلى وحيدتها فما كان الله ليذر الناس على ما هم عليه من الفوضى الدينية والخلافات المذهبية حول أديان محرفة يدعي كل قبيل من الناس أنه على دين الله دون أن ينزل إليهم صورة صحيحة من ذلك الدين نفسه « إن الدين عند الله الإسلام . وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم . ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب . فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن ، وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ، فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ ، والله بصير بالعباد » .

وقد شرع الإسلام لوضع الخلاف بين الناس لا للتفريق بينهم قال تعالى : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء » . بل ذهب الإسلام إلى ما لا مذهب بعده في العمل على رفع الخلاف من بين البشر ، بحذف جميع عوامل الشقاق من بينهم ، فاعتبر الدين وحدة لا تقبل التجزؤ ، قوامها الإيمان برسل الله كافة من غير تفرقة بينهم فقال تعالى: « إن الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً » .

في هذه الآية من القوة في رفع الخلاف ما ليس لشيء ما ، يعمل في هذا السبيل فإن الناس متى آمنوا بجميع المرسلين — بسهل تفاهمهم على ما عسى أن يبقى بينهم من الخلاف .

هذه الآية فوق ما تدل عليه من عمل الإسلام على حسب الخلافات بين الناس تشير إلى المهمة السامية التي شرعه الله لأدائها ، وهي أن يكون ديناً عاماً للبشرية كلها ومجرد التأمل في مدلول هذه الآية يرى أن أفضل وسيلة للوصول إلى هذه الغاية البعيدة هي ما اشترطه على من يقبله ديناً له أن يؤمن برسل الله كافة ، فإن الأمم المؤمنة بالأديان المختلفة متى آنست أن في الأرض ديناً يعترف بأنبيائها ، ولا يبخسها حقها ، لا تجد في نفسها غضاضة من الدخول

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فيه إذ لا يستتبع ذلك تسفيه أحلام آبائها ولا الحط من كرامة أسلافها . وليس فى دين من أديان الأرض هذه الميزة .

نعم : إن الإسلام لم يراع ذلك مع الأمم الوثنية لأن الوثنية لا تستند إلى نبوة ولا تتقدم على أصل من العقل أو النظر ، فما هى إلا عصارة من الأهواء والأوهام ،

أما بقية الأمم فقد أثمر فيهم أسلوب الإسلام فى الدعوة إلى الإيمان بالمرسلين كافة بغير استثناء فدخل منها فى الإسلام عدد لا يروى التاريخ أنه دخل مثله فى دين من الأديان فى مثل هذه المدة القصيرة .

أليس من آيات الله الكبرى أن تدخل فى الإسلام أمم كالفرس والرومان والتتار وغيرهم ، أجانب عن العرب والعربية ، ويكون لها القدح المعلى فى رفع علم الإسلام إلى أعلى ما يصل إليه ، وفى خدمة لغة القرآن وآدابها إلى حد أن كان منه أكابر أئمته وأئمتها مما لم يصادف مثله فى تاريخ جماعة من الجماعات الإنسانية ؟

إن هذه الديمقراطية التى أتى بها الإسلام فى عهد لم يكن لهذه الكلمة غير الاسم يعتبر مثالا حيا لما نبهنا إليه مراراً من أن هذه الأصول هى المثل العليا التى ليس بعدها مثل ويدل دلالة قاطعة على أن مصدر الإسلام إلهى محض لم تختلط أصوله بكدور البشرية ولم تؤثر فيها الفروق الوهمية التى تواضع عليها البشر وأراقوا دماءهم فى سبيلها .

ليعرف المسلمون مكانة دينهم من هذه النواحى العلمية ، فلا يوجد فى جميع الأسلحة الجدلية ما يعدلها فى جذب النفوس له وجمع القلوب حوله .

عباس طه

(بقية المنشور على صفحة ١٠٥)

فى النسخة المطبوعة ما يأتى : « الفصل - بكسر ففتح جمع فصله بفتح فسكون ، كقصعة وقصع : النخلة المنقولة من محلها إلى محل آخر لتثمر ، فتراه يجعل المفرد الفصله بفتح الفاء وإن كان المتبادر من الجمع أن يكون المفرد الفصلة بكسر الفاء ، ولكن لما لم يوجد ذلك فى اللغة اقتصر على ما وجد . غير أن جمع فَعْلَة على فِعْل جمع مطرد منه ما ذكره : قصعة وقصع ، ومنه حلقة وحلق وفلكة وفلك وبدرة وبدر ولم نره لفصلة والظاهر أن هذه الكتابة من ابن حزم ، وقد كان ابن حزم أديبا واسع الاطلاع فى اللغة فلعله اطلع على هذا الجمع لفصلة

وأذكر هنا أن أدباء الإقليم الشمالى يطلقون على الفِصْلة فى الاصطلاح العصرى الفسيلة ، وهو إطلاق صحيح .

محمد على النجار

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ما يقال عن الإسلام

العلية الجديدة فى نيجيريا

للأستاذ عباس محمود العقاد

ألف هذا الكتاب الأستاذ هيوسميث مدرس علم الاجتماع وعلم الأجناس البشرية بكلية بروكلن ، وساعدته فى تأليفه الأستاذة مابل سميث مدرسة علم الاقتصاد بكلية مدينة نيويورك . واسم الكتاب « العلية الجديدة فى نيجيريا » يشير إلى موضوعه ، وهو استقصاء تاريخ الطبقة المتعلمة التى تستولى الآن على مقاليد الحكم فى بلاد نهر النيجر بعد إعلان استقلالها منذ شهر أكتوبر من السنة الميلادية الماضية (١٩٦٠) .

وقد تناول المؤلفان دراسة أحوال النيجيريين المسلمين بمقدار مساسها بهذا الموضوع فى حدوده الواسعة . فهما لا يبحثان فى الدين الإسلامى ولا فى شعائر الإسلام الدينية . ولكنهما يبحثان فى الأحوال الإسلامية التى كان لها أثر اجتماعى سياسى فى تكوين طبقة الرؤساء والقادة بين النيجيريين ، ولا سيما أبناء الشمال من بلاد نهر النيجر ، لأنها مقر العشائر المسلمة هناك .

ألمع المؤلفان فى مقدمة البحث ، إلماعا خفيفا إلى الفارق بين الشمال والجنوب فى عناصر الدراسة العامة التى تحيط بأطراف هذا الموضوع . فإن استجماع هذه العناصر فى الجنوب سهل ميسور من الوجهتين الجغرافية والاجتماعية ، لأن مواصلاته الطبيعية كثيرة مفتحة الأبواب ، وشئونه الاجتماعية لا تخفى على الأوربيين بعد انتشار التبشير بين العشائر الوثنية وتحويل بعض أبنائه إلى المذاهب المسيحية ، ومنهم من ارتقى إلى مناصب القساوسة والاساقفة ، ومن أهله معلوماته الحديثة التى استفادها من مدارس المبشرين لولاية الوظائف الحكومية والاختلاط بالرؤساء البريطان وسائر النزلاء .

أما بلاد النيجر الشمالية فمواصلاتها الطبيعية غير ممهدة ، ولم يذكر المؤلفان أن الحكومة الاجنبية أهملت تذليل صعوباتها لحذرها من التقريب بين عشائرها وقلة اطمئنانها إلى رؤسائها الدينيين المسلمين وندوة الموظفين

أبو ذر القاضي / مكتبتنا العربية

من أبنائها لإعراضهم عن مدارس التبشير ، ولكن هذا الإهمال من جانب الحكومة ملحوظ من مراجعة فصول الكتاب وإن لم يذكره المؤلفان .

ويضاف إلى صعوبة المواصلات صعوبة أخرى اجتماعية هى انتظام العلاقات السياسية والحكومية فى أنحاء الشمال على قواعد العادات الإسلامية ، ومنها الحجاب وشرائع الزواج والطلاق والميراث ، وقد يكون منها قلة الاختلاط بين قادة المجتمع ورؤساء الدراويين ، وندرة العارفين باللغة الإنجليزية من أبناء الشمال فى أول عهد الاستعمار ، خلافا للجنوبيين الذين أقبلوا على هذه اللغة وغيرها من اللغات الأوربية واستخدموها لتفاهم بينهم عند تعذر التفاهم باللهجات الوطنية .

ويرجع المؤلفان إلى أقوال المؤرخين عن أصول العلية الأولين فيذكر أن أقوال المرجحين لقدومهم من بلاد البربر وأقوال الآخرين الذين رجحوا أنهم طوائف من أبناء صعيد مصر هاجروا إلى المغرب ثم إلى الجنوب منذ ستة قرون ، ولكن المحقق فى العصور التاريخية القريبة أن قبائل زغاوة زحفت خلال القرن السابع الميلاد إلى وادى النيجر فاستولت على مقاليد الحكم حول بحيرة شاد وما جاورها من الأقاليم الزراعية ، وأشاعت بين هذه الأقاليم لغة وطنية تمتزج فيها العربية والبربرية وتستخدم الآن لتبادل المعاملات التجارية من غانة إلى بلاد القمرون . وقد كانت ذبابة مرض النوم حائلا دون القبائل المغيرة التى تعتمد على الخيل فى غزواتها ، لأنها تصيب الخيل كما تصيب الإنسان .

وقد اطلق اسم « الفلانية » على المسلمين الوافدين ومن دخل معهم فى الإسلام ، وظهر منهم من تسمى باسم أمين المؤمنين ، وهو « ساركن مسلمى » فى تلك اللغة الممزوجة بكثير من الألفاظ العربية والبربرية ، وتعتبر عشيرة « الهوسا » الفلاتية أقوى طوائف النيجر الشمالية ، تعيش معها أكثر من عشرة بطون صغيرة يدين معظم أبنائها بغير الإسلام .

والفوارق بين الشمال والجنوب - كما تدل عليها معلومات المؤلفين - تتلخص فى فارق واحد يشملها وقد يغنى القارىء العجلان عن تفصيلها : وذلك أن الآداب الدينية فى الشمال أقوى وأعم من الآداب الوطنية أو النزعة القومية ، وعلى نقيض ذلك تشتد المطالب الوطنية فى الجنوب وتضعف المقاومة الدينية ، وهو أمر معقول يوافق المنتظر من أناس ليست لهم ديانة ذات « دعوة » تقاوم دعوة المبشرين ، وليس بينهم عشيرة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

واحدة تستطيع أن تعمم عقائدها الدينية أو أساطيرها الموروثة ، بين جميع القبائل التى بقيت على الوثنية ... ويأتى بعد هذا الفارق الشامل فارق آخر يشمل الأقاليم الشمالية ويكاد أن يضم الاعتبارات المحلية الجغرافية إلى اعتبارات العقيدة والألفة الاجتماعية ، وذلك أن طوائف المسلمين المعروفة باسم الفلانية تعودت أن تأوى إلى المدن المسورة وهى على الأغلب الأعم تخلق أسباب الوحدة « المدنية » بين سكانها ولو كانوا من نحل متعددة ، فإذا كان الدين الغالب هنالك بين أبناء المجتمع المدنى ديناً قوياً يقابل دعوة التبشير بالمقاومة أو يقابلها بدعوة تماثلها فمن الطبيعى المنتظر فى هذه الحالة أن تسودها الآداب الدينية الغالبة وأن تسرى غيرة الكثرة العظيمة على عقيدتها إلى شركائهم فى الوطن من قبائل الوثنيين . دفاعا عن كيانهم الاجتماعى أو السياسى مع جيرانهم من أبناء الكثرة القوية ، أو المسلمين .

وقد أحس الشماليون بما يتعرضون له من هضم الحقوق الوطنية وجرائر الابتعاد عن وظائف الدولة إذا طال اعتزالهم لمدارس التعليم الحديث ، فنهضوا لتدارك هذا النقص وأسسوا (سنة ١٩٢٣) جماعة أنصار الدين ثم نشروا فروعها فى المدن الكبيرة وتمكنوا من الإشراف على المدارس الحكومية وغير الحكومية ، ونشطت منهم هيئة - على مثال النقابات - لجماعة المعلمين ، فأصبحت نواة للحركة السياسية وأسهم القائمون بها فى الحركة الوطنية سواء إلى جانب الحكومة أو إلى جانب المعارضة . بعد قيام الحكم الدستورى وإعلان الاستقلال .

وتتألف العلية الشمالية من جماعة المتعلمين ومن كبار التجار وأصحاب المزارع والموظفين وربما سرى إليهم شئ من وعى « الطبقة » على اعتبارهم جميعا حكاما أو مرشحين للحكم قبل إعلان الاستقلال أو بعد إعلانه ، ولكنهم على الرغم من وحدة الطبقة لا ينفصلون عن قبائلهم ولا يزال أدب التوقير والرعاية بين شيوخهم وشبانهم ، وبين كبارهم وصغارهم ، يجرى على سنة الأسرة العريقة ولا يسمح للنزعات المنطرفة بالظهور .

ومن الأحاديث التى نقلها المؤلفان فى هذه المسألة ، وفيما يرتبط بها من مسائل الدرجات الاجتماعية - حديث منسوب إلى زعيم تنقل بين البلاد الأوربية بضع سنوات وسئل عن آثار حياة المدنية فى آداب قومه فقال : « إن الناس يفدون إلى المدن طلبا للعلم أو طلبا للمال أو رغبة فى المعيشة على مثال أفضل وأيسر من معيشة القرية الريفية العتيقة » . ولكنهم يظلون على الرغم من هذه الشواغل مستمسكين بعادات الاحترام والرعاية لكبراء

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

السن والمقام . . . ويحبون أن يحتفظوا بالتراث القديم » .

وقال زعيم آخر من أسرة حاكمة : « إن الشعور بأواصر العشيرة يتغلغل فى أعماقنا . وتقوم عليه قواعد حياتنا السياسية ، وهو القوة المسيطرة فى البلاد النيجيرية الآن » .

* * *

والمؤلفان ينسبان إلى التقاليد الإسلامية تخلف الشمال فى حركة لمقاومة ، أو حركة المعارضة للحكم الأجنبي ، ويقولان بعد الإشارة إلى النظام الإقطاعى : « إن بلاد الشمال الأقطاعى يندر فيها المتعلمون من الطبقة العالية وهم - على الجملة - حذرون متأدبون ، بل خاضعون احيانا فى علاقتهم بالحكام البريطانيين ومما يؤخر ظهور النزعة المستقلة بينهم أن المناصب الكبرى هناك يشغلها البريطانيون . وقد عودتهم مأثوراتهم الإسلامية عادات الاحترام من التسليم والسجود والانحناء وخلع النعال ، حتى ليغلب عليهم دون التفات منهم إلى مايصنعون أن يبادروا إلى توقير كل من هو أرفع مقاما كيفما كان » .

وأغرب ما فى هذا التعليل أن يفهم المؤلفان أن خشوع المسلم فى صلاته يعوده أن يسجد لغير الإله المعبود ، وقد كان الأحرى بهما أن يعلما حقيقته فلا يفوتهما أن هذا الخشوع فى موقف العبادة خليق أن يذكر الإنسان باجتناب عبادة الإنسان ويحذره من التورط فى الكفر بالتسوية بين الصلاة للخالق والصلاة للمخلوق ، ولكنهما لو ذكرا للخضوع أو للخشوع سببا آخر لكشفا عن سبب لا يرضيهما أن يعترفا به وفيه ما فيه من المساس بالحكم الأجنبي ونظام التبشير وعلاقته بالسياسة الاستعمارية فى البلاد الأفريقية والبلاد الإسلامية منها على التخصيص .

فالسياسة البريطانية تقوم فى المستعمرات على الحذر من أصحاب الدولة الأقدمين وعلى الحذر قبل ذلك من الثقافات الاجتماعية التى تقاوم ثقافة الأجنبى وتوحى إلى أبنائها مذهبا من مذاهب الحكم والنظام يعارض المذهب الطارئ عليهم من أساسه ويستطيع أن يزود المحكومين بنظام يناظره ويتحداه . وقد صرح أساطين الاستعمار البريطانيون بخطبهم السياسية — الهندية — هذه غير مرة ، فقال لورد البرو « ليس يسعنى ان أغمض عينى عن اليقين بأن هذا العنصر الإسلامى عدو أصيل العداوة لنا وأن سياستنا الحقة ينبغى أن تتجه إلى تقريب الهندبين » .

وهذه الخطة بعينها هى الخطة التى جرت عليها السياسة الاستعمارية بين الأفريقيين كلما صادفتهم كثرة إسلامية تجاورها قلة متفرقة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من الوثنيين أو غير المسلمين على العموم . فإنهم يتعمدون إقصاء الرءوس المطاعين بين العشائر المسلمة ولا يبالون أن يتبعوا خطة السماحة والإغضاء مع القبائل الوثنية المتفرقة ، لأنها لا تستطيع أن تقابلهم بإجماع متجانس يخافون عقباه . فإذا تولى وظائف الدواوين من أهل نيجيريا الشمالية أناس مستضعفون لا يجدون لهم رءوسا من أبناء جلدتهم يطيعونها ويأتمرون بأمرها فهذه هى ذلة المستضعف أمام السادة الأجنبيين ، ولا حيلة للواحد أو الاثنين أو الثلاثة من علية الوطنيين المقبولين عند أولئك السادة غير الخشوع والاستسلام . وقد يكون الخشوع والاستسلام ديدناً مدروقاً عنهم قبل أن يظهروا برضوان المستعمر واطمئنانه فيعهد إليهم بالوظيفة المرموقة ولو كانت ذات شأن خطير يخشاه المستعمر إذا تولاه المحكومون غير المأمونين .

واطردت هذه الخطة السياسية إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى ، ثم تقرر نظام الوصاية والانتداب فاضطر الحكام الأجانب إلى اتباع النظم الدستورية والتعاون مع الزعماء الوطنيين الذين تنتخبهم شعوبهم ولا يتأتى للحاكم الأجنبي أن يتخطاهم مهما يبلغ من تلفيق الدساتير وتزوير الانتخابات ، فكان الاعتراف بزعماء المسلمين قضاء محتوما لا سبيل إلى اتقائه بغير الحيلة والمحاسنة ، وكان من أساليب هذه المحاسنة أنهم أخذوا يرحبون بأبناء العلية الأولين ويشجعونهم على إتمام دروسهم بالجامعات الانجليزية ، وثابروا عدة سنوات على اختيار أربعة من طلاب الجامعات فى كل سنة يتكفلون بهم ويسندون إليهم كبار المناصب بعد عودتهم إلى بلادهم ، ومنهم السيد أبو بكر طفاوة أول رئيس وزارة تولى رئاسة الحكومة الاتحادية بعد إعلان الاستقلال منذ ستة شهور .

وقد أراد الاستعمار أمراً وأراد الله غيره ، فكان أسبق النيجريين إلى ولاية الحكم بين أبناء وطنهم أولئك الذين أقصاهم المستعمرون عنه ودبروا بالأمس تدبيرهم الطويل لنفيهم عن الكبير والصغير من وظائف الدواوين؟

عباس محمود العقاد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مختار من الشعر القديم والحديث

من وحى الإيمان :

موكب النور

للأستاذ محمد ابراهيم محمد نجا

إلى السائرين نحـــو بيت الله ومسجد الرسول ، يحملهم الحب ويدفعهم الإيمان . . أهدى هذه القصيدة :

موكب هز خاطرى وجنانى ... وأثار الحنين فى وجـــدانى
ودعانى إلى البيان ، فهذا ... ذَوْبُ قلبى سكبته فى بيانى
موكب الحب للذى خلق الحب (م) وحلى به بنى الإنسان
موكب الحب للرسول الذى جا ... ء لنا بالهدى وبالفرقان
صاغه الله من سناه شعاعا ... باهر النور ، ساحر الألوان
لم تجد مثله القلوب ، ولم تنـ ... ـظر إلى مثله العيون الروانى
وبراه من رقة وصفاء ... وسلام ورحمة وحنان
فهفت نحـــوه القلوب سراعا ... كطيور تجد فى الطيران
ثم حامت عليه وهى ظماء ... فسقاه من نبعه الريان
ومضت نحوه الجموع تعانى ... من هواها وشوقها ما تعانى
موكب حاشد الوفود رحيب ... هو رمز لعزة الإيمان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقلوب مرنحات من الشـو ق ، سكارى بغير بنت الدنان
شربت خمرة « الحقيقة » ، واهتزت على « ذكر » مبدع الأكوان
كل من ذاقها فقـد عاش ما عا ش ، بعيـداً عن حرقة الظمآن
ووجوه تـكاد تنطق بشراً حين نالت ما تشـتهيه الأماني
والدفوف التى ترن رنينا هو أشجى من رنة العيـدان
هادئ الوقع فى القلوب ، مثير حين نصغى إليه بالآذان
يملأ النفس بالخشوع ، فتبكى بدموع لم تبدها العينان
والزغاريد وهى تأسر قلبى والأغانى ، وما أرق الأغانى !
موكب هزنى ، فغنى فؤادى وشـعورى بأعذب الألحان
كل لحن فيـه ضراعات مشتا ق ، وأشواق ضارع ولهان
موكب فجر الحنين بقلبى ومضى فى رعاية الرحمن
ليت من جمع المواكب ليلا ودعاها إليه كان دعانى

* * *

يا ديار « الحبيب » قلبى يناجيـ ـك ، وروحى ومهجتى وكيانى
يا ديار الحبيب قد شفنى النأ ى ، فقولى : متى يكون التدانى !
يا ديار الحبيب هل يأذن اللـ ـه ، فألقاك مرة فى زمانى ؟
حيث أقضى شعائر الله مسرو را بما نلته من الرضوان
وأرود الصحراء وهى لقلبى موطن الشعر والهدى والأمان
صاعدا فى الجبال حينا ، وحينا هابطا فى السهول والوديان

* * *

ذاك حلم لو نلتـه فى حياتى قلت : حسبى ما نلته وكفانى
يا ديار الحبيب زرتك بالرو ح ، وإن كنت ثاويا فى مكانى

ابراهيم محمد نجا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

آراء وأحاديث

من الشيخ الأكبر إلى العالم الإسلامي:

لقد أراد المولى سبحانه أن يجعل لنا من عيدنا الأكبر ذكرى للمسلمين تعيد إليهم صورتهم يوم أن أكمل الله لهم دينهم وأتم عليهم نعمته، وقد جاء ذلك فيما أوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم « اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام دينا » هذه الآية الكريمة تسجل ماضي الأمجاد وتبسط الحياة في مستقبل المسلمين، وتركز المثل العليا في قمتها، والمبادئ العالية على أعلى درجة فيها هذه الآية الكريمة التي ما كاد يهودي يسمعها إلا ويقول لمن يحدثه من المسلمين: « إن في كتابكم لآية لو نزلت علينا - معشر اليهود - لاتخذنا يوم نزولها عيدا ألا وهي « اليوم أكملت لكم دينكم » فقال عمر بن الخطاب مدرك أسرار التنزيل (ومن أنت يا هذا؟ ما يدريك أننا لم نتخذ يوم نزولها عيدا؟ لقد اتخذناه) واليوم الذي بعده عيدا (يوم عرفة والنحر).

وفي الواقع أن هذا العيد في تاريخ المسلمين هو يوم الإكمال والإتمام للنظم والقوانين الشرعية التي أراد الله أن يبني جماعة المسلمين على أساس منها.

وقد كان عيد الفطر هو اليوم الأول الذي يذكرنا بوضع حجر الأساس للبناء الشامخ لصرح هذه الأمة الإسلامية، فقد وضع هذا الأساس بقوله تعالى: « اقرأ باسم ربك الذي خلق » يوم أنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ليكون للعالمين نذيرا. وهكذا كان عيدنا الأكبر بما اشتمل عليه من الأسس القويمة والمبادئ العالية هو اليوم الذي وصل فيه المسلمون إلى أرقى درجات الكمال وإلى أعلى قمم المجد الاجتماعي، ففيه تلكم الذكريات التي تسجل الماضي، وتشرح الصدر للمستقبل.

فهنا وهناك في عرفات يستمع المسلمون بآذان القلوب إلى صوت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، يخطب آباءهم وهم في أصلابهم يحمل لهم رسالته ويحثهم على صدق الإيمان وكمال المعرفة بحقوق الله وحقوق العباد، ثم يستشهدهم فيشهدون أنه بلغ، وأدى، ونصح، ويرفع إصبعه السبابة إلى السماء ثم يشير بها إليهم وهو يقول: « اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد ».

ولا شك أن الرسول قد أشهد علينا مولاه أنه بلغنا، بلغنا المبادئ والمثل، بلغنا أن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نكون أمة متحابين في الله متعاونين متراحمين ، في صف واحد وفي قوة واحدة ، ننصر الله في أنفسنا فنتجرد عن الشرك ، ونخلص عقيدتنا لله وحده ، ونكون يدا قوية على من عادانا ، نقهر كل ظلم وطغيان ، ونرد كل بغي واستعباد ، لأننا أبناء الدين الذي بث الحرية في نفوسنا ، وثبت دعائمها في حياتنا ، لا نعبد إلا إياه سبحانه ، ولا نستعين إلا به .

إن قوتنا نستمدها من كتاب الله ، فلا نبقى في أراضينا الطيبة خبثا من هؤلاء المستغلين ، ننصر الحرية في كل مكان ينشدها ويطلب حقه منها فيعود أبناؤنا وإخواننا إلى فلسطين التي ما زالت ولا تزال عنوانا صارخا على ظلم هؤلاء الطغاة الآثمين الذين شردوا الآلاف المؤلفة .

وبعد : فما أجدر المسلمين أن يتخذوا من هذا اليوم في كل حين أجمل الذكريات التي تنبه وعيهم وتحيي ضمائرهم وتجري في أجسادهم وقلوبهم وعقولهم مجرى الدم في العروق . فتدفعهم إلى العمل والتعاون والوحدة في ثوب من التعاطف والتراحم ليكونوا أمة واحدة على قلب رجل واحد ، فيظفروا بحريتهم الكاملة ، ويتخلصوا من براثن الشرك التي ورثهم إياها الاستعمار ، وليتحرروا من سلطان الأجنبي الذي يهاجمهم في كل آن في عقائدهم وشرائعهم وشئونهم الاجتماعية .

ما أجدر المسلمين أن يتخذوا من هذا اليوم ذكريات تشد أزرهم لإعلاء شأنهم والرمي بالضلال والبهتان في غياهب الأرض ، وبذا تطمئن الإنسانية ، وتنعم بالسلام عامة ، ويتحرر كل راغب في الحرية ، وتصبح إفريقيا للإفريقيين ، وآسيا للآسيويين ، وهكذا يتم الله نعمته على الخلف كما أتمها على السلف .

فسيروا على سنة آبائكم تصلوا إلى درجة المجد الذي وصلوا إليه ، والله يهيئ لنا ولكم سبل العزة والكرامة . ويمنح الإنسانية جمعاء أمنا وطمأنينة حتى تهدأ الضمائر وتسكن القلوب ، وتطمئن النفوس للحياة الطيبة الكريمة ، حياة التعاون والتراحم والمحبة .

حقق الله لنا ولكم الحرية والمجد ، وأذل قوى البغي والطغيان « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » ، اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها ، قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون » .

وإننا لنبعث إلى إخواننا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بالتهنئة الصادقة والدعوات الخالصة ، أن يعيد الله عليكم هذا العيد باليمن والرخاء والأمن والسلام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

محمود شلتوت

الرئيس مطاوعة يوسف بزور شيخ الأزهر :

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بمكتبه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى الخامسة من مساء الاثنين ٥/٦/١٩٦١ سيادة الرئيس مكاريوس رئيس جمهورية قبرص ، يرافقه الدكتور كمال رمزى استينو وزير التموين ، والسيد وزير خارجية قبرص والسيد سفير قبرص فى القاهرة ، والأستاذ عبد الحميد الحاج أمين القصر الجمهورى ، والسيد مدير المكتب السياسى للسيد الرئيس.

وقد رحب فضيلة الأستاذ الأكبر بالضيف الكبير قائلا : « لقد سر الأزهر بزيارتكم ، وإن الأزهر هذا الذى ظل عشرة قرون يدعو للسلام والحرية ، يرحب بكم ، ويدعو لكم بالنصر فى مستقبل حياتكم كما نصركم الله فى ماضى حياتكم ، أنتم ورؤساء الجمهوريات الذين يعملون من أجل البشرية جمعاء .

هذان شعبان متحابان ، على رأسهما رئيسان متحابان : الرئيس مكاريوس رئيس جمهورية قبرص ، والرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة : إن الأزهر يرحب بكم ، وعلماء الأزهر يرحبون بكم ، ويأملون أن تستمروا فى كفاحكم من أجل الإنسانية ولتقفوا دائما هكذا » .

« وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

فقال الضيف الكبير : « إننى جد سعيد بهذه النهضة الطيبة ، وهذا الاستقبال الرائع الذى يعبر عن عميق ثقة وإيمان .

إننى أشيد بجهود الأزهر ، وأذكر بكل فخر مدى الجهود التى يبذلها الرئيس جمال عبد الناصر من أجل دعم السلام العالمى ، ومن أجل صالح الإنسانية — وخاصة فى منطقة البحر الأبيض المتوسط ، لقد عرفت فيه قائداً عظيما ومصلحا كبيراً وأكرر لكم شكرى وامتنانى على هذا الاستقبال الرائع وأعاهدكم على أن نعمل من أجل البشرية ومن أجل السلام فى أنحاء الأرض .

وإننا ندعو الله أن يمنحكم الصحة والعافية لتظلوا فى خدمة الأزهر تخدمون هذه الجامعة كما خدمتموها فى الماضى » .

فقال الأستاذ الأكبر هذا عهدى معكم — ونصافح الضيف والمضيف — هذا عهدى معكم لنتعاون ونعمل من أجل الإنسانية الكاملة ، عهدى معكم لنعمل على تحقيق السلام العالمى ومن أجل الحرية فى كل مكان.

إن الإيمان بالله يقضى بخدمة الإنسانية ونحن جميعا مؤمنون بالله ، والإيمان بالله يقضى بالعمل على تأكيد الحرية ، حرية الملك: حرية البيت ، حرية الرأى : كل نوع من أنواع الحرية التى خلق الله الإنسان عليها .

عاونونا على هذا لننقذ الإنسانية من ورطتها يكن لنا ولكم الفضل الأكبر عند الله يجب أن نتكتل وننظر إلى الإنسان المعذب . أين هو :

فى الجزائر إنسان معذب ، فى فلسطين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إنسان معذب ، في كل جهة من جهات الأرض إنسان معذب .

إن الأديان السماوية كلها تدعو إلى الحرية والتعاون وإلى استئصال الظلم والطغيان حيثما كانا .

فلنعمل جميعاً على هذا العهد إن شاء الله .

« إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله والرسول إذا دعاكم لما يحييكم » .

قال السيد الزائر إن هذه الزيارة ستظل في سجل حياتي ، لأنها قد هزت أوتار قلبي ، فقد سررت بهذا الاستقبال من علماء أقدم جامعة يعرف فضلها المسيحيون كما يعرفه المسلمون . ثم انصرف شاكراً الأستاذ الأكبر على هذه الحفاوة البالغة معبراً عن عظيم سروره وسعادته .

الأستاذ الأكبر يستقبل وفداً من أساتذة الجامعة الأمريكية :

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر وفداً من أساتذة الجامعة الأمريكية بالقاهرة لمناسبة عودتهم إلى بلادهم ، يرافقهم الدكتور عبده الحولي أستاذ علم الاجتماع المساعد بالجامعة الأمريكية ، ومدرس اللغة الإنجليزية بمعهد الإعداد والتوجيه ، وهؤلاء الأساتذة هم :-

دكتور روبرت فرنيا وزوجه ، دكتور كارل ليدن وزوجه . مستر جيزي ستيوارت وابنته ، دكتور . و . كون وزوجه ، مستر تشارلس لويس وزوجه ، دكتور م . ل . شين وزوجه ، مستر روبرت مودى وزوجه ، مستر جوليمان وزوجه ، مستر لندى وزوجه ، دكتور ملدرد هاوارد وزوجه ، دكتور جين هاسلدن وزوجه .

وقد رحب بهم فضيلة الأستاذ الأكبر وشكرهم على هذه الزيارة ، قائلا : إن الأزهر إذ يستقبل فيكم ممثلين للعلوم على اختلاف أنواعها في الجامعة الأمريكية ليسره أن يفتح صدره لكل زائر حتى يتعرف العالم على مدى نشاط الأزهر الثقافي والديني ، وما يشعه من معرفة على العالم أجمع .

فقال مستر مودى أحد أعضاء الوفد : لقد سرنا أن لمسنا نشاط الأزهر في مدينة البعوث الإسلامية . وعجبنا لأنها تضم أكثر من خمسين جنسية من مختلف بلاد العالم ، وسعدنا بحسن نظامها وتنسيقها ، وتوفيرها كل أسباب الراحة والاستقرار لطلاب البعوث الإسلامية ، كما سرنا ما شاهدناه في الجامعة الأزهرية وكلياتها من تقدم وخاصة في قاعة المحاضرات الأزهرية الكبرى وما تؤديه من رسالة ثقافية لشعب الجمهورية العربية . كما زاد من إعجابنا المكتبة الأزهرية وما تضمه من ذخائر الكتب في جميع العلوم والفنون .

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إن ما شاهدتموه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هو ثمرة التعاون الوثيق بين رجال الأزهر ، وثمرة توجيهات الرئيس جمال عبد الناصر ، واهتمامه بالأزهر وطلاب البعوث الإسلامية.

ثم أضاف فضيلته : إن الأزهر منبع إشعاع إنسانى للعالم بأسره ، فله مراكز ثقافية فى الولايات المتحدة ، وكندا ، ولندن ، وغيرها ويتطلع الآن لتعميم مراكزه الثقافية فى جميع أنحاء العالم .

ثم سأل أحد أعضاء الوفد فضيلة الأستاذ الأكبر عما إذا كان الأزهر يقبل الطلاب الذين يدرسون المذهب الشيعى فى رحابه .

فأجاب الأستاذ الأكبر : كان الأزهر من قبل لا يقبل إلا من يدرسون أحد المذاهب الأربعة ، ولكننا رفعنا هذا الشرط المذهبي الذى ليس من ورائه إلا التفرقة المذهبية . أما دراسة المذاهب على اختلافها فى الرأى ووجهات النظر فالغرض منها الاطلاع على أفكار العلماء وآرائهم ووجهات نظرهم الباحثة المتعمقة ، وليس من شك فى أن الإسلام ليس فيه مذهبية ولا طائفية ، ولكن المذهبية قد تعددت بتعدد الأفهام . والمرجع الأول لهذه الأفهام والآراء الكتاب والسنة.

وسأل عضو آخر من أعضاء الوفد فضيلته قائلا : هل هناك علاقات ثقافية بين الازهر والجامعات الأخرى .

فقال الأستاذ الأكبر : إن الأزهر يحرص على إقامة علاقات ثقافية بينه وبين الجامعات الأخرى فيما يخدم البشرية ، ويقودها إلى سلام دائم واستقرار أكيد ، كما يرحب بتبادل الأساتذة والكتب الثقافية مع جامعات العلم .

وسأل أحد الأعضاء فضيلته عن أثر الرحلة التى قام بها إلى الملايو وأندونيسيا والفيلبين .

فقال فضيلته : لقد كان الغرض من الرحلة توطيد العلاقات الودية والثقافية بين المسلمين، ليفهموا ألا حواجز تفصل بين العالم الإسلامى، وأن المسلم فى الجمهورية العربية أخ لكل إنسان فى أى بقعة من بقاع العالم ، تحقيقا لدعوة الله إلى عباده فى قوله : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ».

ثم قال عضو آخر : إننا نجد سعداء بهذه الزيارة الطيبة التى تفضلتم بإتاحتها لنا ، كما نشكر الظروف التى هيأت لنا الدكتور عبده الخولى وهو من خريجى الأزهر ، نشكره لأنه يمثل الأزهر فى الجامعة ، وبذلك صار فاتحة لإقامة علاقات ثقافية وودية بين الأزهر والجامعة الأمريكية فى القاهرة .

فقال الأستاذ الأكبر : إنه ليسرنى أن يكون حلقة اتصال بين الأزهر وبين الجامعة الأمريكية ، فالأزهر يسعده دائما أن تقوى الروابط بينه وبين جامعات العالم . وليعلم الناس أن الأزهر تتسع أروقته لكل من يشاء الانتهال من منهله ، بغض النظر عن الجنس واللون والطائفية وغيرها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

النشاط الثقافي للأزهر

إنشاء فصول جديدة للدراسات الإسلامية :

ملحقة بمعهد الإعداد والتوجيه

لخريجي الجامعات

وافق فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر على إنشاء فصول جديدة تلحق بمعهد الإعداد والتوجيه بالأزهر لقبول دارسين جدد ممن يحملون مؤهلات دراسية عالية من الجامعات أو من المعاهد العليا .

ويتيح إنشاء هذه الفصول الفرصة لراغبي التعمق فى الموضوعات الإسلامية من خريجى الجامعات والمعاهد العليا رجالا ونساء ، ولمن يريد أن يتمكن من فهم الدين ورسالة الإسلام فهما صحيحاً . وتتناول هذه الدراسات الدراسة الموضوعية واللغوية والفقهية والفلسفية ، وستقرب هذه الفكرة بين الاتجاهين الدينى والعلمى ، كما تتناول دراسة المجتمع الإسلامى المعاصر فى شتى جوانبه الجغرافية والتاريخية والسياسية والأدبية وغيرها .

وقد تقرر إنشاء هذه الفصول لما لوحظ من أن بعض المتخرجين فى الجامعات الأخرى لهم رغبة أكيدة فى الكتابة عن الإسلام ومعرفة الكثير عنه ، والإحاطة بالمذاهب الإسلامية المعاصرة حتى يخلق منهم دعاة صالحين للإسلام أينما كانوا .

وبذلك يتيح الأزهر لكل المثقفين من أبناء الجمهورية العربية المتحدة ، لحمل مشعل الثقافة الإسلامية المستنيرة ، ونشر القيم الإسلامية الفاضلة . وزيادة فى تعميم هذه الفرصة أبيح الالتحاق فى هذه الفصول للراغبين فى الدراسة من الجنسين . كما تقرر أن تكون مواد الدراسة مستمدة من التراث الإسلامى الصحيح ، وأن يكون الهدف من دراسة المواد الجديدة هو مساعدة الدارسين على تفهم الفكر الإسلامى والقيم الصحيحة ومن ضمن هذه المواد :

التاريخ الإسلامى .

تاريخ الفكر الإسلامى .

المذاهب الإسلامية المعاصرة .

مقارنة الأديان .

صلات الإسلام بعالم اليوم والغد .

موضوعات منتخبة من الفقه الإسلامى .

كما تقرر إنشاء فصل للدراسات الإسلامية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وتعليم اللغة العربية ضمن هذه الفصول لرجل السلك السياسي على أن يلاحظ قوة العناية بأمر اللغة العربية وتجويدها حتى يمكن الاستعانة بها على التعرف الدقيق إلى المفاهيم الإسلامية . فإن فضيلة الأستاذ الأكبر ليرى أن تعلم اللغة العربية فرض لازم ، لأنها السبيل الوحيد إلى فهم كتاب الله وسنة رسوله واستنباط الأحكام الإسلامية .

وقد رشح الأزهر لذلك نخبة ممتازة من رجال الفكر والقانون لإلقاء محاضرات لتوضيح الجوانب الثقافية المشار إليها .

الأستاذ الأكبر يستقبل عميد كلية التربية

في الجامعة الإسلامية الحكومية

في جاكرتا بأندونيسيا

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بمكتبه السيد / محمود يونس - عميد كلية التربية في الجامعة الإسلامية الحكومية في جاكرتا بأندونيسيا يرافقه الدكتور محمود هدايت - المستشار الثقافي لسفارة أندونيسيا في القاهرة .

وقد عبر الضيف عن عظيم شكره وشكر أبناء أندونيسيا لفضيلة الأستاذ الأكبر على زيارته لأندونيسيا التي وثقت علاقات الود والإخاء بين المسلمين ، وكانت ثورة علمية إسلامية في بلاد الشرق الأقصى ، ويضيف الزائر بأن بعض المسلمين في أندونيسيا أسفوا لأنهم لم تتح لهم الفرصة لرؤية الأستاذ الأكبر نتيجة لقصر المدة التي قضاها فضيلته في أندونيسيا وهم يأملون أن تتكرر هذه الزيارة حتى يتمكنوا من لقاء الأستاذ الأكبر والتحدث إليه .

وقد طلب الزائر من فضيلة الأستاذ الأكبر بيانات عن الأزهر ، والمناهج التعليمية التي تدرس بالأقسام الابتدائية والثانوية والجامعة الأزهرية وجميع المكتب المقررة . وقد أجابه فضيلته إلى طلبه في الحال ثم حمله خالص تحياته وتمنياته الطيبة إلى جميع أبناء أندونيسيا متمنيا التوفيق للجامعة الإسلامية الحكومية في جاكرتا .

مبعوثو الأزهر بأندونيسيا

(يلقون محاضرات في الملايو)

وافقت مشيخة الأزهر على أن يزور الأساتذة مبعوثو الأزهر إلى أندونيسيا الكلية الإسلامية العليا في الملايو ، وعلى أن يتحمل الأزهر نفقات سفرهم من أندونيسيا إلى الملايو ذهابا وإيابا . وكانت هذه الدعوة بناء على طلب الأستاذ محمد عبد الرءوف عميد الكلية الإسلامية ومبعوث الأزهر في الملايو لإلقاء بعض المحاضرات هناك .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهؤلاء الأساتذة هم :

١ — الشيخ حسن محمد حسن بيومى

٢ — « محمد أحمد السنباطى .

٣ — « على على الخنانى .

٤ — « أحمد مرغنى محمد عيسوى .

رحلة مبعوث الأزهر فى الملايو إلى الفلبين

قام الأستاذ محمد عبد الرءوف مبعوث الأزهر بالملايو وعميد الكلية الإسلامية العليا هناك برحلة إلى الفيليبين بناء على دعوة السيد السناتور أحمد ألونتو رئيس الهيئات الإسلامية فى الفلبين لحضور حفل التخريج لكليات كامل الإسلام وفروعها فى مدينة مروای عاصمة منطقة لاناد بجزيرة مندناو بالفلبين .

وقد غادر الأستاذ محمد عبد الرءوف كوالالمبور بالطائرة إلى مانيلا وألقى حديثا على جمع كبير من المسلمين هناك كان موضوعه « العناصر الأساسية للعقيدة الإسلامية » وقد تبع الحديث مناقشة طويلة أجاب فيها الأستاذ محمد عبد الرءوف عن كثير من الأسئلة .

وقد زار أيضا المناطق الإسلامية الآتية : سامبوانجا ، جزيرة باسيلان ، جزر صولو . وقد ألقى محاضرة بجامعة الفيليبين فى مانيلا فى ٤ أبريل سنة ١٩٦١ .

عودة مدير الثقافة الإسلامية من مهمته الرسمية فى المغرب :

وجهت الجامعة المغربية الدعوة إلى السيد الدكتور محمد البهى المدير العام للثقافة الإسلامية بالأزهر لإلقاء عدد من المحاضرات الإسلامية والثقافية على طلبتها وعلى جمهور المغرب الشقيق فى المدن الكبرى . وقد استجابت مشيخة الأزهر لهذه الدعوة ، ووافقت على سفر سيادته إلى المغرب توثيقا لعرى المحبة ووشائج القربى ودعما للروابط الثقافية والروحية بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة المغربية الشقيقة .

وقد سافر سيادته فى ١٩ من شوال سنة ١٣٨٠ هـ الموافق ٥ من أبريل سنة ١٩٦١ م تلبية لهذه الدعوة ، وألقى كثيرا من المحاضرات فى الجامعة المغربية وجامعة القرويين ومدن : الرباط ، وفاس ، وطنجة ، وغيرها ، وكانت محاضراته حديث الأوساط العلمية والدينية ، وحديث جمهور المغرب الذى استمع إليها .

ثم عاد سيادته فى ٢١ من ذى القعدة سنة ١٣٨٠ هـ الموافق ٦ من مايو سنة ١٩٦١ م بعد رحلة موفقة فى خدمة الثقافة الإسلامية والوحدة العربية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الكتب

نقد وتعريف

بقلم — محمد عبد الله السمان

١ — السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي

للدكتور مصطفى السباعي

المؤلف ليس بحاجة إلى تعريف، فهو رئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه في جامعة دمشق، وأستاذ الأحوال الشخصية في كليتي الشريعة والحقوق هناك. وكتابه هذا هو الرسالة التي تقدم بها لنيل الشهادة العالمية من درجة أستاذ.

هذه الدراسة تتناول في الباب الأول: معنى السنة وتعريفها وموقف الصحابة منها، كيف نشأ الوضع فيها ومتى وأين؟ جهود العلماء لتنقيتها وتصحيحها، وتتناول في الباب الثاني: ما تعرضت له السنة من شبه وخصومة، قام عليها قديما فرق كالشيعة والخوارج والمعتزلة، وحديثا آخرون كالمستشرقين والمرحوم الأستاذ أحمد أمين. والأستاذ أبي رية، وتتناول في الباب الثالث والأخير: مرتبة السنة في التشريع الإسلامي.

وقد مهد للبحث برد ومناقشة لما كتبه الأستاذ محمود أبو رية في كتابه أضواء على السنة كما ختم الدراسة بترجمة مركزة لكبار علماء الإسلام من مجتهدين ومحدثين: كالأئمة المجتهدين الأربعة، وأصحاب كتب الحديث المشهورين..

الكتاب دراسة واسعة شاملة، بدا فيها الجهد الشاق الذي بذله فضيلة المؤلف، فالموضوع دقيق له خطورته. وأنت إذا قرأت كلمة المستشرق «جب»: بن الإسلام مبنى على الأحاديث أكثر مما هو مبني على القرآن. ولكننا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة لم يبق من الإسلام شيء..!

إذا قرأت هذا، وضح لك أية نظرة خبيثة يسلطها الأعداء على كيان التشريع، وأي واجب يفرضه الإسلام على المسلمين ليبلوا بلاء حسناً في الدفاع عن السنة، المصدر الثاني للتشريع الإسلامي..

وفي الكتاب ظهر جهد المؤلف في مناقشة الآراء القديمة للشيعة والخوارج والمعتزلة، والآراء الحديثة للمستشرقين والمبشرين والكتاب المسلمين المحدثين.. كما ظهر جهده

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى مناقشة آراء علماء الإسلام المخلصين التى يأتى بعضها جانبا من الشبهة أو شبه الشبهة . . .

ولكن لنا ملاحظتين :

إحداهما : أن المؤلف حين ترجم لأصحاب كتب الحديث ، كانت ترجمته غاية فى الإيجاز ، وما كنا نطلب إسهابا فى دراسة شخصياتهم ، بقدر ما كنا بحاجة إلى توسع فى دراسة كتبهم .

وأما الملاحظة الأخرى ، فهى تتعلق برده على الشيخ أبى رية ، فالمؤلف بنى رده عليه على أساس إساءة الظن به ، وهذا ما لم نكن نتوقعه من عالم يملك علما وحجة ومنطقا . فالشيخ أبو رية قال فى إهدائه الكتاب لابنه : « ماقصدت بتأليفه إلا وجه الحق . » وابنه فى جوار الحق ، كما ختم بحثه بقوله : وما دام عملنا قد جعلناه خالصاً لوجه الله تعالى فإنا لا نطلب عليه من غيره أجراً . . وهذا يكفى لحسن نية الشيخ أبى رية ، والله وحده يتولى السرائر . . .

٢ — بطولات عربية :

للأستاذ محمود الشرقاوى : سكرتير تحرير مجلة الأزهر .

جال الأستاذ الشرقاوى بنا جولة تاريخية ، جاءت فى أسلوب قصصى طريف ، أبرز فيها معالم البطولة العربية لعدد من الكهول والشباب ، أدوا أدوارا خالدة فى الكفاح والنضال ، خلد التاريخ البعض ، وأهمل البعض الآخر . وهدف المؤلف من دراساته كما ذكر فى مقدمته أن يوفى هذا البعض المهمل قدرا من الوفاء . « فعشرات الكتب ألفت فى تاريخ وطننا العربى منذ مئات السنين ولكن السمة الغالبة عليها جميعا أنها تؤرخ للملوك والحكام والوزراء والعلماء وأصحاب الذكر والوجاهة والتصدر ولكنها لاتحفل بسواد الناس وعامتهم . . . »

فوق أرض المكسيك سجلت فرقة مصرية سودانية فى القرن التاسع عشر قصة من قصص البطولة ، أرسلها خديو مصر سعيد باشا لتعين نابليون الثالث فى حربه ضد المكسيك . . ورجال حامية حصن « ألاطة » والاسبتالية » خلال عدوان انجلترا على مصر فى معركة عرابى ، سجلوا موقفا خالدا رائعا فى الدفاع عن الحصن فى الإسكندرية . . وفى أواسط القرن الثالث الهجرى سجل صاحب الزنج دورا من البطولة مشرفا فى تحرير العبيد ، وكانت ثورته شيئا فريدا نادرا .

وعلى يد « على بك الكبير » حققت مصر استقلالها ، ووحدت البلاد العربية . وإن لم يكن مصريا إلا أنه وغيره من المماليك كانوا فى ذاك العهد يعتبرون أنفسهم مصريين[1] .

والمعلم يعقوب زعيم القبط . . والجبرتى ،

---

[١] كان المصريون يرون هذا الرأى فى المماليك أيضا . والجبرتى — مؤرخ العاطفة المصرية — يسمى المماليك : الأمراء المصرية « مؤلف الكتاب » .

أبو ذر الغفاري / مكتبتنا العربية

أدى الأول دورا سياسيا والآخر دورا أدبيا حيث أرخ بشجاعة وبطولة لفترة من الفترات الحالكة ...

والأمير محمد الكيلانى قاد من طرابلس كتيبة ليدافع عن مصر خلال غزو نابليون وسجل دورا من البطولة النادرة .

و « أبو نضارة » أدى دورا من البطولة بقلمه ، كتب المسرحيات اللاذعة التى ترمى إلى غايات سياسية وإصلاحية . ولقى ما يلقاه قادة أصحاب الفكر الحر من الاضطهاد .

ومن الشباب : أسامة بن زيد ودوره فى غزو الروم ، والمقداد بن الأسود الذى قال للرسول فى غزوة بدر : يا رسول الله امض بنا إلى ما تريد ، وعبد الله بن جحش ودوره فى غزوة مؤتة ، وسعد بن أبى وقاص فى معركة القادسية ، ومحمد بن القاسم فى غزو الهند ، وموسى بن نصير فى فتوحاته بشمال إفريقيا ... وغيرهم .

الأستاذ الشرقاوى . . قدم دراسة تاريخية لا غبار عليها من حيث مقاييس الكتابة التاريخية ، ولكننا نختلف معه فى مقاييس البطولة التى اعتبرها فى بحثه .

فالفرقة المصرية السودانية التى ذهبت - مرغمة - لتسند بغيا [1] وتناصر عدوانا فوق أرض غريبة عن أرض الوطن ، لا يمكن أن تلحقها البطولة إلا من زاوية ضيقة . هى احتمالها المشاق فى قتالها تحت راية عدوان أثيم ... ولا يمكن أن نضع هذه الفرقة بجانب فرقة الأبطال المغاربة التى قادها الأمير محمد الكيلانى إلى مصر لتقف بجانبها ضد عدوان فرنسا .

ثم المعلم نقولا الترك أى زاوية من زوايا البطولة يمكن أن نضعه فيها ، وقد قدم من لبنان ليعمل لحساب فرنسا ، ولا يمكن لعبارة سجلها وأشاد فيها ببطولة المصريين أن تؤهله للبطولة بحال من الأحوال [1] .

والأستاذ الشرقاوى فى تمهيده للبحث عاب التاريخ لأنه سجل للملوك والوزراء والقادة ، وكنا نود أن تقتصر دراساته على المجهولين الذين أهملهم التاريخ ، ولكن يظهر أنه نسى

---

[1] بطولة هذه الفرقة أمر لا شك فيه تسجله سيرتها التى فصلتها وقد أجمعت عليها كل الوثائق الخاصة بها والاعتبارات التى جعلت سعيدا يرسلها = إلى المكسيك شرحتها فى الكتاب - ص ١٠ - ولا تعارض بينها وبين ما أبدت هذه الفرقة من البطولة والشرف . المؤلف

(١) لم أصف نقولا الترك بالبطولة ، ولا يمكن أن يكون ذلك . وقد ترجمت له ترجمة وافية فى الكتاب : « ص ١٦٤ - ١٦٦ » . والفصل الذى يشير إليه الأستاذ الناقد عنوانه : « الفضل ماشهدت به الأعداء » ، والأعداء هنا هم نقولا الترك والفرنسيون الذين يتشيعلهم ويمدح قائدهم نابليون . والبطولة هى فى الأعمال التى قام بها المصريون بعامة والقاهريون بخاصة ضد نابليون وجنوده ، وهذا كله واضح مما كتبت فى هذا الفصل المؤلف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نفسه قليلا ، فحفل بالعظماء من أمثال عرابي وطومان باي وعلي بك الكبير وغيرهم .

٣ — بحوث في تفسير القرآن :

الأستاذ محمد جمال الدين عياد

المؤلف شاب باحث تخرج في الجامعة الأمريكية ، قدم لنا دراسة مستفيضة في تفسير « سورة العلق » مناسبة نزولها . والترتيب التاريخي لها ، وناقش آياتها آية آية ، مستعينا بكتب التفسير المعتمدة ، القديم منها والحديث والآراء العلمية أيضا .

وهو يقرر في مقدمته أنه التزم في هذه الدراسة القواعد المتبعة في إعداد البحوث والرسالات الجامعية أيا كان موضوعها ، فالباحث في الدين كالباحث في العلم وفي الأدب وفي الفن . . كما قرر أن البحث ليس للعامة بل للخاصة ليكون مرجعا ، وقد قرر الواقع في الفقرة الأخيرة . إذ أن بحثا استوعب أكثر من مائة وستين صفحة من القطع الكبير ، في تفسير سورة بلغت بضعة أسطر هذا البحث الطويل لا يفيد منه إلا من له وله بالبحث والدراسة .

المؤلف بذل مجهودا ضخما مضنيا في تجميع الروايات المتعددة ، وناقشها مناقشة واسعة وبحصها تمحيصا ، ورجح منها ما رجح ، وأثبت مرجع كل عبارة أوردها ، واستعان بالرسوم الموضحة فيما يتصل بالأجنة .

والذي يضفي على البحث جانباً من التقدير هو تجميع المؤلف للروايات المتباينة ومناقشتها وعرضها عرضا سليما ، ولكن الذي لا نكاد نلمسه إلا في القليل من أبواب هذه الدراسة أن يكون المؤلف قد أتى بشيء جديد ، فترجيحه مثلا لكون سورة العلق أول القرآن نزولا بعد عرض الروايات الكثيرة ، معظم التفاسير قد سبقه إليه ، وفي مقدمتها تفسير الإمام القرطبي .

والمؤلف ناقش لفظة « العلق » ونفى أن تكون « دما جامدا » كما أشارت إلى ذلك تفاسير القرآن ، بل العلقة طور بين النطفة وذكر أن تفسير العلقة بالدم الجامد تفسير تسمح به اللغة ولا يسمح به الطب أو علم الأجنة خاصة ، واستشهد لتأييد رأيه بدراسات لويس وهارتمان من العلماء ، وهي دراسات لها قيمتها العلمية .

أما قول المؤلف : إن تفسير لفظة « العلق » بالدم الجامد مما ذهب إليه المفسرون قديما وحديثا ، فما لا نقره عليه ؛ لأنه اتضح من المراجع التي أثبتها أنه لم يستوعب كل التفاسير القديمة ، والتفاسير الحديثة لم يرجع إلا إلى عدد يسير جدا منها . وعلى كل فالأدلة الشرعية كما لا تناقض قضايا العقول — كما يقول الشاطبي — فإنها أيضا لا تناقض نظريات العلم المجمع على صحتها .

وفي نهاية البحث ناقش آراء الدكتور

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وصفى التى وردت فى مؤلفه «القرآن والطب» عن النطفة والعلقه ، وذكر المؤلف أن الدكتور يتفق معه فى أن العلقه ليست الدم الجامد والدكتور منذ ربع قرن دائب على نشر بحوثه ، وبقى أن نقرر نحن تقديرنا لجهود المؤلف فى هذا البحث القيم .

٤ — بين الأدب والصحافة :

للأستاذ فاروق خورشيد

المؤلف — كبير المذيعين بالقاهرة — أديب دارس ، وباحث متعمق ، أصيل التفكير ، وحر الرأى ، وكتاباته هذه فى مؤلفه الجديد دراسات عميقة تناولت : أزمة الأدب ، وأدب الصحافة ، وأزمة المجلات الأدبية ثم الصلة بين الأدباء والصحفيين .

أزمـــة الأدب فى صحافتنا قضية مسلمة لا جدال فيها ، فالصحافة التى كانت من قبل كامنة فى محراب الأدب تستمد منه وجودها وبقاءها . . كتاب الأدب والنقد هم العمد الأساسية فى بناء أى صحيفة ، وقارئ الأدب هو المستهلك الأول للصحيفة وكانت الصحف تصطرع فى احتكار أكبر عدد ممكن من الأسماء اللامعة فى دنيا الأدب ، تفرد لهم أهم صفحاتها وتخضع هذه الصفحات لاحتياجاتهم التى توضع فى الاعتبار . .

أما اليوم فقد غدا الأدب غريبا فى صحافتنا . يحس الجميع أنه ضعيف ثقيل ينبغى التخلص منه ، فهو تارة يهمل إهمالا تاما . وهو مرة أخرى يبعد إلى ركن قصى بعيد حيث يتوارى فى خجل وحياء . .

الشعر خير المعركة . . والقصة تصمد فى المعركة . . ولكن إلى أجل ، وهى اليوم قصة صحفية لا تعبر دائما تحكى ، وبقى أدب الصحافة الذى أضر بقضية الأدب نفسه أيما ضرر ، وأما أزمة المجلات الأدبية فهو مما لا يحتاج إلى تعليق .

وقدم الأستاذ فاروق خورشيد دراسة مركزة بعد ذلك تناولت :

الخبر ، والريبورتاج ، والشعر ، والدراما ، والرواية ، والدراسة الأدبية ، والقصة القصيرة ، والمقال ، والنقد الأدبى ، قدم المؤلف الأديب هذه الدراسة لتوضيح العلاقة والرابطة بين الأدب والصحافة .

والحق . . أن المؤلف كأديب متقن ، أخلص الأدب فى دراساته ، وبدت على قلمه الغيرة على الأدب من أن تجرفه الصحافة ، لا سيما وقد أصبح أدب الصحافة يمثل مكانا مرموقا ، وهو أدب من شأنه أن يجعل من صورة حياتنا مسخا مشوها لا جدية فيه ، والأمل الوحيد هو الرعيل الذى يمثل خط الدفاع الأخير من أصحاب الأقلام الذين لا زالوا يرفعون القلم فى تشبث وإصرار ؟

محمد عبد الله السمان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

in seclusion in its strictest from. The rise of modern society in Europe tended to create a change in this system, and the establishment of convents and nunneries served to ameliorate their conditions to some extent.

In the early days of Islam, till the extinction of the Saracenic Empire in the East, women continued to occupy an exalted position as in modern society. There are several women who have distinguished themselves and whose names remain outstanding. Zubaida the wife of Haroon, was well accomplished and played an important and prominent part in the history of the age. Humaida, the wife of Faruk and the mother of Rabya-ar-Ray, one of the most distinguished jurisconsults of the day, was the sole guardian of her son and educated him whilst Faruk was away for many years engaged in battles in Khoraasan. Further we could see in Sakina the grand-daughter of Ali, the most brilliant and accomplished and virtuous woman of her time. Besides them, the ladies of the family of the Prophet were famed for their knowledge virtues and strength of character. Sheikha Shuhda in the 5th century Hijra was called "FAKHR-Un-Nisa", lectured at the Cathedral Mosgue of Baghdad to multitudes on poetry, literature and rhetoric. Her name and glory has a revered place in the annals of Islam together with with the most distinguished "Ulema"

Besides these there are several instances of women who have distinguished themselves in Islam and "The short History of the Saracens" - Macmillan-deals with in more detail.

The improvement of the status of women in Islam by the Prophet cannot be doubted by any except the prejudiced. Under the laws as they exist at present, the legal position of the Muslim females compare favourably with that of their European counterparts. She remains under the parental roof only so far as she remains unmarried, and until she attains majority she is subject to parental control. On her coming of age the law vests in her all rights of an independent human being. As regards inheritance, she enjoys her right to her share although the proportion is different. As regards marriage, a woman who is a major cannot be forced to accept a marriage contract and upon her marriage she does not lose her individuality nor does she cease to be a separate member of society. The husband has no power over her person beyond limits specified by law and her goods and property are her own. Where she is a major, she acts in all matters relating to her person and property in her own individual right without intervention by the husband, or her father. She is considered in all respects a person SUI JURIS.

It must be considered that in many respects she occupys a better position than her European counterpart and if there is any backwardness it must be attributed to the cultural backwardness of the community as a whole.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

of proper maintenance and unless proper cause was shown for a separation she lost her dower.

It must be borne in mind that in Islam, marriage is considered an insititution to which sanctity is attached so that human beings may guard themselves from unchastity and evil actions. Divorce therefore is detested and there are frequent admonitions in the Quran against separations and urging reconciliation between the parties.

The seclusion of women in Islam was an ancient system which was borne out of certain circumstances in uncertain and uncultured communities, and had its advantages. It has been frequently argued that this system tended to degrade the status of the women. But on the contrary it must be noted that this argument is incorrect and that it was borne out of necessity and that this system apart from being practised by the Muslims was also in force amongst the Persians, Chinese and the Spanish peoples in South America. The prophet, in view of the Laxity of morals which was widespread among all classes of people, recommended this system of observance of privacy but he did not intend that this observance must be as rigid as one finds it today amongst certain Muslims in countries such as India, Pakistan Ceylon and other oriental countries. As a matter of fact the strict seclusion of women is wholly contrary to the reforms the Prophet introduced and the Koran itself does not warrant he complete and strict or rigid sec--thusion. It is therefore a mistake to conceive that there is anything in law to perpetuate such a custom whose growth was geographical and dependant upon circumstances.

There are several instances of immunity of seclusion enjoyed by the members of the family of the Prophet. Ayesha who was the daughter of Abu Bakr, married Mohammed on Khadija's death and she led ihe insurrection against Ali. She led the troops at the famous "Battle of the Camel". The Prophet's daughter Fatima often took part in deliberations regarding the succession to the Caliphate. Mohammed's grand-daughter, Zainab, shielded her nephew from the Ommayyads after the massacre of Karbala.

The Prophet's advice regarding the observation of privacy was to check the depravity of morals and the tide of immorality which had seeped into the foundation of society amongst the pre-Islamic Arabs, the Christians and the Jews, and which chaotic state of affairs needed some correction. Till the time of his admonition to observe seclusion, there existed among the pagan Arabs a custom of polyandry and his counsel only served and was intended to insulate his followers from this evil influence.

The position of women in Christianity was at its lowest. The orthodox church excluded women from the exercise of religious functions and from society. They were prohibited from appearing in public and from attending feasts and banquets, They were directed to remani

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

neglect and the whims and fancies of the man. This stringent condition has been subject of severe criticism by Sir William Muir who terms it as a "revolting condition". He erroneously thinks in citing a proverb that Islam positively supports or sanctions the hiring of a temporary husband, to legalize a remarriage with a thrice divorced wife. The idea of having the wife who had been divorced married to a third person, on an express understanding that he would divorce her in favour of her former husband, was denounced by the Prophet and hence the stringent condition imposed by Him. Its very existence demonstrates how strongly the principles of Islam are opposed to a dissolution of the marriage by divorce. The object of such a stringent condition was solely to avoid a definite dissolution of the marriage by appealing to the sense of honour of the people. Muir ignores, that amongst a proud, jealous and sensitive race such as the Arabs, such a condition was one of the strongest deterrents for the evil. The proverb itself denotes what a disgrace it would have been to a husband to suffer his wife to go through a "Shameful process" if he repudiated her finally and intended to get her back.

As stated earlier it was the habit and constant practice, widespread amongst the Jews and the pagan Arabs and with the Christians too, of repudiating the wife on every slight occasion, at every moment of senseless passion and caprice. This stringent measure was intended to check one of the most sensitive nations of the earth, by acting on the strongest feeling of their nature, their sense of honour.

On the other hand M. Sedillot speaks of the rule in full agreement with the Mohamedan jurists, in thinking that this rule was laid down with the sole object of restraining the frequency of divorce in Arabia where moral depravity amongst the Jews, pagan Arabs and Christians was rife. Sedillot speaks of the condition as a very wise measure which rendered separation more rare, by imposing a check on its constant practice among the Jews and pagan Arabs. Sautayra says that this check was intended to control a jealous, sensitive, but half cultured race, by appealing to their sense of honour.

The reforms of Mohammed therefore restrained the power of divorce of husbands and gave women the right of obtaining a separation on reasonable grounds, and towards the end of his life he practically forbid its exercise by men without the intervention of arbiters or a judge. To Him, "the pronouncement of Talak was to be the most detestable before God of all permitted things" for it thwarted conjugal happiness and constituted an interference with the upbringing of the children.

As much as the husband possesses the right to divorce his wife, Islam permits the wife to obtain a divorce from her husband for some serious cause such as Ill-usage, lack

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

Divorce had been recognized as a necessary corollary to marriage amongst all nations of antiquity. This right subject to exceptions was exclusively reserved for the man, and the woman was disentitled to claim a divorce. With the progress and advancement of civilization there began a partial amelioration of her condition and she acquired a qualified right of divorce.

The ancient Hebrew Law permitted the husband to divorce his wife for any cause which made her disagreeable to him and there were few or no checks to the arbitrary or capricious exercise of the husband's rights of dissolution of the matrimonial ties. The women on the other hand were deprived of the right to demand a divorce for any reason whatsoever. At the time of the advent of the Prophet, the doctrines of the school of Hillel were in force amongst the Jewish tribes of Arabia and repudiations by husbands were as common as amongst the pagan Arabs. This practice was followed by the Athenians too, whose rights were unrestricted in as much as amongst the ancient Israelites.

Divorce amongst the Romans was exercised since earliest times. The Laws of the Twelve Tables recognized divorce. The wife had no right to sue for a divorce and should she choose to do so, she was liable to punishment.

Amongst the Arabs, the husband had an unlimited power of divorce and they recognized no rule of humanity or justice in the treatment of their wives. Mohammed disapproved the custom of divorce and regarded its practise as calculated to undermine the foundation of society. Conditions at this time were such that it was difficult to abolish the custom In Toto. He was to mould the mind of an uncultured and semi-barbarous community to a bigher development so that with the passage of time his lessons might change their hearts.

Although it being an undesirable custom he permitted the exercise of the right of divorce subject to conditions. In order to ensure reconciliation between the parties, he permitted three periods and failing all attempts at reconciliation, the final separation was to take effect on the third period. He encouraged and prescribed arbitration as a mode of solution to matrimonial disputes rather than have recourse to the evil of exercising a divorce. It was further laid down that where the parties have been irrevocably separated after the third and final repudiation, the parties cannot reunite unless and until the wife had undergone her period of Idda and married another man and thereafter was divorced by him after consummation of the second marriage, and had undergone Idda thereafter.

It is therefore obvious that from the aforesaid condition regarding a reunion between parties after final repudiation, divorce has been discouraged and protection was afforded to the woman against willful

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

far as to destroy and burn alive many female children and this custom which was predominant among the tribes of the Koreish and Kindah was denounced by Mohammed in no uncertain terms and prohibited under severe punishment. The sacrificial offering of children to gods was also prohibited.

The reforms introduced by Mohammed was at a time when the social structure was falling apart on all sides and older systems were found wanting. The Prophet of Islam enforced "Respect for Women" as one of the essential teachings of his creed.

The laws which he promulgated strictly prohibited conditional marriages and though he at first tacitly permitted temporary marriages, later these were forbidden in the 3rd year of the Hijra. Mohammed in his system secured to women rights and previleges which they had been deprived of and never before possessed. Women were placed on a perfect footing of equality with men in the exercise of legal powers and functions. The practice of polygamy was restrained by limiting the maximum number of contemporaneous marriages and equity towards all was obligatory upon man. The Koran gives the permission to contract four contemporaneuos marriages.

This permission is however subject to the proviso contained in the following Koranic verse.

It is therefore clear that while one verse grants the right to contract a polygamous marriage, the succeeding proviso by imposing conditions merely restricts its exercise. The subsequent condition or proviso which is based on equity not merely limits to the requirements of food, clothing and shelter but also to complete equity in love, affection and esteem. It would obviously therefore seem that as abolute equity in affection is impossible, the proviso to the permission in the Koran for four contemporaneous marriages is merely a prohibition.

The existence of polygamy which was dependant upon circumstances of society such as the absolute necessity for the preservation of women from starvation or utter destitution-the greatest proportion of the mass of immorality in the west arises from absolute destitution — is fast disappearing in all advanced Moslem communities and the conviction is now being held that polygamy is as much opposed to the teachings of Prophet Mohammed as it is to the progress of a civilized state and society. The progress of human thought coupled with the changing conditions in the present world has caused a drift away from polygamy and its tacit abandonment.

With regard to the Koranic laws relating to treatment of women in divorce, it is manifestly clear that they are of better regard for justice than those of any other scripture. The subject of Divorce in Islamic Law has been a fruitful source of misconception and controversy.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

this view has been incorrect. In point of fact it has been said that the greatest adviser of Justinian was an aetheist and a pagan. The Law of Justinian prohibiting polygamy although it represented a marked advancement of thought, failed to check the tendency of the age and was considered by the masses as a dead letter.

The upheaval of the barbarians in Western Europe and the intermingling of their ideas with those of the people amongst whom they settled tended to degrade the relations between man and wife. The Theodoric Code of Laws attempted to deal with polygamy but the monarchs who practised plurality of wives were quickly followed by the people. Despite the oath of perpetual celibacy held out to them by the Church the clergy practised plurality of wives.

It is therefore undoubtedly clear that the institution of polygamy existed prior to Prophet Mohammed and the greatest error committed by the Christian writers is to state that Mohammed adopted or legalized polygamy. The notion entertained by most writers that Mohammed introduced it is either a display of crass ignorance or a deliberate attempt to distort facts.

Mohammed found polygamy practised not only among his own people but of the neighbouring people too where it was most degrading. The Laws of the Christian Empire had failed in its efforts to correct it and consequently polygamy flourished.

The corrupt and deplorable morals in Persia led to no recognized system of law of marriage and the Persians indulged in a multitude of marriages without taking into consideration the innumerable concubines they had in their possession.

Amongst the ancient Arabs and the Jews, besides the system of plurality of wives, there existed customs pertaining to conditional and temporary marriages and such loose morality had a disastrous effect on society.

The reform instituted by Mohammed in fact created a vast change and marked improvement in the position of women whose condition amongst the Jews and non-nomadic Arabs was degraded. The daughter of a Hebrew was in the position of a servant capable of being sold, if a minor, and also could be disposed of by will or testament. She inherited nothing except in the absence of males. Even among the settled pagan Arabs who were influenced very much by the neighbouring corrupt empires a woman was a mere chattel and she formed an integral part of the estate of her husband or father. The widows of a man descended to his son or sons by the right of succession and inheritance by patrimony. Thus we get the frequent unions between step-sons and step-mothers which were subsequently forbidden by Islam. Polyandry too was practised by the half-Jewish half-Saebaean tribes of Yemen.

The aversion towards women by the pre-Islamic Arabs went

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

the subject of an ordinary sale or testamentary disposition. The Athenian was permitted to possess any number of wives and Dollinger in "The Gentile and the Jew" states that Demosthenes gloried in the possession by his people of three classes of women, two of which furnished the legal and semi-legal wives.

On the contrary it should be noted that while the Spartans were prohibited from adopting this practice unless for special circumstances, the women enjoyed the right, and always exercised the right to have more than one husband.

Plurality of marriage was a previleged custom amongst the Etruscans too. Amongst the Romans the sanctity of marriage was a mere by-word and this was due to the constant contact for centuries with the other Italian states and principalities, the wars and conquests and the desire for luxurious habits engendered by success. Marriage became a simple practice of promiscuous concubinage. Concubinage ,recognized by the state laws acquired the force of a previleged institution. Consequently the loose marital ties that existed between the husband and wife and the frequency with which wives were changed or transfered made marriage a polygamous relationship and society became promiscuous where maternity was a fact while paternity was a matter of opinion.

The Laws introduced by Justinian prohibiting polygamy did not bring about a change in the moral ideas of the people but on the other hand continued till its condemnation by modern society. The wives of a person, with exception of the first wife, suffered severe disabilities and were deprived of any rights and safeguards. The children were considered illegitimates and deprived of any right of inheritance to their father and further, were ostracised from society.

This chaotic state of affairs was not merely confined to the aristocracy alone but even extended to the clergy who forgetting their vows of celibacy contracted more than one legal or illegal union. Until very recent times, polygamy was not considered so reprehensible as it is today. St. Augustine found no intrinsic immorality in it and declared that polygamy was not a crime where it was the legal institution of a country.

Hallam points out that the German reformers as late as the 16th century acquiesced in the validity of a second or third marriage contemporaneous with the first, in the absence of issue and other similar causes.

Emperor Valentinian II, by an Edict, permitted his subjects to marry several wives if they chose to do so, and the ecclesiastical churches and Bishops raised no objection to this law. All the succeeding Emperors practised polygamy and the people followed them likewise. These laws lasted till Justinian who brought to an end the prevailing state of affairs. It has been said that the laws of Justinian were largely due to the influence of Christianity, but

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

"Polygamy and the Status of women in Islamic Society"

BY
A. M. M. SALMAN

Polygamous marriages in Islam and the status of women in Islamic society have been the subject of much discussion by many writers. It has led to an abundance of criticism some of which have been founded unjustifiably. Certain writers amongst the Orientalists have spared no pains to portray to their readers that the women in Islam enjoy an inferior position to that of their counterparts in the West and that they were treated as chattels. As a matter of fact this subject has not been treated in a just and equitable manner but on the contrary viewed with religious bias and prejudices.

The Holy Quran has dealt with this subject and it clearly indicates that women in Islam enjoy as much rights as they are subject to duties.

It is necessary at the outset to consider briefly the various stages of social development and upon a consideration of them, one is inevitably led to conclude that polygamy was an unavoidable circumstance. The system of polygamy must be attributed to the constant feuds that had arisen in society resulting in the decimation of manpower and the consequent increase of women in society.

Polygamy was a recognised institution in ancient times amongst the nations in the East and was largely practised by the Emperors who professed a divine right to rule and thus making the observance of such practice a sanctimonious one.

In as much as there was no restriction in ancient times among the Hindus as regards polygamy, this practice was followed by the ancient Persians, Assyrians and Babylonians as well, whose rights to possess as many wives as they wished were unrestricted. Even among the Israelites too, polygamy existed before the time of Moses, who continued such a custom without restricting the right of the Hebrew husband to contract as many marriages as he thought fit. Later the Talmud of Jerusalem restricted the number to the ability of the husband to maintain his wives properly. The custom of plurality of marriages was practised to an unlimited extent among the Thracians, Lydians and the Pelasgian races in Europe and Central Asia, and dwarfs all comparison with the practice prevalent elsewhere.

The Athenians, who were the most civilized and cultured amongs the nations of antiquity, considered the wife as a mere chattel capable of being

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

outcome of the Crusades. Sheikh Muhammad Abdu says : 'There is no other nation that detests the Moslem because he is a Moslem, not for any other reason, except France. Whenever I had an interview with a Frenchman to discuss the conditions of the East with him, I felt disgusted and all my body quivered. In case a Frenchman praises Islam and mentions some thing about its merits, he is certainly after a French benefit." when he states this, Muhammad Abdu gives a vived discription of the French mentality which was much more influenced, than any other western mentality, with the defeats of the Crusaders by the Moslems in the East during three centuries.

Bold as it has always been to stand the imperialistic challenge in general and the French one in particular, and because, despite this defiance, it has managed to exist and to preserve the Arabic and Islamic heritage which it has always cared for throughout its long history, Al-Qarawiyeen Mosque is, in fact, a fortress on the solid rocks of which are crushed all the attempts of the French imperialism to erect a barrier between the past and the present of the Arab community in Morocco and to induce the generations brought up within its sphere to forget the fundamentals of their original community. It is also regarded as a source of protection of the Islamic and Arabic revival motives with which it has pushed the Arabic awakening forward so as to ensure sovereignity of the Aarbs over themselves and superiority of Islamic values in their midst. In this way the independence of Morocco has been realised, so has the independence of Egypt, Libya and Tunis, and so will the independence of Algeria take place sooner or later, owing to the fact that it is but a portion of the Arab nation, and because the real fundamentals of the Algerian community are only represented in the Arabic Language, Islam and in the common history of the Arabs. These are the factors that have led to victory over, liberation from, and defiance to, the imperialistic authority, and that have helped the Moslem Arabs in their struggle for victory and liberation.

Not only has Al-Qarawiyeen Mosque kept the spiritual, mental Arabic and Moslem heritage and the Arabic Language from harm and decay, but it has also preserved the Arab nation in Morocco from dispersion, subordinacy and annihilation.

Notwithstanding the mockery, scorn and belittlement to which they may be exposed and regardless of the stagnation, conservatism and back, wardness of which they are sometimes accused, the learned Qarawiyeen have to feel proud, simply because they are the valiant soldiers who have deprived themselves of enjoying a comfortable life for sheer exaltation of the Arab nation and to ensure the stability, purity and ever lastingness of the Islamic mission.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

education of native children in the countries where they are founded these French schools do not try to make the best use of the national energy to educate the natives, nor do they aim at instructing the national characteristics. On the contrary, they spare no effort to 'make' the native children whom they teach (whether in Morocco, Egypt, Iran or Indo-China) exactly the same as the french students in France in appearnce, language, way of thinking and adoration of france as a colonial country"(1).

Al-Snyed Abdel Meguid Ibn Galwin in his book 'This is Morocco' describes the double-edged scheme of imperialists. Here we quote him. His description (translated into English) runs as folows : "The French and the Spanish have managed to bring the National Education Department under the imperialists' adminisration, thus utilising it as a political instrument. In this way, education has become restricted, controllable and exploitable, as the new governing authority has come to believe that the spread of learning is apt to menace it to the very root. Hence, education in the country is destined to be carried out according to imperialistic principles that aim at realising the following.

1) The upbringing of a certain class of narrow-minded officials who will be mentally unfit but will only serve as 'more instruments'.

2) At school, students should be given but very little knowledge lest those who acquire more should grow up into beings endowed with such a mentality as will enable them to have a good and thorough understanding of life.

3) The use of the Arabic Language in education should be brought to a minimum. Education should be devoid of all that creates national pride or inspires it, such as history and literature; it should on the other hand be admirably overfilled with the glories of the French aud the Spanish.

4) Establishing French and Spanish schools.

5) Reviving the barbarian language and making it fit for writing.

6) Prevention of any contact with Egypt and bringing the cultural relations between the two countries to a stop. (1)

Well, if the French imperialists differ from other Westren imperialistic powers in the fact that they take wider and quicker steps in the execution of the common scheme devised by imperialism in the Arab countries, this is perhaps due to the abhorrences that were the natural

(1) 'Preachership and Imperialism in the Arab countries' : by Omar Farroukh & Mustapha El-Khalidi, Page 114.

(1) 'This is Morocc' : by Abdel-Meguid Ibn Galwin, Pages 141-142.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

the rules of which they assumed themselves to be strongly related.

It is important to note, however, that the imperialistic challenge which the Qarawiyeen Mosque faced and the fight raged against the values included in the Islamic and Arabic heritage (which the aforesaid mosque cared for and for the preservation of which it held itself responsible) were much more vigorous than any other fight or challenge faced by any other part of the Arab nation.

Similariy the bitterness of mockery and spite, to which the learned men of the Qarawiyeen Mosque and its students were exposed, as well as the bitterness of sectarianism that was created by imperialists under the pretext of 'old-fashionedness', was far greater and more deeply felt than in any other part of the Arab nation. In a description of the scheme devised by imperialists to ensure the forementioned challenge and to undermine values and mock at their adherents or those who boast of them, Monsieur Collièze, the French protectiun delegate says :

"When we signed the protection contract we were faced by an existent state of things. In Fez there was the Qarawiyeen University which, during ten centuries, kept supplying the African Moslem countries with eminent men of learning and genius. In towns as well as in the desert there were a large number of 'Kuttabs' for teaching the Quran. These 'Kuttabs' were provided with all they needed by the Sultan, the Wakfs or by common individuals. As a matter of fact there was a lively and charming collection of big and small schools in which teaching was carried out under the shade of tents in town qwarters. The protection waged war upon such cultural institution in Morocco by locking a large number of the schools that ware the remnants of the old-fashioned system of education. The protection also made continuous hostile attacks on Al-Qarawiyeen University and its branches in Morocco, Meknes, Rabat, Tangier and Wagda. and on all the Koran tutors". (1)

Concerning the aims of the schools established by imperialists especially the French ones, Ustaz Omar Faroukh (Ph. D) and Ustaz Mustapha El-Khalidi (Ph. D) state the following :

"The French schools follow one constant policy and, as a rule, one leadership of 'headquarters'. Wherever they open their gates for the

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

exaggeration or promptness of action. What happened in Morocco after the French occupation in 1912 and in Tunisia in 1881 exactly resembled that which took place in Libya after the Italian occupation in 1912. It was a true copy of that occupation in Egypt after the English occupation in 1682. After occuptation no heed was paid, in any of the occupied countries, to the Arabic Language, the Arabic and Islamic heritage or to the characteristic ideals and values which prevailed among the Moslems and the Arabs and distinguished them from other communities.

At the time when there was but neglect of all the above-mentioned, so much care was increasingly and gradually given to the values and ideals of western life, and to the European culture and ways of thought, that the natives, wherever they were in any of the occupied Arab countries, were about to forget their past and boast of nothing but their present. There was neglect not merely of the Arabic Language and the Arabic and Islamic heritage whether spiritual or mental, but there was also sarcasm, mockery and belittlement of the language and of all those who had to deal with it. Furthermore, the natives who did nothing but mention the bare values of the language or boast of being related to or adherents of, it were met with mockery and belittlement whether in whispers or in public.

Consequently, Al - Qarawyeen Mosque in Morocco, Az - Zeitoonah Mosque in Tunisia, the Sinousian one in Libya and Al-Azhar Mosque in Cairo had to face this challenge which was sometimes hidden but mostly open. These mosques also had to oppose and resist this destructive assault which was directed to the dearest of the Arab nation's possessions the only thing on which its renaissance depended when time allowed it. This dearest property is represented in its mental and spiritual heritage, its values and ideals in life, and in its language and history which is full of glorious heroisms and deeds that inspire pride and exaltation.

The learned men of Al-Qarawiyeen, Az-Zeitoonah, the Senousian and Al-Azhar mosques had to shoulder the burden of struggle and endure the bitterness of contempt and mockery to which they were exposed under the pretext of either 'progress' or "western civilisation". It was their duty, then, to stand in the face of sectarianism which grew strong and which had been created by the imperialists aud given the name 'modernism as opposed to 'old-fashionedness' a modernism according

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

selecting some 'tools' from the occupied country.

In order to ensure continuity of occupation, an easy exploitation of the economical resources of the occupied country and making use of the human energy of the occupied people, imperialism relies on undermining all relations between the past and the present: between the newly occupied generations and the mental and spitiual heritage, the past glory and the former pevailing values and ideals of their forefathers.

In order to guarantee such undermining of relations between the past and the present, imperialists follow various vile means!

A — Firstly imperialists do their utmost to weaken the national language. With this end in view they neglect teaching it to the youngsters, underappreciate its characteristics and look down upon those who, in their conversation, pronunciation, writings and authorism, are bold enough to show their pride in it.

B — Secondly they do their best to find out faults and weaknesses in the works and thoughts of former writers and then seize the opportunity to belittle the whole heritage.

C — Thirdly the imperialists rewrite the history of these predecessors, depriving it of the heroic tales and all that incites pride and valour. Besides, they deliberately distort history by new false additions of various incidents and by wrong, misleading interpretations of some of the events that did happen.

d) Simultaneously, the imperialists present their language, mental heritage, ways of thinking and their history in such a way as can induce the reader to accept them with pleasure, care for them and admire their values. Imperialists also set the curriculum of the schools founded after the occupation so that their values, ideals and behaviour in life are deeply and strongly impressed in the minds and lives of young children. In this way the new generations that are doomed to live or be born after the occupation find no objection whatsoever to be subordinates of the occupying imperialists. Owing to the fact that these new generations are ignorant of their past, they fail to find any support if they want to be rather unfettered by this subordinacy or if they wish to restore, at a certain time, their independence in personality and administration.

What imperialists have been doing since the nineteenth century is always the same. They do not differ from one another except in

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

time, as regards life and religion. It might, as well, be due to the fact that they would rather remain within the circle religious culture, so as to devote all their time to care for it and to ensure its preservation from deterioration or decay.

Yet, had it not been for the sacredness of religion and the nature of faith in it, there would not have been any care for the Islamic Law, for the Prophet's sayings and traditions, for interpretation and all that has something to do with the explanation of religion nor for the study of the Arabic Language which is the only means to a keen and deep grasp of the principles of religion. Now, if the nature of religion means unchangeability of its maxims a matter which may be reflected on those working on the field, being in some period less responsive or less sensitive to the other revolutionary changes taking place either in their own community or in the outside world if this is so, then the very nature of religion and its main bases, namely, holiness and faith are the chief causes of the survival not only of the subjects related to it but also of the studies connected with the Arabic Language which serves as a means to the study of religion. We then come to the conclusion that Al-Qarawiyeon Mosque is the chief factor in the preservation of the Arabic and Islamic heritage owing to the fact that it is a 'mosque' and that all the diverse types of subjects taught in it did have a relationship with religion, though as a matter of fact, the people of this mosque, irresponsive as they were keep to the external events, could not pace with the outside world in the tremendous changes brought about in thought, authoring, research and types of representation. Thus the preservation of the Arabic and Islamic past culture was, throughout its long history, one of the characteristics of the Qarawiyeen Mosque though this preservation and the care for what was to be preserved took different forms.

After the French Occupation in 1912.

Since the nineteenth century Imperialism has primarily depended upon the establishment of chaos in the economy of the country which it intends to occupy, as a preliminary step to its intervention in the internal affairs. It has also depended on laning armed forces to occupy positions of strategic importance in the administration of the most important and sensitive parts in the machinery of the government by some of the men of the occupying country and by

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

the list are the following : Ibn Baja (a philosopher), Lessan Ed-Din Ibn-el Khateebthe well-known minister, Abul-Ala Zuheir and Abu Muhammed El-Qasem Ibn Muhammed El-Ghassani (men of medicine), and Ash-Sheif El-Edreecy[1] (a vegeterian geographer).

Owing to the mingling of these learned immigrants with the learned people and students of the Qarawiyeen Mosque, the cultural revloution in the Islamic heritage flourished and covered nearly all the fields of culture previously known to the early Moslem learned people, such as religion, study of the universe, physics, philosophy and mathematics, besides the Arabic Language and all the studies related to it. That is why this very period is considered to be the golden era in the history of Al-Qarawiyeen Mosque. It reveals on the one hand, the vigour of scientific life and, on the other, the vast and deep understanding of what is termed " the Islamic heritage" and of its survival and Protection.

This state of affairs did not, however, last for long. The scientific movement which once flourished in the Qarawiyeen Mosque soon deteriorated even before the French occupation took place in 1912. This was not wholly due to the deterioration of the Islamic Arabic communiy in Morocco; it was mainly ascribed, as we have already indicated, to the isolation of the Qarawiyeen learned men away from life and the events that occurred in it. They were, perhaps, not to blame because of the close relation that exists between their cultural profession and mission on one side and the characteristics of the nature of religion on the other.

The principles of religion, exactly the same as other principles of life, are unchangeable. A principle, in the true sense of the word, cannot be so called unless it has attained a certain degree at which it is to be considered both as a model and a goal which everyone tries hard to reach or approach. Again, learned people whose scientific and cultural work is confined within the limits of sacred important and unchangeable maxims are not so much influenced by the events of the outside life, contrary to those who are fully engrossed in the events of life, the latter have got the chance to watch, study scrutinise and judge.

So if the learned Qarawiyeen laid aside the study of mathematics, philosophy and natural sciences away from the field of the Islamic Arab heritage this might be due to their own way of thinking, at that

---

(1) Levi-Provencal, Initiation au Maroc.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

people who preserved in their hearts the principles of their past culture, the defenders who protected their values through their own logic and thought, and, last but not least, they were the teachers who, through orally handed down this heritage to the generations to come. In this way, they proved to be the sole supporters of this heritage that could not have survived without their efforts.

The following is a translation of an extract quoted from an essay written by Lévi-Provençal in a book entitled : Initiation au Maroc. (P. 172):

I should like to draw the attention to Fez which has become an important centre of culture since the beginning of the fourteenth century in particular that is to say, after many Moslem learned people immigrated to Morocco, immediately after the Iberian Peninsula (Spain and Portugal) had fallen anew under the rule of Christianity. This occurred almost exactly in the fourteenth century. Thus, the fact that Fez has become an important centre of culture is mainly ascribed to the prominent role played by this ancient university : Al-Qarawiyeen Mosque".

Obstacles and Difficulties :

Al-Qarawiyeen Mosque throughout its long history is more or less like a living creature whose growth may, at a certain stage, be hindered owing to an internal factor which is closely connected with its own bodily construction. The hindrance may as well be due to an outside factor that resists its growth and prevents it from proving its own existence.

The Qarawiyeen Mosque was, as a matter of fact, influenced by both factors. If suffered from its own weakness as well as from foreign attack. If, at a certain period, the Arab community in Morocco was, to some extent, held responsible for the weakness that befell the mosque, the responsibility fell more heavily upon the learned Qarawiyeen themselves who were in charge of it. They were but little influenced by the events of life on account of the fact that they thought it better not to take any part in what was going on among the Arab community in Morocco and, at the same time, preferred to be isolated from the social and revolutionary ideas and events that occurred in the outside world.

We all know that after the fall of Andalusia under the reign of Christianity in the fourteenth century emigrated a large number of the Mohammedan eminent learned men who specialised in different fields of science and knowledge. Leading

at Fez*in the year 245 after the Hejira, if we want to trace back the influence of this mosque on the culture of various successive generations from the beginning of the first half of the fourth century of the Hejira up till now, if we want to determine exactly its job (which was sometimes so difficult that it did but very little and sometimes so easy that much was achieved). If all this is taken into consideration, we shall soon come to the conclusion that the mission of the Qarawiyeen Mosque has been closely connected with the Arabic Language, with Islam, with the Islamic and Arabic knowledge handed down from father to son, and generally with what we call "the Islamic and Arabic characteristic past culture".

Moreover, if we look upon Morocco as a nation, we shall soon notice that it is an Arab one, that the language of the inhabitants is Arabic, that their religion is Islam and that the history of their culture and knowledge is closely connected with that of their ancestors whether they inhabited this very land or any other part of the Islamic Arab world.

Thus we see that the chief mission of the Qarawiyeen Mosque was to lay the foundations of the Arab community and the Arab nation in Morocco. It is therefore regarded as the centre of this national characteristic past culture that serves as a nucleus round which rotates the life of the Arabs whether in their guidance or in their struggle for existence in Morocco.

Al-Qarawiyeen Mosque, having achieved such a misson, or, in the least, preserved it from ruin or decay, has rendered an invaluable service to this Arab nation and simultaneously, to the Arabic and Islamic characteristic past culture in general.

It is not a disadvantage, however, that the Qarawiyeen Mosque, at a certain period, slowed down' remained stationary or was even confronted with obstacles and difficulties which it failed to overcome at times but succeeded to surmount many a time. This is not a disadvantage merely because this mosque did not slow down or remain stationary, nor was it at times overcome in the challenge, except for the good of this Arab nation and for the sheer benefit of the Islamic heritage. It does not matter either that the people of the Qarawiyeen Mosque were, and are perhaps still, exposed to bitter criticism and some defects pointed out. Suffice it that they were the force that helped the Qarawiyeen mosque to withstand the challenge, the

* If phonetically spelt, it is to be written thus : "Fass" according to the Arabic pronunciation.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

AL-QARAWIYEEN UNIVERSITY
AND HOW FAR IT HAS PARTICIPATED

In the preservation of the characteristic past culture of Islam.

BY

Dr. Muhammad El Bahay

Director General of The Islamic Culture Administration

Foreword :

It is taken for granted that the chief cultural fundamentals, of any community or of any nation, are mainly represented in the language of the people, the prevailing religion and in the common inherited humanities. The language, through words and expressions, conveys the highest types of values advocated by the religion of a community or a nation. It conveys, as well the facts of human knowledge bequeathed to the individuals of this community or nation, through the ages, by their ancestors. It was these high values, preached by the religion of the community or nation, that bound the guidance of the individuals, limited the mutual relations amongst them, and, at last, determined the common target which the individuals of the community tried hard to attain in their struggle in life.

Without a languague, without a religion, without inherited humanities, there would be no community, nor could a community or a nation be distinguished or characterised from another. The community which we mean here is the community of man, and by the word 'nation' we mean the 'home' of man. Taking this into consideration, a community or a nation is apt to be influenced by man's own characteristics. These characteristics which differentiate between one person and another are confined to his language, his way of thinking, his logic, his heart, his beliefs and his behaviour in life.

Al-Qarawiyeen Mosque and its influence on the Arab community culture

Now, if we seek to give a vivid idea of the part played by the Qarawiyeen Mosque which was founded

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

including the moorish strugglers and the upholders of justice from West Africa and from United Arab Republic. We urge you to hasten in putting an end to the Imperialism by being united and by responding to the Call of Allah to be joined together in the mutual teaching of truth and patience: "By declining Day, Lo! Man is in a state of loss, save those who believe and do good works and exhort one another to truth and exhort one another to endurance".

We hope that you will banish away from the muslim society all the factors which dishearten the Muslim community, such as elements of relationship and tribalism, yielding to lusts, and supporting both, enemies of God and enemies of humanity.

O Brothers! Amongst you there are rulers, kings, scholars; and it has been destined that they will be brought before God, and they will be asked about their duties towards God, duties they did not perform and their duties towards humanity, duties they did not undertake.

"O ye who believe obey Allah and the Messenger when he calleth to that which quickeneth you". "O ye who believe choose not my enemy and your enemy for friends".

This is the word of Allah to which we call you hoping that you may respond, and hold fast to. If you do so, and keep doing good for humanity, God will reward you.

We ask God to give us his guidance and to give his guidance to the leaders of muslim Nation, so that justice and religion of Islam may prevail.

Peace may be upon you.

Mahmoud Shaltout.

Ibrahim Banias

Muhammad Abdul-Karim Al-Khattabi.

Muhammad Abd Allah Al-Khattabi.

8th Thel-Keada 1380

23 April 1961

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

In the name of Allah, the Beneficent, the Merciful

Joint Statement to the Islamic World

From

The Rector of Al-Azhar University, the Leader of Muslims in West Africa and the Prince Abdul-Karim El-Khattabi.

Praise be to God, the Lord of the worlds, and peace and blessing be upon the Prophet Muhammad and his followers.

Our Muslim brothers. Peace be upon you.

In the name of God and in the name of brotherhood, we, Abdul-Karim Al-Khattabi, Ibrahim Banias, Mahmoud Shaltout, and Muhammad Al-Khattabi, have held a meeting on the occasion of the departure of our brother in Islam, Shaykh Ibrahim Banias after his visit to the United Arab Republic.

Reviewing muslims'affairs and considering their present situation and what they have suffered from the opressive imperialists, we are of the opinion that the one single call through which muslims can resume their illustrious past, is to give them the Word of Allah, which their predecessors were given in His saying: "And hold fast, all of you together, to the cable of Allah, and not separate". "O Ye who believe Take not for intimates other than your own folks, who would spare no pains to ruin you, they love to hamper you. Hatred is revealed by (the utterance of) their mouths, but that which their breasts hide is greater".

We all have already seen what the Imperialists have done, and we still see what they are doing, for the purpose of parting, scattering the peoples, and some other acts of such kind, which the honour and dignity of Islam cannot bear. The sufficient evidence we can simply give for their flagrant deeds and their bad faith, lies in what they are doing now at Algeria, in what they have lately committed in Palestine and in what they are preparing to suppress any voice rising for natural freedom bestowed by God.

O Brothers! This is a call coming to you from such a group

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

within and from without, which the term "Colonialsm" includes. Nothing will put an end to this colonialism save the Arab Unity and Islamic League. So, the sustenance of this Bloc depends in realizing this Unity and, in strengthening this league.

As regards realizing Arab unity, it rests solely on the Arab freeman, and faithful reformer, Gamal Abdel-Nasser; who, for this mission was well-prepared by nature, and for its sake he devoted his soul, mind, and endeavour. And sooner or later the covetous greedy, and the superelious colonialist will be banished away, and the Arab Nation will remain integral and strong.

As for strengthening the Islamic League, it will be due to the policy of the Islamic congress, which made legal by God, on the same day He ordained Pilgrimage. The congress that was prevented from being held in the past because of the stupidity and the conspiracy of foreigners, and because of division due to dependncy, relaxation, weakness and ignorance; which made the united nation disintegrate into so may small states; each has its own boundaries, custom-house, and policy: and each is being under command and patronage of foreigners.

But when God willed that His Nation (of Islam) which He created to follow the Via media amongst nations, so as to enjoin what is right and forbid what is wrong, He reminded it with His saying "And hold fast, all together by the rope which God (stretches out for you), and be not divided amongst yourselves; and remember with gratitude God's favour on you; for ye were enemies and He joined your hearts in love, so that by His grace, ye became brethren". Then, the hearts of the muslims inclined to one another; the hands of them held together; and the situation demanded the voice which should awaken and excite people; and of the congress which would pay response and guidance. The Nation of Muhammad responded to the Call of Truth and abandoned false and dishonest leaders, who misled the nation, directed it to the mirage and, push it into the abyss.

Now there is no alternative for these so-called leaders, except to come back to their position in the line, and return to the right way. By so doing, the Unity will be fulfilled and the parts of the community will be welded; then it will be able for the Islamic Bloc to realize the meaning of "Middle way" by which, it was described by God in His Book; and then the Islamic Bloc will be a measure of peace between the East and the West, and a mercy for the whole world.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

League. Through this Unity and this League, the Third Bloc will be so powerful that it can retrieve with God's help, the world which was dispersed by greediness and war. It would then repair the world and its wounds. That, is because this Third Bloc which was based upon the unmixed beliefs, occupies the most blessed place on the earth, includes millions of people, watches over the first resources of economy, has faith in the ideal spiritual morals of society, and has brilliant deeds in the pages of history. With its religious rules and secular principles, the Third Bloc is the most suitable measure to inculcate love in hearts, and establishing peace on earth. This is because its political and social systems were made by God who put them by His saying "The believers are but brothers." For, these systems, god ordained the Pilgrimage to be a congress; to make them fast; and made the Califate as an eternal bond to fasten them. These systems are suitable for every time and place. They resolve disputes arising between peoples; profess the Unity of god, placing no partner to Him; include all revelations ordained by god, without differentiation between the prophets; and finally fraternize all people in the spirit and in the faith; not in race nor in nation. They equalize all brethren in rights and puties so that there will be no distinction between classes, races, and colours. They appropriate the wealth of the rich, recognized dues which he must pay, willing or unwilling, so as to adjust the balance of justice. They submit the government to the mutual consultation between intelligent persons so that no tyrant could rule and no obstinate could halt any progress. They set free the mind, soul and spirit. They do not confine notion nor consideration. They do not accept the traditionalism or slavery. They ordered their followers to be just and tolerant with those who disagree with them in their religion or in their opinion. They connect the religions with the life to make consciousness, the superior force in the dealings; the belief, the creative influence in the conducts.

The Islamic Bloc is a force for peace

In short, these systems referred to, are the systems which would realize human Unity, for, it does not acknowledge party-spirit, racialism, nor nationalism. Instead. it does create brotherliness in belief, superiority in doing well, and co'operation in nothing but righteousness and piety.

The Islamic Bloc exists by virtue of the unity of its nations, the joint history, the one single religion and the prevailing language. And if it happened that parts of this Bloc grew weak or disintegrated that, would be due to some factors from

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

East, so as to assert their supremacy. The Americans constitute obstructions before the Russians, to appropriate the East for themselves only. The muslims and Arabs of Asia and Africa are raising their voices complaining of injustice, raging for the sake of dignity, struggling for their rights and calling for freedom struggles; but their call for struggle is drowned in the noise of the other Blocs just as a gentle breeze when it goes in the sad jungle.

It is amazing that the outbreak of colonial war and the struggle of the great Blocs, have no field to take place on except where the Arab own and the muslim live; as if the Arab and muslims became a pillage to every marauder. Are not these people the ancestors of these former invadors for whose reign the age was subjected, and in their empire the world was included? It is not that the Islam which they are embracing now, is the same Islam of that former Abbasid caliph who, once, looked at the rain clouds driven by the wind to the extremities of the earth, then he said: "Rain where you wish, your fruit will be of mine."? The muslims of today are indeed the ancestors of those predecessors; but the Islam they are now professing is no longer the Islam of that caliph. It is a remainder of the first Islam decayed and ended to be silly mysticism, who intoxicated with it, do not awake from their nap nor do they get rid of indolence. He does not care, to reach his object whither he was ridden upon his back or pulled on his pace.

The mean-spirited and narrow-minded, exploited and misinterpreted religions and seiences to suit their own ends, and they placed much reliance on superstitution belief, And thus we saw that the evolution of chemistry, has appointed its research to seek for what so-called Philosopher Stone: and the evolution of astronomy turned it to be something like sorcery and fortelling events via observing the stars and their positions. This change which has affected these two sciences, is similar to that which has happened to Islam. In Islam, we saw that the belief of Fate has been misinterpreted, until the people while yeilding to Destiny, neglected the precaution. They gave up endeavouring themselves depending upon this verse: "Verily never God change the condition of a people until they change it themselves (with their own souls). But when (once) God willeth a people's punishment there can be no turning it back, nor will they find beside Him, any to protect".

Then, the return to the orijinal Islam, is the one single way which leads to establishing and ensuring the Arabic Unity, and this is the chief cause for founding the Islamic

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

THE ISLAMIC BLOC IS A FORCE FOR PEACE AND MERCY

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

The struggle for sovereignity and supremacy in the world has led to the existence of two great Blocs, namely the Eastern Block or Communism led by Russia and the Western Bloc or rather Capitalism led by the United State of America. These two Blocs hold contradictory views to each other and thus in their goals. As a matter of fact there is nothing in common between them except that they compete with each other to dominate the world and seek to conquer space. In their endeavour to conquer space and be unique in this feat, the two Blocs are preparing space rockets and spaceships, using their enormous resources of wealth and science, exploiting people, controlling nature and spreading terror.

Today there is no other Bloc which stands dignified, between these two Blocs except the third Bloc which obtains its guidance from the Light of God. This light is neither limited by a certain area nor concealed behind a veil, but it spreads a permanent brilliance, and is well illustrated by the following verse:

God is the Light of the heavens and the earth, the parable of His Light is as if there were a Niche, and within it a Lamp: The Lamp enclosed in Glass: The Glass as it were a Brilliant Star: Lit from a blessed Tree, an Olive neither of the East nor of the West, whose Oil is well-nigh luminous, though fire scarce touched it: Light upon Light! God doth guide whom He will to His Light".

It is quite apparent, when one nowadays listens to the Radio or reads the newspapers, that this struggle has reached immense proportions and the Part played by the three Blocs have been spotlighted into prominence. The rest of the nations are merely witnessing the struggle that is taking place in an arena, just as spectators, jesters, or gamblers.

The Russians are desiring to spread out in the open fields of the